دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النشاط المعمارى لأمهات السلاطين العثمانيين فى استانبول : دراسة أثرية معمارية
المصدر:	مجلة كلية الآثار
الناشر:	جامعة جنوب الوادي - كلية الآثار بقنا
المؤلف الرئيسي:	عبدالحافظ، عبدالله عطية
المجلد/العدد:	ع1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2006
الشهر:	يوليو
الصفحات:	293 - 429
رقم MD:	933471
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الاثار المعمارية، العمارة الاسلامية، أمهات السلاطين، مدينة استانبول
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/933471

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مجلة كلية الآثار بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

النشاط المعماري لأمهات السلاطين العثمانيين فى إستانبول
"دراسة أثرية معمارية"

د. عبد الله عطية عبد الحافظ
أستاذ الآثار الإسلامية المساعد – قسم الآثار الإسلامية
كلية الآداب – جامعة المنصورة

النشاط المعماري لأمهات السلاطين العثمانيين فى إستانبول
" دراسة أثرية معمارية "

تتناول هذه الدراسة النشاط المعماري الذى قامت به أمهات السلاطين العثمانيين فى مدينة إستانبول[1] عاصمة الدولة العثمانية ، وكان لهؤلاء الوالدات نشاطا معماريا وفنيا كبيرا فى مختلف مدن وولايات الدولة العثمانية ، وإن كانت غالبية تلك العمائر والمنشآت قد شُيِّدت فى إستانبول ، وتنوعت هذه العمائر ما بين جوامع ، ومساجد ، ومدارس ، وأسبلة ، وبيمارستانات ، ودور للطعام ، وأضرحة وغير ذلك .

ومن الجدير بالذكر أن نشاط المرأة التركية المعماري وإسهامها الفني والحضاري لم يبدأ فى العصر العثماني بل بدأ منذ فترة مبكرة من التواجد التركي ببلاد الأناضول [2] ، وبعبارة أخرى بدأ هذا الإسهام المعماري للمرأة التركية عقب فتح بلاد الأناضول وتأسيس الإمارات التركمانية الأولى ، وكذلك خلال دولة سلاجقة الروم وعصر الإمارات التركية الذي أعقب سقوط دولة السلاجقة بالأناضول ، ويشمل فترة القرن الرابع عشر الميلادي ، وأخيرا خلال الدولة العثمانية حيث كانت الانطلاقة الكبرى للعمارة والفن التركي ببلاد الأناضول وكافة الولايات والدول التى خضعت للدولة العثمانية ، وكان هناك دور للمرأة التركية فى عمليات البناء والتشييد ، وكان يقوم بهذا الدور فى الغالب زوجات السلاطين الأتراك ووالداتهم وكذلك بناتهم .

ومن أوائل المنشآت التى تنسب إلى المرأة التركية ببلاد الأناضول المدرسة الخاتونية فى ماردين Mardin ، وكذلك حمام الرضويّة فى ساوروقابى Savrukapı، وقد شيِّدت هذه العمائر زوجة السلطان نجم الدين آلب ، وهو السلطان الثالث لإمارة بنو آرتُقْ Artuk ، وهى والدة

---

(١) سوف يأتي الحديث عن مدينة إستانبول بعد قليل .

(٢) تعود كلمة أو مصطلح الأناضول أو آنا طولى Anadolu إلى أصول يونانية ، وكان الاسم يدل على تقسيم إدارى زمن الامبراطورية البيزنطية ، والأناضول عبارة عن شبه جزيرة يحدها من الشمال البحر الأسود ، ومن الجنوب البحر المتوسط ، ومن الغرب بحر أجا (إيجه) ، ومن الشرق جبال أرمينية ، بالإضافة إلى بحر مرمرة ويقع فى شمال غرب الأناضول ، وتمثل الأناضول آسيا الصغرى فى ذات الوقت ، وكان يقع فى الأناضول أهم الولايات والمدن العثمانية ، وتشغل تركيا الآن كل أقاليم الأناضول التى تبلغ سبعة مناطق أو أقاليم إدارية ، ومن الجدير بالذكر أن بلاد الأناضول هى المنطقة الوحيدة التى اتخذها الاتراك وطنا لهم خارج آسيا الوسطى ونجحوا فى تتريكها ويطلقون عليها الآن الوطن الابن (ياورو وطن) تميزا لها عن آسيا الوسطى أو التركستان التى تعرف باسم الوطن الأم (آنا وطن) .
انظر : شمس الدين سامى : قاموس تركى ، طـ٢ ، إستانبول ١٩٨٧ ، ص ٥٦ ؛ س . موستراس : المعجم الجغرافى للإمبراطورية العثمانية ، ترجمة عصام الشحادات ، بيروت ٢٠٠٢ ، ص ١٥ .

قباد الدين إيلغاز السلطان الرابع فى إمارة بنو آرتق ، وقد ورد اسمها فى الوقفية الخاصة بها بصيغة ستى رضوى ، وقد شيّدت هذه العمائر بين سنوات ٥٢٧ - ٥٨٠ هـ (١١٧٦ - ١١٨٤م) وقد وردت هذه التواريخ كذلك فى أجزاء من الوقفية مُسجّلة على جدران المدرسة الرضوية [٣].

وتعتبر المدرسة الرضوية من أوائل المدارس التركية التى شُيّدت بالأناضول ، وتدل بقاياها أنها كانت مدرسة مكوّنة من صحن أوسط مكشوف وايوانين ، وكانت من طابقين ، وبهذا نجد أن أهم الأعمال المعمارية المبكرة من الأناضول تنسب إلى امرأة .

ويتكرر نفس الأمر بعد ذلك خلال عصر سلاجقة الروم بالأناضول حيث تنسب أقدم العمائر السلجوقية وهى مدرسة جفتة فى قيسرى Kayseri إلى امرأة ، وقد شيّد هذه المدرسة السلطان السجلوقى غياث الدين كيخسرو سنة ٦٠٢ - ٦٠٣ هـ (١٢٠٥ - ١٢٠٦م) وفى حين تحمل هذه المدرسة اسم السلطان غياث الدين تحمل دار الشفاء (مستشفى) المجاورة لها اسم أخته جوهر نسيبه سلطان ، ويعتبر هذا المستشفى أقدم مستشفى فى منطقة الأناضول قاطبة[٤].

أيضا تنسب أولى المُجمّعات المعمارية بالأناضول إلى خوناد خاتون سلطان زوجة السلطان علاء الدين كيقباد الأول وقد شيّدت هذه المُجمّع المعمارى فى قيسرى Kayseri سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨م ، ويتكون من جامع ، ومدرسة، وضريح للمنشئة، وحمام ، وبالفعل دفنت خوناد سلطان فى ضريحها بهذه المجموعة المعمارية عند وفاتها ، وهو ضريح حجرى ملاصق للمدرسة ينتمي إلى أضرحة الكُمبذ ، وهو شكل من أشكال الأضرحة التركية بالأناضول مثمن الشكل يغطيه قمة مخروطية حجرية [٥].

وهناك منشآت وعمائر كثيرة تنسب للمرأة التركية وخاصة زوجات سلاطين السلاجقة لا يتسع المجال هنا لذكرها ، فقط ذكرنا بعض الأمثلة لبيان مساهمة المرأة التركية من أمهات وزوجات السلاطين السلاجقة وكذلك بناتهم، وقد بدأت مساهمة المرأة التركية فى حركة الإنشاء والتعمير بالأناضول خلال عصر الإمارات التركمانية المبكرة التى قامت بالأناضول عقب الفتح التركي الإسلامي لها مثل إمارة أولاد سلتوقْ، وإمارة أولاد دانشمند ، وإمارة أولاد آرتُقْ ، واستمرت خلال عصر دولة سلاجقة الروم بالأناضول ، وكذلك عصر الإمارات التركية ، وكان من بينها إمارة أولاد عثمان (الدولة العثمانية فيما بعد).

---

(٣) Ara Altun : Anadolu'da Artuklu Türk Mimarisinin Gelişmesi , Istanbul 1978 , pp. 184 – 206 .

(٤) Anonim : Selçuklu Gevher Nesibe Sultan Tip Fakültesi , Kayseri 1991 , P.6

(٥) İlhan Özkeçeci : Tarihi Kayseri Cami ve Mescidleri , Kayseri 1997 , p.108 .

ومن الأمثلة المعمارية التى ترجع إلى هذه الفترة وتنسب إلى المرأة التركية الضريح الفخم الذى شيّدته الأميرة السلجوقية خداوند خاتون ابنة قليج أرسلان الرابع وزوجة والى ولاية نيده Niğde الإيلخانى سنقر آغا فى سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م ، وهو ضريح فخم حجرى ينتمى إلى طراز الكمبد (٦) .

ومن منشآت ذلك العصر المدرسة الخاتونية فى ولاية قره مان Karaman وقد شيّدتها السيدة نفيسة سلطان زوجة علاء الدين بيه من أولاد قره مان وابنة مراد الأول وذلك فى سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢م (٧) .

وخلال العصر العثمانى حدثت الإنطلاقة الكبرى للمرأة التركية العثمانية لتساهم بقوة فى حركة الإنشاء والتعمير التى شهدتها مدن وولايات الدولة العثمانية ، وكان لأمهات السلاطين العثمانيين النصيب الأوفر فى النشاط المعماري الذي شهدته الدولة ، وشارك فى هذا النشاط كذلك بنات السلاطين ، وبعبارة أخرى كانت أمهات السلاطين وزوجاتهم وبناتهم يقمن بدور كبير فى تشييد مختلف أنواع العمائر العثمانية، وامتد هذا النشاط المعماري إلى معظم المدن التركية ، غير أن أهم المنشآت والعمائر التى شيّدتها أمهات السلاطين العثمانيين كانت فى مدينة إستانبول (٨) عاصمة

---

(٦) -Mehmet Özkarcı : Niğde' de Türk Mimarisi , Ankara 2001 , p. 122

(٧) -Arzu İyianlar : Valide Sultanlar' in İmar Faaliyetleri , (Ist.Uni-Sanat Tarihı Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi) İstanbul 1992 , p.4

(٨) تُعدّ استانبول İstanbul من أهم المدن العالمية ، وقد قامت هذه المدينة العريقة بدور العاصمة لاثنتين من أهم وأكبر الامبراطوريات والدول فى التاريخ العالمي وهى الإمبراطورية البيزنطية ، والدولة العثمانية ، وقد أسس هذه المدينة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين العظيم (الأول) وذلك على انقاض مدينة أغريقية قديمة كانت تعرف بـ " بيزنطة "وأنتهى من تشيدها وافتتحها فى احتفال مهيب فى ١١ مايو سنة ٣٣٠م ، وأطلق عليها اسم " روما الجديدة" غير أن أهالي المدينة أطلقوا عليها اسم الامبراطور قسطنطين بعد وفاته تخليدا لذكراه، فعرفت باسم مؤسسها " قسطنطينوبولس" (Constantinupolis) وتعنى " مدينة قسطنطين " ، وقد استخدم هذا الاسم العرب المسلمون ، وكذلك الفرس والأتراك وصارت تعرف عندهم باسم " القسطنطينية " ، واستمر استخدام هذا الاسم بعد فتح المدينة على يد الأتراك العثمانيين سنة ١٤٥٣م وحتى سقوط الدولة العثمانية واستبدل باسم " إستانبول "سنة ١٩٣٠م ، وعرفت هذه المدينة الخالدة بعدة أسماء خلال العصر العثماني مثل "القسطنطينية المحروسة " و"الأستانة" و " الباب العالي " و " دار السعادة " . أما اسم إستانبول فيعود إلى أصول لغوية يونانية حيث كان البيزنطيون يكتفون بإطلاق لفظة المدينة "hepolis" على عاصمتهم العظيمة ، وأحيانا كانوا يقولون" إلى المدينة " " eis te polin" و المقصود " إلى العاصمة " وهى القسطنطينية ، ومع مرور الزمن حُرفت النطق إلى "إستانبول " وبعد الفتح العثماني عرفت المدينة (القسطنطينية) باسم " إسلام بول " وتعنى أرض الإسلام العامرة ، وتعنى كلمة " بول " بالتركية الوفير ، الكثير ، العامر ، ولكن كان اسم القسطنطينية هو المستخدم والمفضّل عند الأتراك العثمانيين . وتحتل إستانبول=

الدولة العثمانية ، ومقر السلطان والخليفة العثماني ، وهذا أمر طبيعي حيث أصبحت إستانبول حاضرة للفن والعمارة والابداع خلال العصر العثماني ، وكانت تستقطب الفنانين والصناع المهرة من كافة مدن وولايات الدولة العثمانية ، وكان وجود السلطان العثماني في مركز الدولة (إستانبول) له أثر كبير في احتضان المدينة لروائع العمارة العثمانية وفنونها التطبيقية . وتنسب أوائل الأعمال المعمارية التي قامت بها أمهات السلاطين العثمانيين إلى مدينة إزنيك Iznik [٩] حيث شيّدت والدة السلطان مراد الأول

=موقعا فريدا قلما توفر لغيرها من المدن الأخرى حيث أقيمت فوق منطقة حيوية تشرف على مضيق البوسفور الفاصل بين قارتي أوربا وآسيا ، وتأخذ المدينة شكل مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات ، وهي بذلك عبارة عن شبه جزيرة ، ففي شمالها يقع خليج القرن الذهبي ، وفي الشرق يقع مضيق البوسفور ، وفي الجنوب يوجد بحر مرمره ، أما الجهة الغربية فتتصل باليابسة ، وقد وفر هذا الموقع الفريد الحماية الطبيعية لهذه المدينة لمئات السنين ، وقد شُيّدت القسطنطينية (إستانبول) فوق سبع تلال أو هضاب مرتفعة ، شُيد بها أهم العمائر والمنشآت خلال العصران البيزنطي والعثماني، ومن الجدير بالذكر أن هذه المدينة العريقة قد تعرضت للحصار منذ تأسيسها نحو تسعة وعشرون مرة ، وسقطت في أيدي الأعداء سبع مرات ، كانت تعود في كل مرة إلى ملك القياصرة إلى أن سقطت في المرة الثامنة في يد القوات التركية العثمانية في ٢٩ مايو سنة ١٤٥٣م بقيادة السلطان الشاب محمد الثاني (الفاتح) الذي نقل عاصمة الدولة العثمانية من أدرنة إلى القسطنطينية بعد فتحها، ومنذ عهد السلطان العثماني سليم الأول (١٥٠٨ – ١٥٢٠م) أصبحت إستانبول عاصمة للخلافة الإسلامية واستمرت تؤدي هذا الدور حتى سقوط الدولة العثمانية عقب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى وإعلان قيام الجمهورية التركية سنة ١٩٢٣م والتي اتخذت من أنقره Ankara عاصمة لها ، ولا تزال إستانبول تحتفظ بمئات العمائر والآثار المعمارية العثمانية المتنوعة ، وكذلك العمائر البيزنطية من كنائس وأديره وحصون وأسوار وغير ذلك . انظر :

Ibrahim Kafesoğlu : " İstanbul " İslam Ansiklopedisi , C.5-II , İstanbul Tarihsiz , p. 114 ; İlhan Akşit : Treasure of İstanbul , İstanbuls 1987 , pp. 7-8 ; Pars Tuğlacı : Osmanlı Şehirleri , İst-1985 , p.150 ;

برنارد لويس : إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ترجمة سيد رضوان علي ، ط٢ ، جدة ١٩٨٢ ، ص ١١-١٢ .

(٩) إزنيك من مدن الأناضول القديمة ، وقد عرفت بأسماء كثيرة مثل أنتيغونيا Antigonia ، وأنتيغويا Antigoiea ، ونيقيه Nikaia ، Nicaea ، Nicea ، ولمدينة إزنيك تاريخ قديم يعود إلى ما قبل الميلاد ، وترتبط نشأة هذه المدينة كما ورد في بعض المصادر القديمة بأحد قواد الإسكندر الأكبر وهو أنتيغينوس Antigonos ، وأصبحت المدينة عاصمة لملوك بيثنيا Bithynia ، وتطورت المدينة في العصر البيزنطي وأصبحت مقرا لعقد المجمع المسكوني أو مجلس نيقيه ، وقد انضمت مدينة إزنيك بشكل نهائي إلى الدولة العثمانية في عهد السلطان أورخان غازي سنة ١٣٢٩م وتحتفظ إزنيك بمئات الآثار والعمائر العثمانية المتنوعة من جوامع ومدارس وتكايا وأسبلة وأضرحة ، وتتبع إزنيك الآن محافظة أو ولاية بورصة ، وشاعت شهرة إزنيك في صناعة البلاطات والتحف الخزفية خلال العصر العثماني خاصة القرن السادس عشر الميلادي. انظر : Pars Tuğlacı , Op.Cit , pp. 184 – 186 .

نيلوفرخاتون دارا للمرق [١٠] بها سنة ٩٧٠ هـ / ١٣٨٨م ، أيضا شيّدت نيلوفرخاتون جامع وتكية فى مدينة بورصه Bursa [١١] ومن الأعمال المعمارية المبكرة لأمهات السلاطين العثمانيين المنشآت التى شيّدتها كول جكجك خاتون والدة السلطان العثمانى يلدريم بايزيد [١٢] فى حي يخشى بيه ببورصه وهى عبارة عن جامع ضخم وضريح ، ومن الملاحظ أن منشآت وعمائر أمهات السلاطين العثمانيين قبل فتح إستانبول تركزت فى مدن

(١٠) تعرف هذه الوحدة المعمارية عند الأتراك باسم " عمارت " .

(١١) بورصة هى العاصمة الأولى للدولة العثمانية وتحتوى على بعض العمائر العثمانية المبكرة من جوامع وأضرحة أهمها ضريح مؤسس الدولة عثمان غازى ، وضريح السلطان محمد جلبى المعروف بالتربة الخضراء ، وهناك أسلوب أو طراز فنى عثمانى يعرف بـ " طراز بورصة " أو " الطراز العثمانى المبكر " وهو أسلوب معمارى وفنى عثمانى له خصائص وسمات معينة مثل استمرار بعض الأساليب الفنية السلجوقية وغير ذلك من الأمور لا تتسع المجال لذكرها هنا ، وبورصة من مدن الأناضول القديمة ومن أسماءها بروسه Prusa ، وهناك عدة روايات تاريخية حول أصل تسمية هذه المدينة وأقربها إلى الصواب أنها شيّدت على يد ملك بتينيا Bithynia الملك بروسياس الأول Prusias I (٢٣٠ – ١٨٢ ق.م) وقد أخضع هذا الملك تلك المنطقة المطلة على بحر مرمره ، وأطلق اسمه على هذه المنطقة ومنها هذه المدينة التى عُرفت بـ "بروسه" ثم "بورصه " نسبة إليه . وقد استولى الأتراك السلاجقة بالأناضول بعد تأسيس دولتهم على بورصه وإزنيك سنة ١٠٨٠م ولكنها عادت مرة ثانية إلى سيادة الدولة البيزنطية سنة ١٠٩٧م ، وبعد قيام إمارة العثمانيين فى شمال غرب الأناضول بالقرب من بورصه حُوصرت المدينة أكثر من مرة من قبل القوات العثمانية ، وسقطت المدينة في الحصار الأخير الذى استمر لمدة عشر سنوات وفتحها أورخان غازى سنة ١٣٢٦م ، وأصبحت بورصه عاصمة الدولة العثمانية الوليدة ، وصارت مركزا ثقافيا وتجاريا مهما فى فترة وجيزة ، ونقلت إليها رفات مؤسس الدولة عثمان غازى الذى توفى قبيل فتحها بقليل ، وشُيّد له ضريحا يليق به على يد ابنه أورخان غازى ، ومن الجدير بالذكر أن الإمارة العثمانية تحولت بعد فتح بورصه من طور الإمارة إلى الدولة، وتحتفظ بورصه بعشرات العمائر التركية العثمانية المتنوعة من جوامع ومدارس وزوايا وأضرحة وأسبلة يُعتبر معظمها عن الطراز العثمانى المبكر الذى يعرف كما ذكرنا من قبل بطراز بورصه .

Anonim : Temel Britannica , Cilt 4 , İstanbul 1992 , p.68 ; Anonim : Büyük Larousse Sözlük ve Ansiklopedisi , C.4 , Islanbul Tarihsiz , p.2027.

(١٢) السلطان بايزيد الأول الملقب بـ " يلدريم " أى الصاعقة هو السلطان الرابع بين سلاطين آل عثمان ولد سنة ١٣٦٠م وتوفى سنة ١٤٠٣م ، وحكم الدولة العثمانية لمدة ١٣ سنة ، والده السلطان مراد الأول (خداوندكار) ، والدته كول جكجك ، وقد أدى يلدريم بايزيد خدمات جليلة للدولة العثمانية وواصل الفتوحات العسكرية ضد الدولة البيزنطية ، وفى نهاية حكمه تعرض لهزيمة قاسية على يد قوات تيمورلنك فى معركة أنقره سنة ١٤٠٢م وتم أسره فى هذه المعركة ، ومات متأثرا بهذه الهزيمة سنة ١٤٠٣م وكان يبلغ من العمر عند وفاته ٤٣ عاما . انظر :

Abdülkadir Dedeoğlu : Osmanlı Albümü , C.1, İstanbul Tarihsiz , p. 39

الدولة العثمانية الرئيسية مثل بورصه ، وإزنيك ، وأدرنة Edirne [١٣] ، ومغنيسا Manisa [١٤] ، وغيرها من المدن الأخرى الصغرى ، وبعد الفتح العثماني للقسطنطينية (إستانبول) والتي أصبحت عاصمة الدولة العثمانية الجديدة تركز النشاط المعماري والفني لأمهات السلاطين بهذه المدينة العظيمة التي احتضنت عشرات العمائر التي شيّدت على يد أمهات السلاطين العثمانيين وكذلك زوجاتهم وبناتهم .

وقد سبقت الإشارة من قبل إلى أن هذه الدراسة سوف تخصص للنشاط المعماري لأمهات أو والدات السلاطين العثمانيين فقط دون غيرهن من نساء العصر العثماني ، وكان لهن أيضا نشاطا معماريا وفنيا وإن كان أقل من النشاط المعماري الخاص بالوالدة سلطان ، وهذا أمر طبيعي حيث كان لأم السلطان العثماني مكانة خاصة وكبيرة في العصر العثماني ، بل كان

---

(١٣) أدرنة من مدن الدولة العثمانية الهامة ، وهي العاصمة الثانية للدولة العثمانية بعد بورصه ، وهي من المدن القديمة ومن أسماءها Edrinus , Hadrianupolis Adrianapolis ، Adrianopolis ، Endriye ، Edrune ، Edrinabolu , وقد أسست أدرنة في القرن الثاني الميلادي ، وتقع في تراقيا الغربية واكتسبت أهمية كبرى بعد تأسيسها لموقعها الفريد حيث أصبحت قاعدة هامة للوحدات العسكرية ومكانا لتصنيع الأسلحة ، وتعرضت أدرنة قبل الفتح التركي الإسلامي إلى الاحتلال والسيطرة من قبل قوات وافدة مثل البلغار والرومان والبيزنطيون ، وتم حصار أدرنة في أواخر أيام السلطان العثماني أورخان غازي الذي توفي قبيل فتح المدينة وسقطت أدرنة على يد ابنه السلطان مراد الأول سنة ١٣٦٢م ، وجعلها عاصمة للدولة العثمانية سنة ١٣٦٦م ، ولعبت أدرنة دورا استراتيجيا هاما في سيطرة القوات العثمانية على تراقيا وبلاد البلقان ، وأصبحت بمثابة قاعدة عسكرية تتحكم في طرق الحملات العسكرية المتجهة نحو جبال البلقان ، وأمنّت فتوحات العثمانيين في أوربا ، وقد ازدهرت أدرنة خلال العصر العثماني بعد أن أصبحت عاصمة للدولة وشيّد بها الكثير من منشآت السلاطين خاصة في عهود السلاطين مراد الأول ، وبايزيد الأول (يلدريم) ومراد الثاني . انظر :

Kürşat Bumin : " Edirne from Yesterday to Today " Edirne , İstanbul 1993 , pp. 19-23 ; Pars Tuğlac, Op.Cit , pp. 102-103 .

(١٤) مغنيسا من مدن الأناضول القديمة ومن أسماءها Mağnezi ، Manisa ، Gordos Gördez ، ويرجع تاريخ المدينة إلى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد ، وكانت من مراكز الأناضول القديمة ، خضعت للامبراطورية البيزنطية لفترة طويلة (من ٣٩٥ حتى ١٣١٣م) ، وفي سنة ١٣١٣م استولت عليها إمارة بنو صارو خان واتخذتها عاصمة لها، وفي سنة ١٣٩٠م استولى عليها السلطان العثماني بايزيد الأول ، وبعد هزيمته في موقعه انقره سنة ١٤٠٢م عادت مغنيسا لحكم إمارة بنو صارو خان مرة ثانية ، وفي سنة ١٤١٠م استولى عليها مرة أخرى السلطان العثماني محمد جلبي الذي قضى نهائيا على إمارة بنوصاروخان ، وحكمت هذه المدينة من قبل ولاة العهود العثمانيين لفترة طويلة (من سنة ١٤٣٧ حتى ١٥٩٥م) ، وأصبحت بمثابة مركز لإعداد سلاطين المستقبل للدولة العثمانية . انظر :

- Pars Tuğlacı , Op.Cit , p. 235 .

لبعضهن دورا فى الحياة السياسية ، وتدخلن فى شئون الدولة واختيار بعض المسئولين الكبار بالدولة وكذلك ولاة الولايات التابعة للدولة .

ولمكانة الوالدة سلطان في الدولة العثمانية أطلق عليها عدة ألقاب تشريفية ، وكانت هذه الألقاب تُعبِّر عن وضع أمهات السلاطين المُميَّز فى المجتمع والدولة العثمانية ، وكانت ألقاب أمهات السلاطين العثمانيين تأتى مرادفة لآسمائهن سواء فى المصادر والوثائق العثمانية أو منقوشة على الرخام والحجر كنصوص تأسيسيه بعمائرهن .

ومن أهم الألقاب التى أطلقت على أمهات السلاطين العثمانيين لقب "مهد عليا" Mehdi ulya وهو من الألقاب القديمة التى استخدمت لأمهات السلاطين، واستخدم هذا اللقب من قبل فى بعض البلاد الإسلامية الشرقية ، وهو يُعبِّر عن المكانة العليا السامية التى كانت عليها أم السلطان العثمانى (١٥) . أما اللقب الثانى الذى شاع فى العصر العثمانى وأطلق على أمهات السلاطين العثمانيين فكان لقب " والدة سلطان Valide Sultan" وأول من استخدمه السلطان مراد الثالث حيث أطلقه على أمه نوربانو فصارت تعرف بـــ "نوربانو والده سلطان " وكانت تستخدم من قبل لقب " مهد عليا " وبعد ذلك تم تعميم هذا اللقب وأطلق على أمهات السلاطين العثمانيين (١٦) ونود أن نشير إلى أن لقب سلطان هنا استخدم كلقب تشريفى ولذلك كان يأتى دائما بعد الاسم العلم لوالدة السلطان ، وأيضا بعد لقب والدة مثل " نوربابو والدة سلطان " و"صفية سلطان" و"ترخان خديجه والدة سلطان " وغير ذلك .

وبالإضافة إلى المكانة التى تمتعت بها أمهات السلاطين العثمانيين نجدهم قد تمتعن بثروات مادية عظيمة مكنتهن من الانفاق على عمائرهن وأوقفن عليها أوقافا كثيرة ، وكانت أمهات السلاطين يخترن نوعية العمائر المزمع بناءها بعناية بحيث تلبى احتياجات أكبر عدد من سكان المجتمع ، ولذلك نجد أن عمائر ومنشآت أمهات السلاطين العثمانيين كانت عبارة عن جوامع ، ومدارس ، وبيمارستانات ، وأسبلة ، وحمامات عامة ، ودور للطعام ، وأضرحة لهن ولذويهن ، وكانت أمهات السلاطين يحرصن على إنشاء عمائرهن من مالهن الخاص دون اللجوء إلى خزينة الدولة أو أموال أبناءهن السلاطين (١٧) .

وكانت منشآت أمهات السلاطين عبارة عن مُجمّعات معمارية فى بعض الأحيان بحيث تشتمل على كافة الوحدات المعمارية اللازمة للمجتمع من جامع، ومدرسة، وسبيل ، ومستشفى ، ودار للطعام ، وأخيرا ضريح

---

(١٥)- Mehmet Zeki Pakalın : Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü , C.2 , İstanbul 1983 , p.442

(١٦)- İbid , Op.Cit , p. 442

(١٧)- Arzu İyianlar , Op.Cit , p.17

للمنشئة ، وأحيانا تكون عبارة عن مبنى مستقل منفصل عن أية مُجمّعات معمارية مثل بعض الجوامع والحمامات والأسبلة التى شُيّدت فى ميادين وأماكن بعينها لا تحتوى على أية عمائر أخرى للوالدة سلطان ، وبعبارة أخرى تراوحت منشآت أمهات السلاطين العثمانيين بين مُجمّعات معمارية ضخمة ، وعمائر مستقلة ، وربما كان السبب وراء إنشائها مستقلة ضيق الأراضي المتاحة لذلك ، أو ضعف الإمكانات المادية للوالدة سلطان عند الشروع فى البناء .

وسوف نتناول فى هذه الدراسة بعض المنشآت المعمارية التى تُعبّر عن النشاط المعمارى لأمهات السلاطين العثمانيين فى إستانبول وذلك وفقا للتسلسل التاريخى لإنشائها .

الأعمال المعمارية لنورباتو والدة سلطان Nurbanu Valide Sultan

نورباتو والدة سلطان هى زوجة السلطان العثماني سليم الثانى (١٥٢٤-١٥٧٤م)[١٨] وهى والدة السلطان مراد الثالث (١٥٤٦ - ١٥٩٥م) الذى حكم الدولة العثمانية لمدة واحد وعشرون عاما . وهناك بعض الآراء التى تذكر أن أصول نورباتو والدة سلطان يهودية ، وآراء أخرى تذكر أنها من أصول إيطالية[١٩] ، وقد تربت نورباتو فى القصر العثماني منذ أن كانت فتاة صغيرة ، وقد تزوجها السلطان سليم الثانى عندما كان أميرا ووليا للعهد فى ولاية مغنيسا، وأنجبت له الأمير مراد (الثالث)، وكان لنورباتو سلطان دور كبير فى وصول ابنها الأمير مراد إلى عرش السلطنة العثمانية ، ولعبت دورا كبيرا فى شئون الدولة فى تلك الفترة من خلال تواجدها فى القصر العثمانى ، وقد دخلت نورباتو سلطان فى صراع طويل مع زوجة ابنها السلطان مراد الثالث صفية سلطان وكان لها تأثير كبير على زوجها ، وعلى الرغم من نجاحها بادئ الأمر فى تقليص نفوذ صفية سلطان داخل القصر إلا أنه مع مرور الزمن وتقدمها فى السن انسحبت من القصر العثماني لتقيم في قصرها بمنطقة ينى قابى فى إستانبول حتى وفاتها فى ٢١ من ذي القعدة سنة ٩٩١ هـ /١٥٨٣م ، ودفنت بجوار

---

(١٨) السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان القانوني ووالدته خرّام سطان ، ولد فى ٢٨ مايو من عام ١٥٢٤م ، وتوفى فى ١٥ ديسمبر سنة ١٥٧٤م ، وكانت فترة حكمه ثمان سنوات مثل جده سليم الأول (١٥٦٦ - ١٥٧٤م) . تم فى عهده فتح جزيرة قبرص بعد حصار ومعارك ضارية استمرت لمدة عام ، وقد اتسعت رقعة الدولة العثمانية فى عهده عن ذى قبل، وفى عهده أيضا تم تجديد الأسطول العثماني واستطاع عن طريقه فتح تونس وضمها نهائيا إلي الدولة العثمانية . قام بإنشاء العديد من العمائر من أهمها جامعه الضخم فى أدرنه المعروف بالسليمية وهو من أعمال معمار سنان الأخيرة وقام بترميم جامع أيا صوفيا وألحق به ضريحا دفن فيه عند وفاته . انظر :

- Reşad Koçu : Osmanlı Padişahları, PP. 152- 57; Dedeoğlu , Op . Cit , P53

(١٩)– Arz İyianlar , Op.Cit , P. 21

زوجها السلطان سليم الثانى فى ضريحه الذى أقامه له المعمار سنان فى حديقة جامع آياصوفيا (٢٠) .

وقامت نوربانو والدة سلطان بإنشاء مجموعة معمارية ضخمة بحي طوب طاشى بمنطقة اسكُودَار Üsküdar (٢١) بالطرف الآسيوي من إستانبول ، وتكونت هذه المجموعة المعمارية من جامع ، ومدرسة ، وتكية ، ودارا للشفاء (مستشفى) ، ودار للحديث ، ودارا للقراء ، ودارا لإطعام الفقراء (عمارت) ، وكُتّاب وحمام ، وظلت هذه المجموعة المعمارية تعرف باسم " مُجمّع الوالدة سلطان " لفترة طويلة حتى قامت والدة السلطان أحمد الثالث كولنوش أمة الله سلطان بإنشاء مُجمّعها المعماري (٢٢) بالقرب من ميناء اسكُودَار خلال القرن ١٨م فأصبح المُجمّع المعماري الخاص بنوربانو والدة سلطان يعرف باسم "جامع والدة سلطان العتيق أو القديم " وذلك تميزا له عن الجامع والمُجمّع المعماري الذى شيدته كلنوش أمة الله سلطان والذى صار يعرف بـ " جامع الوالدة سلطان الجديد " وقد استقرت هذه التسميات منذ بداية القرن ١٨م(٢٣)، ومن الجدير بالذكر أن هذه الأسماء هى المستخدمة حاليا حيث يطلق على مُجمّع نوربانو سلطان اسم " عتيق والدة سلطان جامعي " وتعنى جامع والدة سلطان القديم ، واسم "يني والدة سلطان جامعي" ، وتعنى جامع الوالدة الجديد والمقصود جامع و مُجمّع كُلنوش سلطان ، ولكن هذه المنشآت لم تكن مجرد جوامع بل مُجمعّات معمارية ضخمة احتوت على وحدات كثيرة .

وقد انتهت نوربانو والدة سلطان من إنشاء الجامع ، وهو بمثابة نواة هذه المجموعة المعمارية الكبيرة وحول الجامع شُيدّت بقية وحدات هذا

---

(٢٠) محمد ثريا : سجل عثمانى ياخود تـذكرة مـشاهير عثمانيـة ، جـ١ ، إسـتانبول ١٣٠٨هـ، ص ٨٦

(٢١) اسكودار Üsküdar أحد أحياء مدينة إستانبول الشهيرة وتقع في الطرف الآسيوى من إستانبول ، وتشرف بموقعها الفريد على مياه البوسفور وبحر مرمرة وهى مدينة قديمة . وهناك روايات مختلفة حول اسم المدينة فالبعض يقول أن اسم اسكودار مـشتق مـن كلمةScutari وأنه في العصر= =البيزنطي كان يوجد في موقعها معـسكرات للجنـد تعرف بـ "Iskulariyon" وهناك رواية أخري تنكر أن اسكودار مشتق من الكلمـة الفارسية "Asitandar" ونظرا لأهمية موقع اسكودار فكان يستخدم منذ العصور القديمة كمقر للترسانات البحرية والمعسكرات، وقد أحتفظت اسكودار بأهميتها خلال العـصر العثماني حيث صارت منذ ضمها إلى الدولة العثمانية موقعـا لمعـسكرات الجيـوش العثمانية، واتخذت كقاعدة لتجميع القوات قبل انطلاق الحملات العسكرية وذلك لموقعها المهم على مضيق البوسفور وبحر مرمرة وكذلك إشرافها على الطرق المؤديـة إلـى الأناضول . انظر:

- Ibrahim Hakki Konyalı : Abideleri ve Kitabeleriyle Üsküdar Tarihi , Cilt . I, Istanbul . 1976 , PP . 3-4 .

(٢٢) سوف نتناول هذا المُجمّع المعمارى خلال هذه الدراسة .

(٢٣)- Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 23

المُجمّع ، وقد بدئ فى إنشاء الجامع ثم توالت عمليات الإنشاء فى بقية وحدات هذا المُجمّع المعمارى ، ويفيد النص الكتابي الذى يعلو مدخل الجامع إلى تاريخ الانتهاء من البناء وهو ٩٩١هـ/١٥٨٣م ، ولكن تشير المصادر والمراجع إلى أن البناء قد بدأ قبل هذا التاريخ بست سنوات أى سنة ١٥٧٧م ، وأن البناء استغرق بناءه ست سنوات (٢٤) ، وقد عهدت نورباتو سلطان إلى المعمار التركي الشهير معمار سنان (٢٥) عملية إنشاء هذا المُجمّع المعماري وقد أنجزه سنان على الوجه الأكمل على الرغم من طبيعة الأرض التى شُيّدت فوقها هذه المجموعة المعمارية ، حيث أنها أنشئت فوق قطعة أرض تقع على هضبة مرتفعة تطل على البوسفور ليست مستوية ، ولذلك تم توزيع الوحدات المعمارية حول الجامع وفق طبيعة الأرض ونجد أن مستوى الأرض فى بعض الوحدات المعمارية منخفض عن أرضيه الجامع ، وبعبارة أخرى هناك اختلاف بين مستويات الأرض فى الوحدات المعمارية المُشكّلة لهذا المُجمّع المعماري ، ويفصل بين تلك الوحدات ممرات عبارة عن أزقة ضيقة ، وقد انتهى البناء فى تلك المجموعة المعمارية سنة ١٥٨٣م كما ذكرنا من قبل وهى السنة التى توفيت فيها المنشئة نورباتو والدة سلطان .

---

(٢٤)– Mehmet Önder : Şaheser Camilerimiz , Ankara 2000, P. 65

(٢٥) معمار سنان أشهر مهندس تركي عرفه الفن المعماري التركي بوجه عام ، وُلد في قرية آغيرناص "Ağirnas" بولاية قيصرية Kayseri، ومنها جاء إلى إستانبول حيث التحق بوحدات الإنكشارية وساهم في بعض معارك الدولة العثمانية وشاهد انتصاراتها وقام بتشييد العديد من الجسور خلال تلك المعارك ، عرف بسنان العظيم أو الكبير، كان له الفضل الأكبر في اكتمال مسيرة النهضة المعمارية التركية بعد مئات التجارب السابقة في مدن وولايات الأناضول منذ بداية النشاط المعماري التركي بها ، ويرى البعض أنه لولا ظهور المعمار سنان لظل فن العمارة التركية ناقصا وغير مكتمل، عاش المعمار سنان سنوات طويلة وعاصر أكثر من سلطان عثماني، غير أن أهم أعماله المعمارية وأكثرها شهرة وتطورا تلك التي نفذها في عصر السلطان سليمان= =القانوني ومن بعده ابنه السلطان سليم الثاني، وقد أنجز سنان مئات الأعمال المعمارية المتنوعة ، وقد أوردت بعض المصادر التركية تفاصيل عن هذه الأعمال فذكرت أنه قام بتشييد ٨١جامعا ، و٥٠ مسجدا ، و٦١مدرسة، و١٩ضريحا ، و٣٧حماما، و ٣٣ قصرا ، و١٧ خان ووكالة ، و١٦ دارا لإطعام للفقراء (عمارت) ، و٣ مستشفيات ، و٦ تكايا ، و٦ كتاتيب ، و٨ جسور، و٥كشاك ، بالإضافة إلى بعض الأعمال المعمارية التي لم ترد في المصادر التركية التي أرخت للمعمار سنان ، وقد قال سنان عن بعض أعماله أنها كانت تمثل علامات في حياته العملية، فمثلا قال عن جامع شاه زاده محمد (٩٥٥هـ/١٥٤٨م) أنه كان يمثل مرحلة التلمذة له ، وقال عن السليمانية أنه يمثل مرحلة النضوج ، أما جامع السليمية في أدرنة (٩٨٢هـ /١٥٧٥م) فكان يمثل مرحلة الأستاذية والتفوق بالنسبة له ، ومن الجدير بالذكر أن سنان قد ترك مدرسة كبيرة في مجال فن العمارة تتلمذ بها الكثير من المعماريين الاتراك ، وظلت بصمته واضحة على المنشآت المعمارية التي شُيّدت بعد وفاته طوال القرن السادس عشر والسابع عشر، وكان لسنان أعمال كثيرة خارج تركيا . انظر:

- Aptullah Kuran : Mimar Sinan, Istanbul 1986,pp.20-24.

الجامع (لوحات ١-١٧)

الجامع عبارة عن مساحة مستطيلة يُغطىَ القسم الأوسط به قبة كبيرة ترتكز على ستة دعائم ، أى أن هذا الجامع ينتمي إلى طراز الجوامع ذات الستة دعائم ، وحول القبة أربعة أنصاف قباب ، وتبرز منطقة المحراب عن جدار القبلة وقد غطيت بنصف قبة ، وبالإضافة إلى المنطقة الرئيسة الكبيرة المغطاة بقبة وحولها أربعة أنصاف قباب توجد على يمين ويسار هذا القسم الأوسط مجنبتين أو رواقين صغيرين غطى كل قسم منهما بقبتين صغيرتين متجاورتين (٢٦) ، ومن الجدير بالذكر أن هذا الجامع كان فى الأساس مكون من قبة كبيرة حولها أربعة أنصاف قباب ترتكز على ستة دعائم ، وفى عصر لاحق قام الناظر على وقف الجامع وكان يدعى بر على بن مصطفى بعمل توسعة للجامع ، وأضاف مساحة جانبية على يمين ويسار كتلة الجامع وغطيت كل مساحة بقبتين متجاورتين ، وبذلك أخذ الجامع شكله الحالى (٢٧) . ويتقدم الجامع رواق أمامي يتقدمه من الجهة المطلة على الفناء الخارجي رواق أو ظلة لها رفرف خشبي كبير ، والرواق الأمامي الأول يتكون من أربعة قباب صغيرة وقبو متقاطع فى الوسط يقع أمام مدخل الجامع ، وترتكز هذه القباب والقبو على عقود نصف دائرية تعتمد بدورها على ستة أعمدة رخامية .

والجامع له مئذنتان رشيقتان من الحجر لكل منهما شرفة حجرية واحدة وقمة مخروطية مدببة على النمط العثمانى ، وقد سقطت الأقسام العلوية من هاتين المئذنتين نتيجة زلزال ضرب إستانبول فى القرن الثامن عشر ، وعقب ذلك أعيد بناء المئذنتين ، وتقع المئذنتان بطرف الواجهة الأمامية للجامع المطلة على الفناء الكبير أو الصحن الخارجى الذى يتقدم الجامع (٢٨) .

وتوجد كتابات خزفية تعلو شبابيك الرواق الأمامى ، تحتوى على آيات قرآنية، وقد وضعت هذه الكتابات داخل اطارات ضيقة احتوت زخارف نباتية من طراز الرومى باللون الفيروزى ، أما الكتابات الخزفية نفسها فقد كتبت باللون الأبيض على أرضيات بيضاء ، وعدد هذه الكتابات أو اللوحات الكتابية الخزفية عشر تجميعات مستطيلة تبدأ من جهة اليمين بدءا من المنطقة التى تعلو باب المئذنة اليمنى وتستمر فوق فتحات الشبابيك المستطيلة بالرواق الأمامى وصولا على المنطقة التى تعلو المئذنة اليسرى ، وهذه الكتابات الخزفية القرآنية نصها :

" وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذى "

---

(٢٦)- Oktay Aslanapa : Mimar Sinanın Hayatı ve Eser leri , Ankara 1988, P. 138

(٢٧)- Tahsin OZ : İstanbul Camileri , C-2,2. baskı, Ankara 1987, PP. 68-69

(٢٨)- Aptunah Kuran : Mimar Sinan , P. 185

" أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين " (٢٩)
" أشهد أن لا إله إلا الله "
" قل يا عبادى الذين أسرفوا فى "
" أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله "
" أن الله يغفر الذنوب جميعا "
" أنه هو الغفور الرحيم " (٣٠)
" وأشهد أن محمدا رسول الله "
" ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما " (٣١)
" ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته "

وتوجد كتابات أخرى باللغة التركية تعلو مدخل الجامع الرئيسى المقابل للمحراب(٣٢) ، ونصها كالتالى:

نوربـــانو أو ذات برعـــصمت طـــرف خيـــره ايليـــوب نيـــت
ايتدى بـــو معبـــد لطيفـــى بنـــا حبـــذا رأى احـــسن وزيبـــا
اثرى خاصـــدر بـــوخير كـــزين اولدى تاريخ زهى بهشت برين ٩٩١

وتفيد هذه الكتابات التى احتوت اسم المنشئة نوربانو والدة سلطان وصيفتْ على هيئة أبيات من الشعر صفات نوربانو صاحبة العصمة الفاعلة للخير والتي عقدت النية وبنت هذا المعبد (الجامع) البديع ، والذى جاء على هيئة حسنة وزخارف جميلة ، وهو من آثار خيرها المُختارة فصار كالفردوس العالي وكان تاريخه سنة ٩٩١هـ ، وكتب التاريخ هنا بطريقة حساب الجمل (٣٣) التى كانت شائعة الاستخدام فى العمائر العثمانية، ومن

---

(٢٩) سورة الفتح ، آية ٣- ٤
(٣٠) سورة الزمر ، آية ٥٣
(٣١) سورة الفتح ، آية ٤
(٣٢) يعرف هذا المدخل عند الأتراك باسم " باب الجماعة Cümle Kapısı"
(٣٣) حساب الجمل هو طريقة معينة في تدوين وكتابة التواريخ عن طريـــق الحـــروف أو الكلمات بدلا من الأعداد والأرقام ، ويشير كل حرف في هذه الطريقة إلى عدد معـــين واستخدم الأتراك هذه الطريقة في تسجيل تواريخ عمائرهم لا سيما تلك التـــي شُـــيدت خلال القرن الخامس عشر الميلادي في إستانبول ، وتعرف هذه الطريقة عند الأتـــراك بـــ " أبجد حسابي " وتجمع الحروف في كلمات معينة لا تعطى معنى معين ولكنها تشير إلى أرقام كما سبق القول ، وهذه الكلمات هي " أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ " ، وتفسير هذه الكلمات كأعداد يتم على النحو التالي :

أ = ١	ح = ٨	س = ٦٠	ث = ٥٠٠
ب = ٢	ط = ٩	ع = ٧٠	خ = ٦٠٠
ج = ٣	ى = ١٠	ف = ٨٠	ذ = ٧٠٠
د = ٤	ك = ٢٠	ص = ٩٠	ض = ٨٠٠
هـ = ٥	ل = ٣٠	ق = ١٠٠	ظ = ٩٠٠
و = ٦	م = ٤٠	ر = ٢٠٠	غ = ١٠٠٠
ز = ٧	ن = ٥٠	ش = ٣٠٠	
		ت = ٤٠٠	

الجدير بالذكر أن الوقفية الخاصة بهذا الجامع قد أشارت صراحة إلى أن نورباتو والدة سلطان قد انفقت جل ثروتها فى إنشاء هذا الجامع وبقية الوحدات المعمارية الأخرى الملحقة به كالمدرسة والمستشفى ودار الطعام والحمام والكُتّاب وذلك من أجل كسب الثواب ومرضاة الله (٣٤) .

ويتميز جامع نورباتو والدة سلطان كذلك بكثرة زخارفه الخزفية الداخلية سواء التجميعات التى تحتوى زخارف نباتية أو اللوجات الكتابية والكتابات الخزفية التى تعلو المناطق الجانبية للمحراب ، ونستطيع أن نقسم هذه الزخارف والكتابات الخزفية بمنطقة المحراب إلى مجموعتين ؛ الأولى تشمل أربعة تربيعات أو تجميعات خزفية تقع حول الشبابيك المستطيلة الموجودة فى كتلة المحراب التى تبرز عن جدار القبلة لتشكل منطقة تشبه الإيوان الصغير ، وكل تجميعة عبارة مستطيل يحيط به من الخارج إطار ضيق به زخرفة نباتية من طراز الرومى باللون الفيروزى ، وداخل المستطيل تكوين زخرفى عبارة عن فازة وضعت أسفل التكوين يخرج منها أغصان نباتية وورود تتجه إلى أعلى ويحيط بهذه الأغصان والورود أشكال تشبه البخاريات ، والألوان المستخدمة فى هذه التجمعات الأزرق والفيروزى والأخضر والأبيض ، أما الزهور المستخدمة فكانت اللاله والقرنفل والأوراق النباتية الصغيرة .

ويعلو التجميعات الخزفية المستطيلة على جانبى كتلة المحراب أشرطة كتابية خزفية وضعت بشكل أفقى فوق التجميعات الخزفية السابق وضعها ، والكتابات تبدأ من جهة اليمين وهى عبارة عن آيات قرآنية نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنه ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم صدق الله " (٣٥) ونفذت الكتابات باللون الأبيض على أرضيته زرقاء واستخدم اللون الأحمر الطماطمى بشكل قليل داخل بعض الحروف المغلقة مثل الفاء والعين والميم ، وكتبت الكتابات بخط الثلث .

وللجامع محراب رخامى أشرنا إليه من قبل وهو محراب عثمانى تقليدى عبارة عن حنية كسيت من الداخل بألواح الرخام الأبيض، والقسم العلوى من الحنية على هيئة مثلث به مقرنصات رخامية ، ويوجد على يمين

= - انظر :

- Celal . E . Arseven : Sanat Ansiklopedisi , C . I . 5 baskı , Istanbul . 1983 , p . 501 ;

ـ محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني , القاهرة ١٩٨٧ , ص ١٨٨ , حاشية رقم (٣) .

(٣٤) Mehmet Önder , Op.Cit , P. 65

(٣٥) سورة البقرة ، آية ٢٥٥

المحراب منبر رخامى صنع أيضا على هيئة المنابر العثمانية التقليدية الرخامية ، وهو من الرخام الأبيض مكوّن من ريشتين وصدر وله قمة مخروطية تشبه قمة المئذنة العثمانية ، وقد زخرفت جوانب أو ريشتى المنبر بزخارف هندسية بالحفر البارز والتفريغ ، ويعلو باب المنبر شريط كتابى منفذ فوق الرخام ، ويحتوى الجامع على كرسى مقرئ يعود إلى عصر الإنشاء وهو من الخشب المطعم بالصدف وقوام زخارفه أشكال من الطبق النجمى .

ويتميز جامع نورباتو سلطان بشدة إضاءته حيث احتوى على مجموعة كبيرة من النوافذ مختلفة الأحجام وقد فتحت فى مستويات مختلفة ، فالنوافذ فى المستوى السفلى من الجدران مستطيلة الشكل يغلق عليها من الداخل ضلف خشبية ومن الخارج ركب عليها مصبعات نحاسية ، والنوافذ فى المستوى العلوى من الجدران مستطيلة ذات عقود مدببة صغيرة عليها أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون وهى مجددة على النمط القديم ، وهناك مستوى ثالث علوى من النوافذ أقل حجما من السابق ، وقد فتحت فى أنصاف القباب حول القبة الكبرى التى تغطى المساحة الوسطى للجامع ، ولهذه النوافذ عقود نصف دائرية صغيرة وركب عليها أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون ، وأخيرا توجد نوافذ رقبة القبة وهى نوافذ أصغر فى الحجم من تلك الموجودة فى أنصاف القباب السابق الإشارة إليها ، وبهذه النوافذ عقود نصف دائرية صغيرة وركب عليها أيضا أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون ، ويبلغ عدد النوافذ بجامع نورباتو سلطان التى أشرنا إليها نحو ١١٤ نافذة موزعة بعناية فى جدران الجامع السفلية والعلوية وفى أنصاف القباب ورقبة القبة الكبرى .

ويغلق على مدخل الجامع باب خشبى مكون من مصراعين زخرف بأسلوب التطعيم بالصدف، وقوام زخارفه عناصر هندسية وأطباق نجمية ، أيضا زخرفت الضلف الخشبية التى تغلق على النوافذ السفلية بالجامع بالصدف، وقوام زخارفها رسوم وأشكال هندسية وأجزاء من الطبق النجمى.

ويتقدم جامع نورباتو والدة سلطان من الجهة الشمالية صحن كبير مكشوف يتوسطه شادروان للوضوء ، ويحيط به أروقة من الجهات الشمالية والغربية والشرقية، وهذه الأورقة تحيط بالجامع على هيئة حرف U اللاتينى ، ويقع خلف الاروقة غرف لها سقف من قباب صغيرة ، وكان عددها زمن الانشاء أربعون غرفة أصبح الآن ثمانية وثلاثون غرفة حيث أنه هدم غرفتين منها عندما تم إضافة محفل سلطانى ، وهو مكان كان مخصصا لاستقبال السلطان العثمانى عند مجيئه إلى الجامع وتم إضافة هذا القسم فى عهد السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ -١٨٣٩م) [٣٦] ، وذلك فى زاوية الصحن الجنوبية الغربية ، وغرف الصحن مربعة المساحة يغطى كل منها

(٣٦)– Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 35

قبة صغيرة ترتكز على مثلثات كروية ، ونصل إلى هذا الصحن بواسطة ثلاثة مداخل يتقدمها من الخارج سلالم صاعدة نظرا لارتفاع مستوى أرضية الصحن والجامع عن مستوى أرضية الشوارع والأزقة المحيطة بالجامع ، ويؤدى المدخل الشمالى إلى صحن المدرسة الملحقة بهذا المُجمَّع المعمارى حيث نهبط بسلالم إلى صحن المدرسة مباشرة، أما المدخلان اللذان يقعان فى الجانبين الشرقى والغربى فيؤديان مباشرة إلى أزقة خارجية ، وبالإضافة إلى هذه المداخل الثلاثة الكبيرة والمكون كل منها من حجرة كبيرة تشبه الدركاة يغطيها قبة ثم تفتح على الصحن، هناك باب رابع صغير مباشر ليس له قبة فتح فى جدار الصحن الجنوبى فى الزاوية الشرقية وهو يؤدى إلى حديقة خلفية تقع خلف جدار القبلة استخدم قسم منها كحوش للدفن(٣٧) .

المدرسة

تُشكِّل مدرسة نورباتو سلطان جزءا مهما فى مجموعتها المعمارية ، وهى تقع أمام الجامع من الناحية الشمالية ملاصقة لجدار الرواق الشمالى للجامع، وقد أشرنا من قبل إلى المدخل الشمالى برواق الجامع الشمالى والذى نهبط من خلاله بواسطة سلالم إلى صحن المدرسة مباشرة ، والمدرسة لها شكل أو تخطيط شبه منحرف وغير منتظمة نظرا لطبيعة الأرض المُشيَّدة عليها هذه المدرسة ، وللمدرسة ثلاث واجهات خارجية الأولى وهى الشمالية تطل على زقاق والدة كخياسى ، والواجهة الشرقية تطل على زقاق يفصل بينها وبين التكية الملحقة بمجموعة نورباتو سلطان ، والواجهة الغربية تطل على شارع قارتال بابا ، أما الجهة الرابعة والأخيرة وهى الجنوبية فتفتح على واجهة الجامع الشمالية ولا توجد بها أية جدران أو عناصر معمارية ، فقط المدخل الموصل إلى الجامع والذى نصعد إليه من خلال درجات سلالم ذكرناها من قبل، ويشبه تخطيط المدرسة تخطيط صحن الجامع السابق الاشارة إليه فهى عبارة عن تخطيط على شكل حرف U اللاتينى لكن الضلع الغربى قصير جدا ويحتوى على حجرتين فقط من حجرات المدرسة التى توزعت حول الصحن فى ثلاث جوانب الشمالى والشرقى والغربى ، ويتقدم الحجرات أروقة مكونة من قباب صغيرة ارتكزت على مثلثات كروية واعتمدت على عقود مدببة ترتكز على أعمدة رخامية عثمانية الطراز ، وحجرات المدرسة عبارة عن مساحات مربعة صغيرة يغطيها قباب صغيرة ترتكز على مثلثات كروية وبكل حجرة فتحة باب تطل على الصحن ، وفتحه شباك تطل على الخارج وللمدرسة قاعة درس (در سخانه) تقع فى منتصف الرواق الشمالى للمدرسة ، وهى قاعة أو حجرة كبيرة لها قبة أكبر حجما وأكثر ارتفاعا عن بقية قباب حجرات المدرسة ، ويتقدمها قبة رواق صغيرة على جانبيها قبو صغير فى كل جانب وهى تفتح

(٣٧) يعرف هذا الحوش الجنائزى عند الأتراك باسم " حظيرة Hazire "

على الصحن ، ويقع مدخل المدرسة الرئيسى فى الضلع الغربى ، وهناك مدخل آخر فى الضلع الجنوبى وهو الصاعد إلى صحن الجامع ، وبعبارة أخرى لهذه المدرسة مدخلان واحد يطل على الشارع الخارجى وهو الغربى والثانى يؤدى إلى صحن الجامع من الجهة الجنوبية وقد ذكرناه مرارا عد الحديث عن الجامع وصحن المدرسة ، ومن الجدير بالذكر أن صحن هذه المدرسة وكذلك صحن الجامع حاليا أصبح كحديقة غناء يحتوى على كثير من الأشجار والزهور . وقد جاء فى وقفية نورباتو والدة سلطان المحررة فى ربيع الآخر سنة ٩٩٠ هـ / أبريل ١٥٨٢م أن المدرسة ملاصقة للجامع من جهة الشمال وأنها خصصت للعلم وللعلماء وأن الواقفة كانت تولى أهمية خاصة وكبيرة للعلم والعلماء ، وأنها حريصة على الحفاظ على مكانة العلماء العالية بين أفراد المجتمع (٣٨) .

دار المرق

من الوحدات المعمارية الهامة التى احتوتها المجموعة المعمارية لنورباتو والدة سلطان ، وكانت فى العصر العثمانى من الوحدات الأساسية والمهمة فى المُجمّعات المعمارية التى شيّدها السلاطين العثمانيون وأمهاتهم وزوجاتهم ، وتعرف هذه الوحدة المعمارية عند الأتراك باسم عمارت (İmaret) ، وكانت هذه الوحدة التى تعرف فى الكتب العربية باسم دار المرق أو الطعام مخصصة لطهى الطعام واعداد المرق وتوزيعه على المقيمين بوحدات المنشأة كالمدرسة والتكية وكذلك لمن يرد من الضيوف، بالإضافة إلى فقراء الحى الموجودة به ، وكانت دور المرق تحتوى على بعض الوحدات مثل المطبخ ، والفرن ، ومخازن المؤن ، والارزاق ، وقاعة للطعام ، وحجرات للمستخدمين (٣٩).

ودار المرق بمُجمّع نورباتو والدة سلطان شُيّدت متجاورة مع دار الضيافة والخان ، ودار القراء ، ودار الحديث ، ودار الشفاء ، وهذه الوحدات مجتمعة فى مساحة واحدة كبيرة ولكنها مُشيّدة بشكل منفصل عن بعضها ويجمع بينها أسوار خارجية مشتركة ، ودار المرق عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسطها صحن مكشوف يحيط به أربعة أروقة وتبلغ مساحة الصحن ٢٤,٤٠ × ٢٧,٦٠ مترا ، ويوجد حجرات خلف أروقة الصحن يبلغ عددها ٢٩ حجرة ، وهى عبارة حجرات مربعة يغطيها قباب صغيرة ترتكز على مثلثات كروية ، ويكسو القباب ألواح الرصاص مثل بقية القباب بالجامع وفى بقية الوحدات المعمارية الأخرى وذلك لحمايتها من الأمطار والثلوج ، وتطل دار المرق على الطريق العام بواجهة ممتدة تبلغ ٨٦,٦٠ مترا ، ويقع مدخل دار المرق فى منتصف هذه الواجهة ، والمدخل

---

(٣٨)- Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 37

(٣٩)- Baha Tanman : " Sinanin Mimarisi İmaretler " Mimarbaşı Koca Sinan Yaşadığı Çağ ve Eserleri , C.1, İstanbul 1988 , P. 333

يؤدى إلى حجرة أو دركاة غطيت بقبة ، وتوجد بها أبواب تؤدى إلى الخان ، وأبواب أخرى تؤدى إلى دار الضيافة والمطابخ ، والباب الأوسط يفضى إلى الصحن الأوسط بدار المرق عبر ممر ودرجات من السلالم.

وبالإضافة إلى دار المرق والجامع والمدرسة احتوت منشأة نورباتو سلطان على وحدات معمارية أخرى ذكرناها من قبل مثل الخان ، ويتم الوصول إليه من خلال دركاة مدخل دار المرق ، وهو مكون من جناحين أو قسمين كل واحد به صحن مكشوف فتح عليه مجموعة من الحجرات المغطاة بقباب صغيرة، وعلى مقربة من الخان توجد دار الحديث وهى عبارة عن مجموعة من الحجرات المغطاة بقباب صغيرة، وكانت خاصة بمدرسى الحديث الشريف ، وتوجد دار الشفاء بالقرب من الوحدات السابقة ويحيط بها أزقة تفتح عليها الوحدات المعمارية التى أشرنا إليها من قبل مثل دار الحديث والخان ودار المرق، والمستشفى أو دار الشفاء كما ذكرت فى الوقفية لها صحن مكشوف فتح عليه مجموعة من الحجرات فى طابقين ، ولها مدخل واحد فى الضلع الشمالى ، ويفتح على الصحن حجرات المستشفى ويتقدمها رواق له سقف خشبى ، وتحتوى دار الشفاء على مسجد صغير يقع فى الزاوية الجنوبية الغربية.

التكية

ذكرت وقفية المنشئة هذه التكية وأنها شُيّدت ضمن المُجمّع المعمارى الخاص بها مع الجامع والمدرسة وبقية الوحدات الأخرى ، وأشارت إلى أنها كانت مخصصة لمشايخ الطريقة الخلوتية (٤٠) وقد استمرت هذه التكية تؤدى دورها كما ارادت لها الواقفة حتى الغاء الطرق الصوفية وغلق التكايا بعد قيام الجمهورية التركية فى سنة ١٩٢٣م ، والتكية لها تخطيط مستطيل غير منتظم لطبيعة الأرض المُشيّدة عليها ، وهى عبارة عن صحن مستطيل مكشوف يحيط به من أربع جهات أروقة لها أسقف خشبية وتقع حجرات الصوفية والشيوخ خلف هذه الأروقة ، ويبلغ عددها ٣٥ حجرة ، وهى حجرات مربعة غطيت بقباب صغيرة ترتكز على مثلثات كروية ، ولكل حجرة فتحة باب مطلة على الصحن ، وفتحه شباك ، وتحتوى كل حجرة أيضا على دولاب ، وللتكية باب أو مدخل رئيسى واحد يقع بالقرب من الزاوية الجنوبية الغربية من البناء .

والخلاصة أن منشأة نورباتو والدة سلطان جاءت كما أرادت صاحبتها مُكوّنة من عدة وحدات معمارية لكل منها وظيفة محددة ، وكانت تلبى احتياج عند المجتمع المسلم فى هذه المنطقة من إستانبول وهى الواقعة فى الطرف الآسيوى كما ذكرنا من قبل ، واحتوت منشأة نورباتو سلطان على كل العناصر والوحدات المعمارية التى كانت تحتويها منشآت السلاطين العثمانيين من جامع ، ومدرسة ، وتكية ، وخان ، ودارا للمرق ، ودارا

(٤٠)– Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 47

للشفاء ، وكُتّاب ، ودارا للحديث ، ودارا للقراء ، وحمام . ولكن هذه المنشأة لم تحتو على أية أضرحة خاصة بالمنشئة لأنها دفنت بجوار زوجها السلطان سليم الثانى فى ضريحه الملحق بحديقة آيا صوفيا ، وهو ضريح فخم من أعمال المعمار سنان وهو نفس المعمار الذى اقام جامع نورباتو سلطان وبقية الوحدات المعمارية الملحقة به، ومن الجدير أن المُجمّع المعمارى الخاص بنورباتو سلطان كان آخر المُجمّعات المعمارية الكبيرة التى أقامها المعمار سنان بعد انتهاءه من بناء جامع ومُجمّع السليمية فى أدرنة للسلطان سليم الثانى والذى انتهى من تشييده سنة ٩٨٢هـ/١٥٧٥ م[٤١] .

الأعمال المعمارية لصفية والدة سلطان Safiye Valide Sultan

تُعدّ صفية والدة سلطان من أقوى نساء القصر العثمانى ، وقد لعبت دورا كبيرا فى الحياة السياسية خلال القرن السادس عشر ، وصفية سلطان زوجة السلطان العثمانى مراد الثالث ، وتلقبت بلقب مهد عليا بعد أن تسلطن زوجها مراد الثالث ، ويقال أن صفية سلطان من أصول أوربية وتحديدا من عائلة بافو بالبندقية ، وأنها اختطفت بواسطة القراصنة الأتراك فى البحر الأدرياتيكى وتم تقديمها إلى السلطان سليم الثانى الذى قدمها لأبنه الأمير مراد وكان واليا على ولاية مغنيسا ، وتزوجها الأمير مراد وأنجبت له الأمير محمد (السلطان محمد الثالث) فى مغنيسا سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م ، وبعد تولى زوجها مراد الثالث عرش السلطنة العثمانية انتقلت صفية سلطان إلى السراى الجديد [٤٢] ، ومع وصول صفية سلطان إلى القصر الجديد ازداد نفوذها كوالدة سلطان فى شئون الدولة كما ذكرنا آنفا ، ودخلت صفية سلطان كطرف فى الصراع الذى كان قائما منذ فترة طويلة بين نورباتو والدة سلطان زوجة سليم الثانى(حماتها) وبين خُرّم سلطان حماة سليم الثانى [٤٣] . وكان هذا الصراع بسبب نفوذ سيدات القصر من أمهات السلاطين وزوجاتهم ، وبعد وفاة نورباتو سلطان ازداد نفوذ صفية سلطان وتحكمت

---

(٤١)- Godfrey Goodwin : A History of Ottoman Architecture , London 1987, P. 288 ; Oktay Aslanapa , Op.Cit , P. 97

(٤٢) المقصود بالسراى الجديد قصر طوب قابى سراى ، وكانت زوجة السلطان الجديد تنتقل إليه ، وفى نفس الوقت تترك زوجة السلطان المتوفى القصر الجديد وتنتقل للإقامة فى السراى القديم ، وكان مكانه الموقع الذى تحتله الآن جامعة إستانبول ، وقد شيّده السلطان الفاتح بعد فتح القسطنطينية وأقام به قبل إنشاء قصر طوب قابى سراى الذى عُرف باسم السراى الجديد (القصر الجديد) تميزا له عن قصر الحكم القديم ،والذى يقع اليوم فى حى بايزيد أحد احياء إستانبول القديمة بالطرف الأوربى من المدينة ، وكما سبق القول كان يقيم فى السراى الجديد زوجة السلطان الجديد وعندما يتوفى تعود للإقامة فى السراى القديم وهذا ما حدث مع صفية سلطان .

(٤٣) Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 55

فى بعض أمور وشئون الدولة مثل تعيين الوزراء ، بل أنها لعبت بعض الأدوار السياسية بالدولة ، واشتهر عن صفية سلطان قبولها الهدايا والأموال مقابل تقديم خدمات لكبار رجال الدولة مثل تعينهم فى وظائف الولاة أو الوزراء ، ونتيجة لذلك صارت تمتلك ثروات طائلة انفقت الكثير منها على الأعمال المعمارية التى قامت بها ، واستمرت صفية سلطان محافظة على مكانتها فى القصر والدولة حتى وفاة ابنها السلطان محمد الثالث سنة ١٠١٢ هـ /١٦٠٣م وعند ذلك أرسلت إلى السراى القديم حيث عانت العزلة والأهمال ولم تتحمل ذلك وتوفيت سنة ١٠١٤ هـ /١٦٠٥م ، ودفنت بجوار زوجها مراد الثالث فى ضريحه الخاص فى حديقة آيا صوفيا(٤٤).

وتُعرف صفية والدة سلطان فى المراجع العربية باسم الملكة صفية وينسب إليها الجامع القائم فى شارع الست صفية بالقرب من شارع محمد على بالقاهرة ، وشيّدت صفية سلطان الكثير من العمائر يأتى فى مقدمتها جامع " ينى جامع " (الجامع الجديد) بحى أمينونو Eminönü فى أحد أهم المواقع المطلة على بحر مرمره وخليج القرن الذهبى ، وقد شرعت صفية سلطان فى تشييده لكنها لم تستطع إكمال البناء ، وشيّدت فى مكة المكرمة سبيل وكُتّاب ، ووردت أقوال فى المراجع التركية تفيد أن صفية سلطان أنشأت أكثر من جامع وسبيل تشمه فى بعض المواقع خارج إستانبول .

جامع ينى جامع

أرادت صفية والدة سلطان أن تُشيّد جامع كبير فى مكان مُميّز داخل إستانبول وذلك من مالها الخاص ، وجمعت المعماريين بالقصر الجديد وسألتهم عن أنسب مكان لهذا الجامع فاختاروا موقع الجامع الحالى ، وطلبت من رئيس المعماريين دالغتش أحمد شاوش أن يبنى لها جامعا فخما يصبح معلما ورائعة معمارية فى ديار الاسلام ، وذلك من أموالها الخاصة كسبا للثواب ودعاء المسلمين ، وقامت بشراء الحدائق والمنازل وغير ذلك من المبانى التى كانت بالموقع ودفعت أموال طائلة أكثر من الأثمان الحقيقية لهذه المبانى ، وتم العمل فى حفر الأساسات الخاصة بالجامع وفق أسلوب معمارى يلائم طبيعة الأرض القريبة من البحر، فتم عمل قاعدة حجرية مدعمة بالرصاص لتتحمل البناء وتلائم الموقع وذلك فى سنة ١٥٩٧م ، واستمرت عملية البناء حتى اكتمل نصف البناء تقريبا وارتفعت الجدران حتى القسم العلوى من الشبابيك السفلية بالجامع ، وفجاءة توفى السلطان محمد الثالث سنة ١٦٠٣م وهو ابن المنشئة صفية سلطان، وأعقب ذلك ارسالها إلى السراى القديم كما ذكرنا من قبل وعزلت عن الناس وبسبب

(٤٤) محمد ثريا : سجل عثمانى ، ص ٤٨ ؛ Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 56 -

ذلك توقف البناء فى هذا الجامع الضخم لأكثر من نصف قرن ، وحين تولى السلطنة محمد الرابع تم إكمال هذا الجامع وفق المخطط الذى وضعه المعمار دالغتش أحمد شاوش [٤٥] ، وجاء تخطيطه مشابها لبعض الجوامع السابقة لاسيما جامع شاه زاده محمد وهو من أعمال المعمار سنان ، ومكون من بيت للصلاة مربع الشكل يغطيه قبة مركزية كبيرة حولها أربعة أنصاف قباب ، بالإضافة إلى أربعة قباب صغيرة فى أركان المربع ، وترتكز القبة وأنصافها على عقود كبيرة ارتكزت بدورها على أربعة دعائم ضخمة ، وسوف نتحدث عن وصف هذا الجامع بالتفصيل عند الحديث عن الأعمال المعمارية التى شيّدتها أم السلطان محمد الرابع تُرْخان والده سلطان والتى أكملت بناء هذا الجامع الضخم .

منشآت ماه پيكر كُوسَمْ والدة سلطان Mahpeyker Kösem Valide Sultan

من أشهر والدات السلاطين العثمانيين ماه پيكر كُوسَمْ والدة سلطان وهى زوجة السلطان العثمانى أحمد الأول (١٥٨٤-١٦١٧م)[٤٦] وأم السلطان مراد الرابع والسلطان ابراهيم، تلقبت بلقب " مهدى عليا سلطنت " لفترة طويلة من سنة ١٠٣٢ هـ حتى وفاتها فى شهر رمضان سنة ١٠٦١ هـ [٤٧] . وقد عاصرت كُوسَمْ والده سلطان عهود سبعة سلاطين ، واستمر نفوذها لنحو أربعون عاما ، وبعد دخولها القصر أو السراى الجديد منحت اسم " ماه پيكر " لكن الأسم الذى اشتهرت به هو كُوسَمْ Kösem والدة سلطانه ،وكان لها نفوذ قوى فى القصر العثمانى حتى بعد وفاة زوجها أحمد الأول على الرغم من أنها أرسلت إلى السراى القديم بعد وفاته وفقا للقواعد المعمول بها فى القصر العثمانى وعاشت به لمدة ست سنوات ، وقد تدخلت كُوسَمْ والدة سلطان فى اختيار السلطان العثمانى الجديد فبدلا من إعتلاء ابنها الكبيرالأمير عثمان (الثانى) رشحت كُوسَمْ سلطان أخو زوجها الأمير مصطفى (الأول) لتولى منصب السلطنة ، وبالفعل أصبح السلطان العثمانى

---

(٤٥)– Mehmet Önder , Op.Cit , P. 69

(٤٦) هو السلطان أحمد الأول ابن السلطان محمد الثالث ، والدته خاندان سلطان ولد في ١٨ ابريل سنة ١٥٩٠م وتوفى في ٢٢ نوفمبر من عام ١٦١٧ ، وحكم الدولة العثمانية ١٤ سنة ، تولى السلطنة وهو يبلغ من العمر ١٤ سنة وهو السلطان الرابع عشر بين سلاطين آل عثمان، كان يهتم بالعلم ومجالسة العلماء ، وكان شاعرا وله ديوان خاص به ، من أشهر أعماله المعمارية الجامع الذي شيّده فى مواجهة جامع آيا صوفيا بإستانبول ، وهو الجامع العثماني الوحيد الذي يحتوي على ستة مآذن ويعرف بالجامع الأزرق Mavi Camii ، ومن الجدير بالذكر أنه في عهد السلطان أحمد الأول بدأ إرسال كسوة الكعبة مباشرة من إستانبول ، وكانت كسوة الكعبة حتى بداية عصر السلطان أحمد تأتي من مصر . انظر :

- Abdulkadir Dedeoğlu, Op. Cit., p. 59.

(٤٧) محمد ثريا : سجل عثمانى ، ص ٦٦

الخامس عشر بين سلاطين آل عثمان ، وبهذا كسرت كُوسَمْ سلطان القاعدة المعمول بها من إنتقال السلطة من الأب إلى الأبن ، وبعد فترة حكم السلطان مصطفى الأول أصبح ابنها الأمير عثمان سلطانا للدولة ، وعلى الرغم من أن كُوسَمْ والدة سلطان عاشت فى السراى القديم خلال فترات حكم السلطان مصطفى الأول والسلطان عثمان الثانى إلا أنها لم تنعزل عن الحياة والتأثير فى الحياة السياسية مثل بقية والدات السلاطين اللاتى تم إبعادهن إلى القصر أو السراى القديم ، وبعد وصول ابنها مراد (الرابع) إلى عرش السلطنة عادت كُوسَمْ والدة سلطان إلى السراى الجديد مرة ثانية وذلك فى سنة ١٦٢٣م وظلت بها حتى وفاتها ولم تعد إلى السراى القديم مرة أخرى ، وكان السلطان مراد الرابع يبلغ من العمر عند اعتلاءه العرش أربعة عشر عاما ، واستمرت سلطنته نحو عشر سنوات تحكّمت خلالها كُوسَمْ سلطان فى شئون الدولة وإدارتها ، ويرى الكثير من المؤرخين الأتراك أنه منذ بداية عهد السلطان مراد الرابع دخل القصر العثمانى (مقر الحكم وإدارة الدولة) تحت نفوذ وإدارة والدات السلاطين [٤٨] ، ونجحت كُوسَمْ سلطان فى تغيير كثير من القواعد والتقاليد التى كانت متبعة فى القصر العثمانى منذ نشأة الدولة حتى فترة حكم وسلطنة ابنها مراد الرابع ، من ذلك أنها فتحت أبواب القصر وخاصة قسم الحرم [٤٩] وكان محرما على الأغراب الذين يقيمون خارج القصر العثمانى وكذلك كبار رجال الدولة ، وفى عهد كُوسَمْ والدة سلطان كانت تستقبل كبار رجال الدولة فى جناح إقامتها بقسم الحرم أو الحريم وكان يُعرفُ هذا الجناح باسم "والده سلطان دائره سى" أى الدائرة أو المكان المخصص للوالدة سلطان ، وكانت تناقش كبار رجال الدولة فى شئون الدولة وإدارتها ، وظلت إدارة الدولة العثمانية فى يد كُوسَمْ والدة سلطان لمدة عشر سنوات حيث كان لها الكلمة والنفوذ خلال تلك الفترة التى حكم بها ابنها مراد الرابع ، وبعد وفاة السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٩ هـ /١٦٣٩م وتولية ابنها الثانى السلطان ابراهيم الأول عادت كُوسَمْ والدة سلطان لفرض نفوذها على إدارة الدولة ، ولكن لم يستمر هذا الوضع طويلا حيث قام السلطان ابراهيم بإبعاد كُوسَمْ والدة سلطان من

---

(٤٨)– Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 63

(٤٩) يختلف مدلول كلمة " حرم " فى التركية العثمانية عن مدلولها فى العربية فهذه الكلمة "حَرَم Harem " تعنى فى العمارة العثمانية صحن أو فناء الجامع أو المنشأة و تعادل كلمة " أولو Avlu " في التركية الحديثة ، أيضا تعنى كلمة " حرم " المكان أو القسم المخصص للنساء فى البيت أو القصر وغير مسموح للرجال بدخوله (اى الحريم) . وهناك كلمة حريم " Harim " وهى مشتقة من الكلمة السابقة وتعنى فى المصطلح المعمارى العثمانى مكان أو بيت للصلاة وهو المكان المغطى فى الغالب بقبة مركزية كبيرة ، وأحيانا تطلق كلمة جامع على مكان الصلاة فقط دون الصحن . أنظر :

- Arseven : Sanat Ansiklopedisi, C.2 , Istanbul . 1965 , P. 688 ; Doğan Hasol: Ansiklopedik Mimarlik Sözlüğü , 2. Baskı , Ist. 1979 , P. 56

القصر بعد أن تخلص من نفوذها الطاغى ، غير أن كُوسَمْ سلطان خشيت من نفيها إلى جزيرة رودس بعد أبعادها عن القصر وأعطت الإذن لعزل ابنها السلطان إبراهيم وانتهى الأمر بقتله سنة ١٠٥٨ هـ /١٦٤٨م ، وتولى السلطنة العثمانية حفيدها الأمير محمد الرابع وكان يبلغ من العمر سبع سنوات ، وكان هذا الأمر سببا فى بداية فترة من الصراعات التى عصفت بالقصر والدولة، وانتهى الأمر بفقدان كُوسَمْ سلطان لنفوذها ومركزها بل وحياتها فى نهاية الأمر، وكانت قد دخلت فى صراع مع أم السلطان الجديد تُرخَان سلطان للقضاء على نفوذها الذى بدأ يظهر وتعاونت مع بعض أغوات (٥٠) المؤسسة العسكرية ودبرت مؤامرة لقتل ترْخان والدة سلطان لكن أمرها انكشف وتم قتل كُوسَمْ والدة سلطان نفسها على يد شخص يدعى كوچوك محمد الذى قام بخنقها فى سنة ١٠٦٢ هـ /١٦٥١م ، ودفنت فى ضريح زوجها السلطان أحمد الأول وهو ضريح فخم ملحق بجامعه الشهير فى حى السلطان أحمد والمعروف بالجامع الأزرق ، وقد تلقبت كُوسَمْ والدة سلطان أثناء حياتها بألقاب كثيرة مثل " أم المؤمنين " و "الوالدة الكبيرة " و " مهد عليا سلطنت " و " والدة سلطان " وبعد مقتلها أطلق عليها عدة أسماء مثل " الوالدة الشهيدة " و " الوالدة المقتولة " وهكذا انتهت حياة واحدة من أقوى نساء القصر العثمانى بعد أن عاشت أكثر من أربعين عاما داخل القصر وشهدت أيام مجد وعز (٥١) .

قامت كُوسَمْ والده سلطان بإنشاء بعض العمائر أهمها وأكبرها مجموعة معمارية فى اسكودار بالطرف الأسيوى من إستانبول بحى طوب طاشى ، وتعرف هذه المجموعة المعمارية باسم " چينلى كليه سى " وتعنى المُجمّع الخزفى أو الصينى ، وترجع هذه التسمية إلى الجامع الذى يتوسط هذا المُجمّع المعمارى قد كسيت جدرانه الداخلية ومحرابه بكميات كبيرة من البلاطات الخزفية فعرف بالجامع الصينى أو الخزفى وعُرفت المجموعة المعمارية بهذا الاسم ، وقد شُيّدت هذه المجموعة المعمارية سنة ١٠٥٠ هـ /١٦٤٠م ، وتذكر نقص المصادر والمراجع أن مهندس هذا الأثر هو المعمار قاسم أغا (٥٢) .

---

(٥٠) آغا كلمة تركية بمعنى الكبير أو العظيم أو السيد ومن معانيها أيضا الآمر أو الرئيس ، وكان هذا اللفظ يطلق على من يتولون المناصب الكبرى في الدولة العثمانية من العسكريين وذلك قبل عصر التنظيمات وإلغاء نظام الانكشارية ، وكان هذا اللفظ يلحق ببعض الأسماء الأخرى ليعطى معاني متنوعة مثل آغا بك بمعنى الكبير أو الأخ الكبير ، حرم آغاسى وهو الطواشي المشرف على الحريم السلطاني ، آغا قاپوسى وهى تعنى الدائرة أو المحل الرسمي الذي يقيم فيه آغا الانكشارية. انظر :

- Pakalın : Osmanlı Terimleri , C , I , p . 23 .

شمس الدين سامي : قاموس تركي ، ص ٣٨

(٥١)– Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 64

(٥٢)- Ibid, P. 67

وتضم هذه المجموعة المعمارية بالإضافة إلى الجامع كُتّاب ، وحمام مزدوج ، وسبيل ، وتشمشه ، ودار للحديث ، ومحفل سلطانى ، ويوجد كتابات تعلو مدخل الجامع على هيئة أبيات من الشعر تؤرخ لهذه المجموعة المعمارية بسنة ١٠٥٠هـ(٥٣).

الجامع (لوحات ١٨ - ٢٠)

يقع هذا الجامع فى زقاق الجامع الخزفى (چنيلى جامعى زقاغى) بحى نوح قويوسى بمنطقة اسكودار ، وهو يقع بالقرب جامع الوالدة القديم بطوب طاشى ، ويحيط بالجامع صحن أو فناء خارجى يُشكّل الجامع مركزه ، ويحتل الشادروان والسبيل الزاوية الشمالية بالسور الشمالى الذى يحيط بفناء الجامع ، وتقع المدرسة بالزاوية الجنوبية الشرقية للفناء ، ويقع الحوش الجنائزى الملحق بالجامع فى الزاوية الجنوبية الغربية ، ودورات المياه توجد فى الجهة الغربية ملاصقة لسور الفناء من الجهة الغربية ، ويحتوى السور الشمالى الخارجى لفناء الجامع على مدخل يؤدى إلى داخل الفناء ومدخل الجامع الداخلى ، ويعلو هذا المدخل الشمالى الخارجى نص كتابى باللغة التركية العثمانية عبارة عن أبيات شعرية من نظم شاعر يدعى فوزى (٥٤) تحتوى على اسم السلطان ابراهيم خان ابن المنشئة والدعاء لها، والوحدات الأخرى الملحقة بالجامع وتاريخ البناء وهو ١٠٥٠ هـ ، وصيغة النص هى :

مـــادر ســـلطان ابـــراهيم خـــان ... حضرت ســلطان اكــرم والــده
بو بناء حقى يابدى خيـــر أيـــچون ... تااولـــه بيـــت عبـــادت عابـــده
دعوت اولـــه بـــش وقتـــده رحمتـــه ... منـــزل اولـــه عابـــده وزاهـــده
يابدى مكتب ، چشمه ، حمام وسبيل ... كيم اكاحق لطف هم احسان ايـــده
أهل خيرى بونده طاعـــت ايـــده نـــى ... داخل ايت يـــارب جنـــان خالـــده
فـــوز يالفظـــا ومعنـــا تـــاريخى ... اولدى بيك الليده خيـــر الوالـــده

ويقع مدخل الجامع الوحيد فى منتصف الواجهة الشمالية التى يتقدمها ظله خشبية مثل الرواق ، وهو مدخل رخامى له عقد موتور ، ويعلو هذا المدخل نص كتابى باللغة التركية العثمانية على هيئة أبيات شعرية من نظم الشاعر همت (٥٥) ، ونصها :

همیشه حضرت والاجناب والده سلطان ... خلـــــوص ايلـــــه لوجـــــه الله
خيـــــرات ايتمـــــه درشـــــاتى ... يابوب بوجامعى اكه نيجه املاك وقـــف ايتـــدى
موقف ايتدى خيراته آنى توفيق ربـــاتى ... تمـــام اولنجـــه ديـــدى همتاتـــا
تـــــاريخيتى هـــــاتف ... بوجا معده اولان طاعتى اوله مقبول سـبحاتى
١٠٥٠هـ

(٥٣) حافظ حسين أيو انسرائى : حديقة الجوامع ، جـ١ ، إستانبول ١٢٨١ ، ص ١٨٤

(٥٤)- İbrahim Hakkı Konyalı : Abideleri ve Kitabeleriyle Üsküdar Tarihi , C.1, Istanbul 1976 , P. 131

(٥٥)- Ibid , P. 133

وتفيد الكتابات السابقة أن حضرة والدة السلطان شيّدت هذا الجامع خالصا لوجه الله ، وأنها أوقفت عليه أوقافاً كثيرة وقد وفقها ربها توفيق ربانى لهذا الخير ، والشطر الأخير يشير إلى تاريخ الجامع بعد الانتهاء منه وذلك لحساب الجمل وهو سنة ١٠٥٠هـ ، وينتهى النص بالدعاء لقبول الطاعات بهذا الجامع .

والجامع عبارة عن مساحة مربعة غطيت بقبة واحدة كبيرة وهو ينتمى إلى طراز معمارى عثمانى يعرف بطراز الجامع ذو القبة الواحدة ، ويكون الجامع فى هذا الطراز عبارة عن مساحة مربعة كبيرة أو صغيرة تغطى كلها بقبة واحدة . ويحيط بجامع كُوسَمْ والدة سلطان من الخارج ثلاث أروقة أو ممرات من الجهات الشمالية والشرقية والغربية غطيت بأسقف خشبية ذات رفارف مائلة ، ويقع مدخل الجامع الوحيد فى منتصف الواجهة الشمالية التى يتقدمها ظله خشبية مثل الرواق ، وهو مدخل رخامى له عقد موتور يعلوه كتابات باللغة التركية على هيئة أبيات من الشعر ذكرناها منذ قليل.

ونصل من المدخل السابق إلى داخل الجامع ومساحته من الداخل تبلغ ٩,١٢×٩,١٦ مترا ، ويغطى هذه المساحة قبة واحدة ارتكزت على رقبة لم تفتح بها أية نوافذ ، وقد اعتمد المعمار فى إضاءة الجامع على الشبابيك المفتوحة فى الجدران وهى على مستوين سفلى مستطيل وعلوى له عقود مدببة صغيرة، وقد فتح فى الجدارين الشرقى والغربى ثلاثة شبابيك فى المستوى السفلى ، وفى الجدارين الشمالى والجنوبى شباكان فقط ، وهى شبابيك مستطيلة يغلق عليها من الداخل ضلف خشبية ، ومن الخارج عليها مصبعات نحاسية ، أما الشبابيك العلوية فكما ذكرنا أقل حجما وعليها أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون. والجامع غنى بزخارفه الخزفية حيث تم تكسية جدرانه الداخلية لارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار حتى المستوى العلوى للمحراب ببلاطات خزفية تحتوى على زخارف نباتية ، بالإضافة إلى زخارف كتابية تعلو فتحات الشبابيك فى المستوى السفلى أحتوت على آية الكرسى ، وتنتهى التكسيات الخزفية من أعلى بشريط كتابى خزفى عريض يلف حول الجدران يحتوى على آيات قرآنية من سورة الفتح ، وللجامع محراب خزفى بديع كسيت حنيته من الداخل ببلاطات خزفية ذات زخارف بناتيه .

والخط المستخدم فى هذه الكتابات الخزفية هو النسخ ، وقد كتبت الكتابات باللون الأبيض على أرضية زرقاء ، وتمثل البلاطات الخزفية المستخدمة فى جامع كُوسَمْ والده سلطان النماذج الجيدة الأخيرة للخزف التركى وهى من صنع مدينة كوتاهيه Kütahya [٥٦] ، وتكسو هذه

(٥٦) كوتاهيه kütahya من مدن الأناضول الهامة ومن أسماءها القديمة سيراموريوم seramorum وقوتيوم Kotiyom ، ويعود تاريخ هذه المدينة إلى الأزمنة القديمة وخلال العصر العصر البيزنطي تعرضت المدينة لحملات العرب غير إنها لم تفتح-

البلاطات الخزفية كل المسطحات الداخلية كما ذكرنا من قبل ، الجدران وواجهات عقود الشبابيك فى المستوى السفلى ، ويبلغ عددها ستة شبابيك ، والمحراب والمنطقة التى تعلوه، بالاضافة الى الشريط الكتابى الخزفى الذى يلف حول الجدران من الداخل ويحتوى على آيات من سورة الفتح ، ومن الجدير بالذكر أن هذه التكسيات الخزفية تلفت النظر منذ الوهلة الأولى لدخول هذا الجامع وهو يستحق أن يطلق عليه بالفعل اسم "الجامع الخزفى".

وللجامع منبر رخامى عثمانى الطراز مُكَّون من ريشتين وصدر وله قمة مخروطية الشكل كسيت ببلاطات خزفية مثل بقية جدران الجامع ومحرابه ، وهذا المنبر من المنابر العثمانية القليلة التى كسيت قمتها ببلاطات خزفية ، وكما سبق القول فإن هذه المجموعة الخزفية من إنتاج مدينة كوتاهية وتعود إلى القرن السابع عشر واستخدم بها أسلوب الزخرفة تحت الطلاء (٥٧) .

وبالإضافة إلى الزخارف الخزفية التى تهيمن على زخارف الجامع الداخلية زخرفت المثلثات الكروية الحاملة للقبة ، وكذلك باطن القبة بزخارف بناتية من طراز الرومى (٥٨) وذلك بالألوان المائية .

=على أيديهم ، وقد فتحت على يد الملك المنصور أخو قطلومش سليمان فاتح ملازكرد وذلك سنه ١٠٧٤م وضُمت إلى الدولة السلجوقية وأصبحت بمثابة ولاية أو مدينة حدودية لدولة سلاجقة الروم وقد دخلت كوتاهيه تحت النفوذ العثماني سنة ١٤٢٩ م . وتحتوى مدينة كوتاهيه على مئات الآثار الإسلامية التي تعود إلى العصر العثماني . وتعتبر كوتاهيه المركز الثاني لصناعة الخزف في بلاد الأناضول بعد مدينة إزنيك انظر:

- Pars Tuğlacı : Op. Cit, pp. 220 – 225

(٥٧)- Halil Ethem : Camilerimiz , İstanbul 1934 , P. 83 ; Tahsin ÖZ, Op. Cit , P. 18

(٥٨) الرومي كلمة عربية أطلقت على طراز زخرفي نباتي شاع استخدامه عند سلاجقة الروم (الأناضول) ومن ثم نسب إليهم حيث قام سلاجقة الروم بتطويره واستخدامه بكثرة ، وقوام الزخارف في هذا الطراز عناصر نباتية من براعم وأوراق نباتية وأصناف مراوح نخيلية وأغصان ملتفة ، وزخارف الرومي تكون متصلة ببعضها وتنتهي عند أطرافها بأنصاف مراوح نخيلية بشكل محور يشبه منقار الطائر في أشكال متعاكسة واستخدم هذا الطراز بكثرة عند السلاجقة بالأناضول وكذلك عند الأتراك العثمانيين . ومن الجدير بالذكر أن أسلوب الرومي استخدمه الأتراك في موطنهم الاصلى بوسط آسيا في الأزمان القديمة وكان قوام زخارفه حينئذ أشكال حيوانية متعاكسة . وطوره الأتراك لاسيما في عصر سلاجقة الروم وانتقل عن طريقهم إلى بقية أنحاء العالم الاسلامى . ويشكل هذا الطراز الزخرفى أسلوبا مستقلا بذاته في فن الزخارف التركية . وكان يستخدم عند العثمانيين بكثرة في زخارفهم المعمارية خاصة الداخلية انظر :

- Celal Esad Arseven: Sanat Ansiklopedisi, Cilt 4, (Milli Egitim Basımevi) Istanbul . 1983, p. 1741; Adnan Turan : Sanat Terimleri Sözlüğü, 3 , baskı , Ankara . 1975 , p . 114 .

احمد محمد عيسى : مصطلحات الفن الاسلامى (منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول) إستانبول ١٩٩٤ , ص ١٥٣ .

ويحتوى جامع كُوسمْ والدة سلطان على مئذنة واحدة فقط تقع فى الزاوية الشمالية الغربية من الواجهة الأمامية للجامع ، وهى مئذنة حجرية لها بدن رشيق، وهو بدن إسطوانى به ضلوع أو زخارف على هيئة ضلوع وينتهى بشرفة حجرية واحدة ، وتنتهى المئذنة بقمة مخروطية عثمانية كسيت بصفائح الرصاص ، ويوجد أمام الجامع مساحة فضاء أو صحن خارجى به شادروان للوضوء وهو عبارة عن حوض يملأ بالمياه يعلوه سقف مخروطى يرتكز على ثمانية أعمدة رخامية صغيرة ، ويقع السبيل الملحق بالجامع بالقرب من الشادروان ، وهو سبيل عثمانى تقليدى له شبابيك تفتح على الصحن عليها أحجبة أو شبكات من النحاس بها أماكن أخذ المياه على هيئة عقود صغيرة متجاورة ، ومن الخارج له شباك عليه مصبعات أو شبكة من النحاس ، وينسب هذا السبيل أيضا إلى المعمار قاسم آغا [٥٩] .

المدرسة

وضُعت حجرات المدرسة فى الجانب الشمالى من الصحن الخارجى ، وهى بهذا الوضع لا تتناسب مع وضع الجامع الذى كان يستخدم فى ذات الوقت كقاعة للدرس (درس خانة) لحجرات المدرسة [٦٠] .

الحمام

كان يوجد بجانب جامع كُوسَمْ والدة سلطان حمام أطلق عليه الحمام الخزفى وقد اندثر الآن ، ويبدو أنه كان غنيا بزخارفه وبلاطاته الخزفية ولذلك أطلق عليه الحمام الخزفى ، وكان حماما عثمانيا فى طرازه وزخارفه الخزفية ، وهو حمام مزدوج أى من جناحين أو قبتين متجاورتين حمام للرجال والآخر للنساء ، ولكل قسم المدخل الخاص به [٦١] . ويحيط بجامع كُوسَمْ والدة سلطان من ثلاثة جهات من الخارج وهى الشمالية والشرقية والغربية ظلات خشبية بدلا من الأروقة وهى منخفضة وترتكز على دعائم خشبية صغيرة .

ومن الجدير أن لفظ چنيلى (بمعنى خزفى) قد أطلق على بعض الوحدات المعمارية التى كانت ملحقة بجامع كُوسَمْ والده سلطان مثل مدرسة الوالدة الخزفية ، والحمام الخزفى ، وبالإضافة إلى الأعمال المعمارية التى أشرنا إليها وشيّدتها كُوسَمْ والدة سلطان كان لها أعمال معمارية أخرى متنوعة فى العديد من أحياء إستانبول فقد شيّدت خان تجارى بالقرب من

---

(٥٩)- İzzet Kumbaracılar : İstanbul Sebilleri , İstanbul 1938 , P. 23

(٦٠)– Oktay Aslanapa : Osmanlı Devri Mimarisi , İstanbul 1986 , P. 344

(٦١)– Halil Ethem , Op.Cit , 83

حى امينونو وذكره اولياچلى المؤرخ التركى الشهير وقال عنه أنه من أوقاف الجامع الخزفى [٦٢].

منشآت خديجة تُرْخان والدة سلطان Hatice Turhan Valide Sultan

هى زوجة السلطان العثمانى الثامن عشر ابراهيم الأول (١٦١٥-١٦٤٨م) وأم السلطان محمد الرابع ، ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ ومكان ولادتها ، وتذكر المصادر التركية أنها من أصول مسيحية وعندما كانت فى الثانية عشر من عمرها وقعت فى يد أتراك القرم وبيعت إلى أحد الباشوات فى إستانبول يدعى كُور سليمان وأعطيت بعد ذلك كهدية إلى كُوسَم والدة سلطان ، وعند ذلك تغير مجرى حياتها بعد دخولها القصر العثمانى ، وأعطى لها اسم تُرْخان ورتب لها برنامج للتعليم داخل القصر ، وانتقلت إلى حريم السلطان ابراهيم، وفى سنة ١٠٥١هـ /١٦٤١م أنجبت الأمير محمد (الرابع) ، وبعد تولى ابنها عرش السلطنة العثمانية منحت لقب " مهد عليا سلطنت " غير أن تُرْخان والدة سلطان لم تستطع فرض نفوذها فى القصر العثمانى إلا بعد وفاة كُوسَم والدة سلطان سنة ١٠٦٢هـ /١٦٥١م [٦٣] ، وخلال هذه الفترة أطلق على ترخان سلطان لقب " كوچوك والدة سلطان " أى والدة سلطان الصغرى، وبعد وفاة كُوسَمْ والدة سلطان تغير الوضع وأصبحت خديجة تُرْخان والدة سلطان هى المتحكمة فى القصر العثمانى ، ولقلة خبرتها فى أمور السياسة والإدارة استعانت ببعض أغوات القصر فى تسيير بعض شئون الدولة ، وكان لهؤلاء تأثير سيئ على إدارة الدولة وأرتكبت بعض الاختلاسات ، وتم تعيين بعض كبار الموظفين وأصحاب المناصب الرفيعة بالدولة بتوصيه من تُرْخان والدة سلطان، ولكن يحسب لها تعيين كوپرلى محمد باشا فى منصب الصدارة العظمى[٦٤] بالدولة وكان من الشخصيات البارزة التى أدت خدمات جليلة للدولة العثمانية واستقرت أحوالها نتيجة سياسته ، وقد توفيت خديجة تُرْخان والدة سلطان فى ١٠ شعبان سنة ١٠٩٤هـ/٢٦ يوليو ١٦٨٢م عن عمر يناهز خمس وخمسين عاما ودفنت فى الضريح الذى شيّدته بالقرب من جامعها الشهير بـ "ينى جامعى" أى الجامع الجديد [٦٥] .

---

(٦٢)- Arzu ıyianlar , Op.Cit , P. 81

(٦٣)- Ibid , P. 90

(٦٤) يعتبر منصب الصدر الأعظم "Sadrazam" أهم منصب في الدولة العثمانية بعد السلطان العثماني، والصدر كلمة عربية وتعني مقدمة الشئ أو أوله، ومنها جاءت كلمة أو لقب الصدر الأعظم في التركية العثمانية ، واستخدم هذا اللقب للوزير الأول الذي كان يسيّر شئون الدولة.

- Mehmet Zeki Pakalin: Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü,C.3,Istanbul 1983,P.77

(٦٥) محمد ثريا : سجل عثمانى ، جـ١ ، ص ٢٧-٢٨

وتحتفظ مكتبة السليمانية بإستانبول بوقفية اصلية لثرْخان والدة سلطان تحت رقم ١٥٠ ذكر بها أهم الأعمال المعمارية التى قامت بها ثرْخان والدة سلطان وهى بنى جامع ، وسبيل ، وكُتّاب ، ومكتبة وضريح ، كما أنشأت فى ولاية چناق قلعة داخل القلعة السلطانية جامع ، وكُتّاب ، وبيوت لعساكر الحراسة ، وملاجئ، وعددا من الدكاكين [٦٦] .

جامع يكى [٦٧] جامع فى امينونو Eminönü (لوحات ٢١ – ٤٠)

سبق أن اشرنا إلى هذا الجامع عند الحديث عن النشاط المعمارى لصفية والدة سلطان التى يرجع الفضل لها فى اختيار موقع الجامع واختيار مهندس البناء وكذلك شروعها فى عمليات البناء ، وتم وضع الاساسات وارتفع البناء فى مستوى الشبابيك السفلية بالجامع ثم توقف العمل فى بناء الجامع نتيجة وفاة السلطان محمد الثالث ابن المنشئة صفية والدة سلطان ، وظل البناء متوقفا لمدة طويلة لأكثر من نصف قرن حتى سنة ١٦٦٠م عندما تولى الحكم السلطان محمد الرابع ابن ثرْخان والدة سلطان ، وكان رئيس المعماريين بالقصر العثمانى مصطفى أفندى الذى كان حزينا ومتأثرا بالحالة التى كان عليها جامع صفية سلطان ، حيث أنه مع مرور الزمن تخرب وتعرض للتدمير واحيط بمنازل متواضعة لبعض اليهود ، وقام المعمار مصطفى أفندى بنقل صورة الجامع وما آل إليه إلى الصدر الأعظم كوپرلى محمد باشا وقال له " إن هذا الجامع لم يكتمل، وكثرت بيوت اليهود حوله وصار خرابة وهذا الوضع لا يليق بالدين الإسلامى أو بالدولة ، وإن البناء توقف عند الشبابيك السفلية ، وأنه فى حالة اتمامه سيكون وسيلة لدعاء المسلمين للدولة ولحكام وأهل العصر إلى يوم الدين"[٦٨] . وقد أقتنع الصدر الأعظم بالأمر ونقل هذه الصورة إلى والدة السلطان ثرْخان والدة سلطان التى تعهدت بتدبير وتوفر كافة الأموال اللازمة لإتمام الجامع . وبالفعل تم العثور على مخططات الجامع التى وضعها المعمار مصطفى أفندى ودالغتش أحمد شاوش ، وأعيد العمل مرة أخرى فى انشاء بنى جامع. وتم انشاء الجامع ضمن مجموعة معمارية اشتملت على سوق مزدوج ، ودارا للحديث ، ومدرسة ، وسبيلان، ومحفل أو دائرة سلطانية[٦٩]

---

(٦٦)– Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 91

(٦٧) ينطق الحرف الثانى بهذه الكلمة (ك) نونا فى اللغة التركية العثمانية ويعرف بالكاف النونية، ويأتى دائما فى أواسط الكلمات وأخرها .

(٦٨)- Mehmet Önder , Op.Cit, P. 69

(٦٩) الدائرة السلطانية " Hunkar Dairesi " عبارة عن مكان أو مبنى أو وحدة صغيرة كانت تلحق بالجوامع السلطانية الكبرى وتكون فى الغالب بجوار المقصورة السلطانية= =ومتصلة بها ولها واجهات تطل على الطريق العام ولها مداخل خاصة وكانت هذه الوحدات أو الأماكن مخصصة لاستراحة السلطان و لوضوئه عند مجيئه إلى الجامع خاصة أيام الجمع وكان يستقبل بها بعد الصلاة بعض كبار رجال الدولة من المصلين . أنظر : - Doğan Hasol : Op. Cit , P. 228

مطلة على البحر ، واضيف للجامع مئذنة ثانية فصار له مئذنتين والحق بالبناء أيضا ضريحا للمنشئة ومدرسة ثانية ، وقد انتهت عمليات الانشاء فى سنة ١٦٦٣م ، وهكذا انتهى العمل فى هذا الجامع الضخم الذى بدئ فى بناءه على عهد صفية والدة سلطان واعادت بناءه وأكماله تُرْخان والدة سلطان ، وعرف الجامع باسم جامع الوالدة سلطان ، وعندما شيّدت بعض والدات السلاطين جوامع أخرى عُرفَ بجامع الوالدة سلطان الجديد (يكى والدة سلطان جامعى) ثم اختصر الاسم وصار يعرف بـ " يكى جامع " وتعنى " الجامع الجديد " [٧٠] . وهو الجامع العثمانى الوحيد الذى يعرف الآن بهذا الاسم ، أما الجوامع الأخرى التى عرفت بنفس الاسم وتقع فى اسكودار بالطرف الآسيوى من إستانبول فاحدها يعرف بجامع الوالدة العتيق وهو جامع نورباتو والدة سلطان وكان يعرف بالجامع الجديد من قبل ، ثم جامع الوالدة الجديد بالقرب من ميناء اسكودار وهو من انشاء كولنوش أمه الله والدة سلطان وسوف تتناوله هذه الدراسة ، أما مصطلح أو اسم الجامع الجديد فقط " يكى جامع " فيقصد به جامع تُرْخان والدة سلطان فى حى امنيونو .

وقد انتهى العمل من انشاء الجامع سنة ١٠٧٤هـ /١٦٦٣م وهناك نص كتابى يعلو المدخل الأوسط المطل على الصحن والمقابل للمحراب يشير إلى تاريخ الانتهاء وهى سنة ١٠٧٤هـ ، وأهم ما يُميّز هذا الجامع أنه شُيّد على ساحل بحر مرمره وسط مجموعة معمارية كبيرة .

وقد أقيم الجامع الجديد (يكى جامع) فى موقع فريد بحى امينونو مطلا على مياه البحر ، ولذلك لجأ المعمار داود أغا إلى تأمين موقع الجامع وقام بعمل معالجة للتربة لمنع تسرب المياه إلى اساس وجدران الجامع ، وقام بعمل مجسات وأفرغ التربة من المياه ودق عدد كبير من الخوازيق وربط بينها باربطة من الرصاص ، وأقام قاعدة حجرية صلبة فوقها أقام فوقها اساسات الجامع ، ولذلك نجد أن الجامع الجديد قد شُيّد فوق قاعدة مرتفعة ويصعد إليه بمجموعات كبيرة من السلالم الرخامية تتقدم صحن الجامع من الجهات الشمالية والغربية والشرقية، وكان لهذا الجامع صحن خارجى أو أفنية تحيط به من كل جوانبه ، وكان يحيط بها أسوار حجرية فتح بها أبواب تؤدى إلى خارج البناء [٧١] ، وكان هذا الصحن الخارجى يوفر الهدوء والسكينة للمصلين ويضفى قدر كبير من الفخامة والاحتشام للجامع قبل الوصول إلى داخله بما كان يحتويه من أشجار وزهور ، وقد

---

(٧٠)- Mehmet Önder , Op.Cit, P. 69

(٧١) كان يحيط بالجوامع السلطانية الكبرى أفنية أو صحون خارجية تُزرع بمختلف أنواع الأشجار والزهور ولها أسوار حجرية منخفضة يتخللها أبواب صغيرة ، ومن خلال هذه الأفنية الخارجية نصل إلى صحن الجامع ذو الشادروان الذى كان يتقدم بيت الصلاة .

تهدمت أسوار هذا الصحن الخارجي وأبوابه وأصبح يحيط بالجامع حاليا ما يشبه الساحات الفضاء التى تطل مباشرة على مياه بحر مرمره (٧٢) .

ويعتبر تخطيط الجامع الجديد امتدادا لمدرسة المعمارسنان ، وهو يتشابه مع جامع شاه زاده محمد الذى تأثر به وهو من أعمال سنان ، وهو مُكون من قسمين بيت للصلاة وصحن ، أما بيت الصلاة فعبارة عن مساحة مربعة كبيرة غُطيت بقبة مركزية يبلغ ارتفاعها عن أرضية الجامع ٣٦ مترا ، وقطرها ١٧,٥٠ مترا ، والقبة لها قطاع مدبب قليلا ، وقد ارتكزت هذه القبة على أربعة عقود كبيرة ترتكز بدورها على أربعة دعائم ضخمة تُعرف عند المعماريين والآثاريين الأتراك بارجل الفيل (فيل آياغى) ، وتستمر هذه الدعائم من خارج البناء حول القبة لتُشكل أبراج داعمة للقبة لها شكل مثمن ويغطيها قبيبات صغيرة مضلعة ، ويوجد حول القبة المركزية أربعة أنصاف قباب ترتكز بدورها على أرباع قباب ، وهذا التدرج فى القباب وأنصافها وأرباعها نشاهده من الخارج وهو يعطى شكلا جميلا للبناء ، وبالاضافة إلى القبة المركزية وأنصافها الأربعة يوجد أربعة قباب صغيرة تغطى زوايا مربع الجامع ، واحتوت رقبة القبة الرئيسية وأنصاف القباب وأرباعها على نحو ٣٥ فتحة شباك متعدد الأحجام، وهى شبابيك صغيرة معقودة عليها أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون ، هذا بالإضافة إلى فتحات الشبابيك فى المستوى السفلى من جدران الجامع ويبلغ عددها ثلاثون شباكا مستطيلا ركب عليها من الداخل ضلف خشبية ومن الخارج مصبعات من البرونز ، ويعلوها فى المستوى العلوى من الجدران شبابيك مستطيلة ذات عقود أقل حجما من شبابيك المستوى السفلى عليها أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون فيما عدا الشبابيك العلوية التى فتحت فى الجدار الفاصل بين الصحن وبيت الصلاة فهى شبابيك مستطيلة عليها مصبعات من الخارج وضلف خشبية من داخل بيت الصلاة ، وهى تطل على الرواق الأمامى بصحن الجامع ، وقد وفرت هذه الاعداد الكبيرة من فتحات الشبابيك إضاءة كافية للجامع .

وللجامع الجديد محراب رخامى عثمانى الطراز يتوسط جدار القبلة وهو من الرخام الأبيض له حنية ذو عقد مقرنص ، وعلى يمين المحراب يوجد منبر رخامى عثمانى تقليدى من ريشتين وصدر به زخارف محفورة بجانبيه وقمته مخروطية تشبه قمم منذنتى الجامع .

وأهم ما يُميّز الجامع الجديد من الداخل كثرة زخارفه الخزفية حيث كسيت الدعائم الأربعة الحاملة للقبة المركزية وهى ذات قطاع مربع ببلاطات خزفية لارتفاع نحو ثلاثة أمتار ، أيضا كسى الجدار الخاص بالرواق الأمامى ببلاطات خزفية لارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار وتنتهى الكتسيات الخزفية بأشرطة كتابية مستعرضة احتوت آيات من القرآن الكريم ، وهى منفذة بخط

(٧٢)– Tahsin Öz, Op.Cit, P. 153

النسخ باللون الأبيض على أرضية من اللون الأزرق وبها قليل من اللون الفيروزى ، وكذلك كسيت حنايا المحرابان الخارجيان بالرواق الأمامى ببلاطات خزفية ذات زخارف نباتية يغلب عليها اللون الفيروزى ، وهذه البلاطات من انتاج مدينة إزنيك وهى من الأمثلة الجيدة التى تعود إلى القرن السابع عشر (٧٣) .

ونصل إلى داخل بيت أو مكان الصلاة عن طريق ثلاثة مداخل الأول وهو أكثرها زخرفا ويتوسط الجدار الشمالى ، وهو الفاصل بين صحن الجامع وبيت الصلاة وهو المقابل للمحراب ويعرف عند الأتراك بباب الجماعة ويعلوه من ناحية الرواق الأمامى قبة أكثر ارتفاعا وأكبر حجما من بقية قباب الرواق الأمامى ، والمدخل له برج مستطيل من الرخام الأبيض يحيط به اطارات رخامية ، ويحتوى المدخل على فتحة باب مستطيلة عليها عتب رخامى مستطيل يعلوه كتابات عثمانية تأسيسية اشارت إلى تاريخ انتهاء البناء وهو سنة ١٠٧٤هـ ، ويتوج حجر المدخل قمة على هيئة مثلث رأسه الأعلى ملئت بالدلايات الرخامية، أما المدخلان الأخران اللذان يؤديان إلى داخل الجامع فيقع أحدهما فى الجدار الغربى من بيت الصلاة والثانى يقع فى الجدار الشرقى، وهى مداخل بسيطة إذا ما قورنت بالمدخل الأوسط الذى يتعامد على المحراب والمشار إليه آنفا .

والقسم الثانى من الجامع وهو الصحن عبارة عن مساحة مربعة يتوسطها شادروان للوضوء ، ويحيط بالصحن أربعة أروقة يغطيها أربع وعشرون قبة صغيرة تعتمد على مثلثات كروية تعتمد بدورها على عقود مدببة ترتكز على عشرين عمود رخامى ، ويكسو قباب أروقة الصحن ألواح الرصاص شأنها شأن بقية قباب الجامع وأنصافها وذلك لحمايتها من الأمطار والثلوج . وشادروان الوضوء عبارة عن بناء مثمن من الرخام احتوى على عقد مدبب صغير ارتكز فى كل ضلع من أضلاع المثمن يعتمد على عمودين صغيرين مدمجين من الرخام الأبيض ، وتنتهى واجهات الشادروان بصف من الشرافات الرخامية الصغيرة على هيئة ورقة نباتية ثلاثية ، ويغطى الشادروان قبة صغيرة فوقها هلال نحاسى والقبة مكسوة بألواح الرصاص .

وقد كسيت أرضيات الصحن المكشوف وكذلك أرضيات الأروقة المحيطة به بألواح الرخام الأبيض ، ونصل إلى الصحن عن طريق ثلاثة مداخل محورية فى الجهات الشمالية والغربية والشرقية ، ولكل مدخل برج رخامى مستطيل فتح به باب ذى عقد رخامى موتور يغلق عليه باب خشبى من مصراعين ، وينتهى برج المدخل بصف من الشرافات الرخامية ، ويلى كل مدخل منطقة مربعة تشبه الدركاة يغطيها قبة أكبر وأكثر ارتفاعا من بقية قباب الأروقة حولها وغطيت أيضا بألواح الرصاص ، ومن الداخل نجد عقد المدخل المطل على الصحن أكبر من بقية عقود أروقة الصحن ، وكان

(٧٣)- Mehmet Önder, Op.Cit, P.69 ; Halil Ethem, Op.Cit, P. 87

الهدف بطبيعة الحال هو تمييز كتل المداخل الثلاثة المحورية وذلك عن طريق القباب المرتفعة والعقود الكبيرة ، ويتقدم المداخل الثلاثة من الخارج وكذلك المدخلان اللذان يفتحان مباشرة على بيت الصلاة من الجهتين الشرقية والغربية مجموعات من السلالم الرخامية الممتدة على مساحة مستعرضة أمام مداخل الجامع والصحن .

ويحتوى بنى جامع على مئذنتين حجرتين رشيقين ، وقد وضعتا على واجهة بيت الصلاة فى الضلع الشمالى بين بيت الصلاة والصحن ، ولكل مئذنة قاعدة حجرية مربعة تتحول إلى شكل أو بدن اسطوانى عن طريق مثلثات، وينتهى البدن الأول بشرفة حجرية لها درابزين من الحجر المفرغ ، ويلى ذلك القسم الثانى من المئذنة وهو أقصر من البدن السابق وينتهى بشرفة حجرية تشبه السابقة ، ثم البدن الثالث وهو قصير أيضا ينتهى بشرفة حجرية تشبه السابقة ، ثم الطابق الأخير من المئذنة الذى ينتهى بقمة مخروطية الشكل وهى خشبية كسيت بصفائح الرصاص ، وبعبارة أخرى أن لهذا الجامع مئذنتين حجريتين متماثلتين ، لكل منهما ثلاث شرفات حجرية وقمة مخروطية ، وهذه المآذن من الأمثلة الجميلة للمآذن العثمانية التقليدية [٧٤] وبالاضافة إلى كتلة الجامع شيّدت تُرْخان والدة سلطان بعض الوحدات المعمارية الأخرى بالقرب من الجامع وكانت تُشكّل فى مجموعها مُجمّع معمارى كبير أدى بالفعل خدمات متنوعة لسكان الحى ، ومن هذه الوحدات المعمارية كُتّاب ، ودارا للقراء ، وسبيل ، وتشمه ، وضريح خاص بالمنشئة ، وبالفعل افتتحت هذه المجموعة المعمارية فى شهر رمضان سنة ١٠٧٤ هـ كما ذكرنا من قبل ، وقامت المنشئة بتوزيع المشروبات والشربات على سكان الحى الذين تجمعوا أسفل المحفل الهمايونى ابتهاجا لهذه المناسبة [٧٥] . وقد إندثر كل من الكتّاب ودار الحديث ،وتبقى من هذا المُجمّع المعمارى الضخم الجامع ، والضريح ، ووحدة القصر الهمايونى (الملكى) ، والذى يقال أن المنشئة تُرْخان والدة سلطان شيّدته قبيل البدء فى انشاء الجامع الجديد للاقامة به عند مجيئها لمتابعة عمليات البناء ، وهذا القصر أو القصير ملاصق لجدار الجامع من الناحية الشرقية مطلا على مياه البحر وله مدخل خاص به ، ونظرا لأن العمل كان قد توقف من قبل فى هذا البناء أكثر من نصف قرن فكانت تُرْخان والدة سلطان حريصة على الانتهاء منه فى أسرع وقت وبناءه على أكمل وجه ، ومن ثم كان تشييد هذا القصر أو الاستراحة الملكية الملاصقة للجامع لمتابعة أعمال البناء ، وبالفعل تم الانتهاء من هذا الجامع وبقية الوحدات المعمارية الأخرى خلال ثلاث سنوات فقط [٧٦] .

---

(٧٤)– Anonim : Eminonü Camileri, İstanbul 1987, P. 217

(٧٥) حافظ حسين ايوانسريى : حديقة الجوامع ، جـ١ ، إستانبول ١٢٨١ هـ ، ص ٢٠

(٧٦)– Oktay Aslanapa : Osmanlı Devri Mimarisi , P. 347

القصر [٧٧] الهمايونى الملحق بالجامع (لوحات ٤١ – ٤٣)

من الكتل المعمارية الأصلية التى تعود إلى زمن إنشاء الجامع الجديد، وسبق أن أشرنا إلى أن المنشئة تُرْخان والدة سلطان أرادت متابعة عمليات البناء بنفسها فأمرت ببناء هذه الدائرة الملكية أو القصر بجوار الجامع للاقامة به عند مجيئها وتعرف هذه الوحدة المعمارية فى المصطلح الأثرى التركى بـ " القصر السلطانى أو الملكى Hünkar Kásrı " ويحمل هذا القصر كل مميزات وخصائص العمارة المدنية العثمانية خلال القرن السابع عشر الميلادى سواء كان ذلك من حيث التخطيط أو الزخرفة .

وتقع وحدة القصر الملكى فى الزاوية الجنوبية الشرقية للجامع الجديد ، ولهذا القصر أو الاستراحة السلطانية طريق صاعد خاص بها يقوم فوق قبو مرتفع له عقود مدببة ، ويشرف هذا القصر على مياه بحر مرمره والقرن الذهبى، وقد شُيّد القصر ملاصقا للجامع من جهة البحر معتمد على عقود حاملة له ، ويتكون هذا البناء من ثلاثة أقسام ، الأول منها وهو السفلى ويقع أسفل الطريق الصاعد إلى القصر ، ويشغله خمس حجرات أبعادها ٦×٣,١٠ مترا، وكانت مخصصة لبعض موظفى الجامع مثل الإمام والمؤذن وكمكان للانتظار ، وبجانب هذه الحجرات توجد حجرة كبيرة أبعادها ٤,٢٠×١٠,٩٠ مترا ، كانت تستخدم كمكان لاعداد الشربات (شربات خانه) الذى كان يوزع على المصلين عقب صلاة التراويح فى شهور رمضان ، وقد أشارت وقفية المنشئة إلى ذلك[٧٨]، والقسم الثانى من هذا القصر يُشكّله القسم أو الطريق الصاعد إلى المستوى العلوى ، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة ممتدة (٤٥,٢٠×٥,٩٥م) أرضيته من الحجر وسقفه خشبى مائل كُسِى من الخارج بألواح الرصاص ، ويفتح على هذا القسم أو الطريق الصاعد باب خشبى كبير يعلو رفرف ، وكانت الوالدة سلطان والسلطان يصعدان من خلال هذا الطريق الصاعد بالخيول أو العربة المخصصة للوالدة سلطان ، والقسم الثالث نصل إليه من خلال الطريق الصاعد السابق الاشارة إليه ، ويحتوى على حجرات كانت مخصصة للسلطان والوالدة سلطان للاقامة عند مجيئها إلى الجامع فى المناسبات الدينية والاجتماعية كالأعياد وغيرها ، ويوجد باب خشبى يغلق على القسم الثالث وهو مزخرف ومطعم بالصدف والعاج ، ومن الجدير بالذكر أنه قد فتحت بعض الشبابيك فى الطريق الصاعد المؤدى إلى القسم الثالث العلوى ، بالاضافة إلى الشبابيك التى فتحت فى حجرات الاقامة الخاصة بالوالدة سلطان والسلطان فى القسم العلوى وهى تطل على الساحة الخارجية وبحر

---

(٧٧) تطلق كلمة القصر العربية على المبانى أو الاستراحات متوسطة أو صغيرة الحجم ، أما القصور السلطانية الكبيرة مثل " طوب قابى " و " طولمه باغجة " فيطلق عليها لفظ " السراى " وبهذا تكون كلمة قصر العربية مستخدمة عند الأتراك بمعنى " قصير".

(٧٨)- Arzu İyianlar, Op.Cit , P. 104

مرمره . ونصل من الباب السابق إلى داخل القسم المخصص للسلطان والوالدة سلطان عن طريق دهليز طويل على هيئة حرف L وفى نهايته الشمالية توجد حجرتان لاستراحة الوالدة سلطان، وتوجد دورة مياه بين الحجرتين ، والجناح السلطانى الخاص بالوالدة سلطان فى القسم العلوى عبارة عن حجرة كبيرة ٣٩,٢٠×٥,٥٠ لها واجهة مفتوحة (تراس) تطل على الخليج بعقد كبير مدبب ، وتحتوى هذه الحجرة الكبيرة على عدة نوافذ للاضاءة والتهوية بالاضافة إلى نوافذ فى المستوى العلوى عليها أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون ، والشبابيك فى المستوى السفلى من هذه الحجرة يغلق عليها ضلف خشبية ولها إطارات من الرخام الأبيض .

وقد استخدم المعمار وسيلتين لتغطية هذه الحجرة وهى الأساسية فى هذا القصر ، الأولى قبة خشبية غطيت من المخارج بألواح الرصاص وهى تغطى قسما من الحجرة ، أما القسم الآخر من الحجرة فيغطيه قبو برميلى ، أيضا احتوت هذه الحجرات على مدفأة ضخمة كسيت كلها ببلاطات خزفية وهى من صنع مدينة إزنيك وتعرف هذه الحجرة باسم " حجرة المدفأة " . والحجرة الثانية الخاصة بالوالدة سلطان مساحتها ٤,٤٠×٥,٩٥ مترا وهى أصغر بكثير من السابقة ، وتحتوى على مدفأة كسيت واجهتها ببلاطات الخزف ، والحجرة لها سقف خشبى مسطح زخرف بالدهان الأخضر، ولهذه الحجرة أربعة شبابيك فى المستويين السفلى والعلوى ، ويفصل بين القسم الخاص بالوالدة سلطان والممر الصغير الذى يتقدمه باب خشبى من ضلفه واحدة مطعم بالصدف ، وقد شُيّد القصر السلطانى بالحجر ، ومن الداخل بالأخشاب والأبواب الداخلية كلها مطعمة بالصدف والعاج ، والجدران كسيت ببلاطات الخزف من عصر الانشاء صنع مدينة إزنيك ، والنوافذ العلوية ركب عليها أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون ، ومن الجدير بالذكر أن هذا القصر أو الاستراحة السلطانية متصلة بالجامع وذلك بواسطة باب صغير فتح فى الضلع القصير من الدهليز الذى يأخذ شكل حرف L السابق الاشارة إليه وهو يؤدى إلى شرفة صغيرة ومن خلالها تصل إلى المحفل السلطانى المشرف على داخل بيت الصلاة [٧٩]

ضريح تُرْخان والدة سلطان (لوحات ٤٤ - ٥١)

يعتبر ضريح تُرْخان والدة سلطان من أهم الوحدات المعمارية التى أنشأتها المنشئة بالقرب من جامعها الجديد ، ويقع هذا الضريح عند التقاء شارع ينى جامع مع زقاق چچك بازارى ، ويطل على شارعين ، وشُيّد

(٧٩)عادة ما تتصل الدائرة السلطانية من الداخل بالمقصورة أو المحفل السلطانى وهو المكان المخصص لصلاة السلطان و يعرف هذا الجزء بـ " Hunkar Mahfili " وكان له باب خاص وعادة ما يكون مرتفعا عن الجامع وله درابزين أو سياج نحاسى أو حديدى وهو يشرف على داخل الجامع من مستوى أعلى ، والغرض من وجود هذا المكان هو حماية السلطان أثناء الصلاة .

الضريح وسط فناء خارجي يحيط به زُرع به أشجار ونباتات متنوعة ، وهو بناء مربع يغطيه قبة ارتكزت على ثمانية عقود ارتكزت بدورها على ثماني أعمدة ، وهذا التخطيط يعتبر نسخة مكررة من تخطيط ضريح السلطان أحمد الأول (٨٠) ، وكما سبق القول فان الضريح عبارة عن بناء مربع يتقدمه ظله أو رواق صغير مكوّن من ثلاث أقسام الأوسط منها غطى بقبو متقاطع ، أما القسمان الأخران فيغطى كل منهما قبة صغيرة ، وبالاضافة إلى مربع الضريح هناك جزء أخر ناتئ يبرز عن الواجهة من الجهة الغربية ، ومساحة الضريح من الداخل ١٥,٠٨×١٥,٠١ مترا ، وهناك دخلة مستطيلة فى الجدار الغربى مساحتها ٥,٥٧×٣,٠٢ مترا ، وهذا الجزء يبرز عنه الجدار كما ذكرنا من قبل ، ويحتوى الضريح على مجموعة من فتحات الشبابيك وضعت فى ثلاث مستويات ويبلغ عددها ٤٧ شباكا ما بين شبابيك مستطيلة فى المستوى السفلى يغلق عليها ضلف خشبية من الداخل ومصبعات من البرونز من الخارج ، والشبابيك فى المستويات العليا مستطيلة ذات عقود مدببة عليها أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون . ويفتح على داخل الضريح باب مستطيل أبعاده ٢,٢٠×١,٥٢ مترا له عقد موتور، والباب مصنوع من الخشب مكون من مصراعين ، وقد صنع بأسلوب التجميع والتعشيق قوام زخارفه أطباق نجمية وأنصافها وهو باب مطعم بالصدف والعاج .ويلفت النظر فى هذا الضريح كثرة زخارفه الخزفية حيث كسيت جدران الرواق الذى يتقدم الضريح ببلاطات خزفية من بداية الجدران حتى ارتفاع ثلاثة أمتار ، وهى عبارة عن تجميعات أو تكوينات خزفية نباتية تقع بين الشبابيك المستطيلة فى المستوى السفلى بواقع تجميعتين حول كل شباك ، وتعلو هذه التجميعات وكذلك الشبابيك كتابات قرآنية خزفية باللون الأبيض على أرضية زرقاء ، أما التجميعات الخزفية فقوام الزخرفة بها فازات تخرج منها زهور وأوراق نباتية مثل زهور القرنفل والأوراق المسننة ، وهناك تجميعات خزفية أخرى قوام الزخرفة بها لفائف وأغصان نباتية منفذة بأسلوب الرومى ، والألوان الغالبة فى هذه البلاطات هى الأخضر بدرجاته المختلفة والأبيض ، أما الكتابات الخزفية أعلى هذه التجميعات فكما سبق القول فالألوان المستخدمة بها هى الأبيض للكتابات والازرق للأرضيات ، والكتابات منفذة بخط الثلث الجلى وهى عبارة عن آيات من سورة الملك . أيضا يكسو الجدران الداخلية للضريح بلاطات خزفية تتشابه مع تلك المستخدمة فى رواق الضريح الأمامى ، وأرضية الضريح من قطع الآجر الكبيرة ، وتحتوى أرضية الضريح على ٤٤ تركيبة أو تابوت كبير وصغير الحجم ، وضعت على قواعد رخامية وأحيط بعضها بسياج أو مقصورةمن الخشب الخرط ، وقد دفنت ترخان والدة سلطان (المنشئة) فى هذا الضريح ودفن بجوارها خمسة سلاطين عثمانيين والعديد

(٨٠)– Hakkı Önkal: Osmanlı Hanedan Türbeleri , Ankara 1992 , P. 203

من أحفادها ،وبعبارة أخرى أصبح ضريح تُرْخان والدة سلطان بعد انشاءه بمثابة مقبرة سلطانية عثمانية دفن بها نحو أربعة وأربعين شخصا ينتمون إلى أسرة آل عثمان منهم السلاطين محمد الرابع (ابن المنشئة) ، ومصطفى الثالث ، وأحمد الثالث ، ومحمد الأول ، وعثمان الثالث .ويغطى الضريح قبة من الآجر كسيت من الخارج بألواح الرصاص ومن الداخل بطبقة من الملاط ، ويوجد فى باطنها زخارف نباتية بالألوان المائية ، وترتكز القبة على رقبة مثمنة كسيت بقطع الرخام الأبيض من الخارج.

وضريح تُرْخان والدة سلطان ينتمى إلى الأضرحة العثمانية الكلاسيكية من حيث التخطيط والزخرفة ، وهو من أهم الأضرحة العثمانية حيث دفن به بالاضافة إلى ترخان سلطان خمسة سلاطين عثمانيين كما ذكرنا آنفا ، وعلى الرغم من عدم وجود كتابات بالضريح خاصة بالمنشئة ترخان والدة سلطان أو بتاريخ الانشاء إلا أن الضريح وتخطيطه وزخارفه تؤكد إلى أنه شُيّد مع الجامع وبقية وحداته المعمارية [٨١] .

السوق التجارى

من الوحدات المعمارية التى شيّدتها تُرْخان والدة سلطان بالقرب من جامعها السوق التجارى الذى يضم عشرات الدكاكين ، وكان الهدف من إنشاء هذا المبنى التجارى ضمن المُجمّع المعمارى للوالدة سلطان هو الحصول على دخل مادى يساعد فى الانفاق على متطلبات الجامع وبقية الوحدات الأخرى مثل المدرسة والسبيل والكتاب ودار القراء ، وكان الهدف من وجود تلك المنشآت التجارية فى غالبية العمائر العثمانية هو كما ذكرنا تحقيق دخل بصفة مستمرة حتى بعد وفاة المنشئ للانفاق منه على الأعمال المعمارية الخيرية التى شيّدها أثناء حياته [٨٢] .وبهذا الفكر أنشأت تُرْخان والدة سلطان سوقا تجاريا ضخما بالقرب من جامعها بحى امنيونو ويفتح مدخله الرئيسى على مياه بحر مرمره ، ويعرف هذا السوق التجارى حاليا باسم " السوق المصرى " ويرى البعض أن سبب هذه التسمية تعود إلى البضائع التى كانت تفد من مصر خلال العصر العثمانى لاسيما التوابل والبهارات التى كانت تباع فى هذا السوق فعرف بهذا الاسم (٨٣) ،ويعرف السوق أيضا باسم " سوق الوالدة " و " السوق الجديد" غير أن التسمية الشائعة والمستخدمة الان هى السوق المصرى .أما الشكل المعماري

---

(٨١)- Hakkı Önkal , Op.Cit , P. 205 ;
أر قطاى اصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد عيسى ، إستانبول ١٩٨٧ ، ص ٢٢١

(٨٢)- Mustafa Cezar : Typical Commercial Buildings of the Ottoman Classical Period and the Ottoman Construction System , İstanvul 1983, P.129

(٨٣)– Arzu İyianlar, Op.Cit , P. 113

والتخطيط الخاص بهذا السوق فعبارة عن شكل معمارى على هيئة حرف L وقد وضعت الدكاكين فى هذين الضلعين ، والسوق بهذا الشكل يحيط بضلعيه بجامع الوالدة سلطان (بنى جامع) من الناحيتين الشمالية والغربية ، ويفصل بينهما مساحة فضاء أو فناء زرع بمختلف أنواع الأشجار وكذلك شارع يفتح عليه أبواب الجامع من هذه الجهة .

وللسوق المصري أربعة مداخل رئيسية بالإضافة إلى مدخلين فرعين صغيرين، والأبواب الرئيسية يتقدمها أروقة والمدخل مكُون من طابقين ، الأرضى على جانبيه دكاكين ، والطابق الثانى به بعض الحجرات يصعد إليها بواسطة سلالم حجرية، وكانت هذه الحجرات تستخدم كمحكمة تجارية لحل المشاكل التى كانت تنشب بن التجار وتلك التى تنشب بين التجار والمواطنين حيث كان القضاة يجلسون فى هذه الحجرات لمتابعة أعمالهم (٨٤) .

أما بقية أقسام السوق فعبارة عن صفين متقابلين من الدكاكين تفتح على دهليز يشبه الشارع وهو مغطى بقبو برميلى فتح به شبابيك كثيرة معقودة للإضاءة والتهوية ، أما الدكاكين فيغطيها قباب من الآجر يكسوها من الخارج صفائح الرصاص ، وسبق أن أشرنا إلى مدخل السوق الرئيسي الذي يفتح على بحر مرمره ، أما الثلاثة أبواب الباقية فتفتح فى نهايات أضلاع مخطط السوق وهى تتشابه مع الباب السابق وصفه ، وقد شُيّد هذا السوق بقطع الحجر المصقول متوسط الحجر بالتناوب مع قطع الآجر ، والأقبية التى تغطى الممرات التى تفتح عليها الدكاكين وكذلك قباب الدكاكين شُيّدت بالآجر ويكسوها صفائح الرصاص من الخارج لحمايتها من الأمطار والثلوج ، ويبلغ عدد الدكاكين فى الضلع الكبير للسوق ٤٦ دكانا ، وعددها فى الضلع القصير ٣٦ دكانا ، وكما سبق القول فهى عبارة عن دكاكين متقابلة ومتماثلة فى أحجامها تفتح على الدهليز أو الممر أمامها ، وهو يشبه الشارع أو الحارة يغطيه قبو برميلى فتح به شبابيك معقودة ،وقد أضيف إلى السوق بعد إنشاءه ١٨ دكانا غطيت بأقبية وهى تفتح على زقاق جانبى يعرف بـــ " تحميص زقاق " (٨٥) .

ومن الجدير بالذكر أن هذا السوق قد ذكر فى وقفية المنشئة ترخان والدة سلطان التى تعود إلى سنة ١٠٧٣ هـــ /١٦٦٢م ، وهو يعتبر من أجمل الأسواق التجارية العثمانية التى اتبعت الطراز المعماري العثماني الكيلاسيكى في إنشاء هذه العمائر التجارية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين (٨٦) .

---

(٨٤)– Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 113

(٨٥)– Ibid, P. 114

(٨٦)– Mustafa Cezar, Op.Cit , P. 132

منشآت گولنوش[٨٧] والدة سلطان Gülnûş Valide Sultan

من أمهات السلاطين العثمانيين اللاتي كن لهن اهتمام بالعمارة والفنون كولنوش أمة الله والدة سلطان وهى زوجة السلطان محمد الرابع[٨٨] ووالدة السلاطين مصطفى الثانى [٨٩] وأحمد الثالث [٩٠] . تلقبت بلقب " مهدى عليا سلطنت " سنة ١١٠٦ هـ واحتفظت بهذا اللقب خلال سلطنة أولادها السلطان مصطفى والسلطان أحمد الثالث لمدة أكثر من اثنتى عشر سنة ، وقد توفيت كولنوش والدة سلطان فى التاسع من شهر ذى القعدة سنة ١١٢٧هـ /١٧١٥م وذلك فى القصر السلطانى فى أدرنة ، ونقل

---

(٨٧) ينطق الحرف الأول من هذا الاسم "گ" كما ينطق حرف الجيم فى اللهجة المصرية ، وگولنوش بمعنى " رحيق الورد أو شهد الورد " .

(٨٨) السلطان محمد الرابع هو السلطان العثمانى التاسع عشر من سلاطين آل عثمان، وهو ابن السلطان إبراهيم وأمه تُرخان والده سلطان ولد فى ٢٧ رمضان سنة ١٠٥١هـ / يناير ١٦٤٢م - جلس على عرش السلطنة العثمانية فى الثامن عشر من سنة ١٠٥٨ هـ /١٦٤٨م وكان طفلا وحكم الدولة العثمانية ٣٩ سنة ، وقد توفى فى الثامن ربيع الآخر سنة ١١٠٤ هـ /١٦٩٣م ، اشتهر السلطان محمد الرابع بحبه وولعه بالصيد لذلك أطلق عليه لقب " آوجى " بمعنى الصيّاد ، أنزل من عرش السلطنة سنة ١٠٩٩ هـ /١٦٨٧م وأرسل مع ابناءه إلى أدرنة Edirne التى كان يحبها وقضى غالبية سنوات حكمه بها مع زوجته كولنوس والدة سلطان، خاض عدة حروب مع روسيا وألمانيا وبولندا ، وظل بأدرنة حتى وفاته سنة ١٦٩٣م ونقل نعشه إلى إستانبول حيث دفن بضريح والدته تُرخان والدة سلطان بجوار ينى جامع .وقد حكم بعده من أولاده السلطان مصطفى الثانى ، والسلطان أحمد الثالث انظر :

محمد ثريا : سجل عثمانى ، جـ١ ، ص٧٠ ؛

- Abdülkadir Dedeoğlu : Osmanlı Albümü , C.1, İstanbul Tarihsiy , P.65.

(٨٩) ولد السلطان مصطفى الثانى فى إستانبول وهو ابن السلطان محمد الرابع ووالدته كولنوش والدة سلطان وكان مولده فى الخامس من يونيو سنة ١٦٦٤م ، وحكم الدولة العثمانية لمدة ٨ سنوات (من ١٦٩٥ إلى ١٧٠٣م) ، توفى فى ٢٩ من شهر يناير سنة ١٧٠٤م ، وكان قد أبعد عن الحكم بعد تمرد كبير حدث فى إستانبول سنة ١٧٠٣م وتوفى بعد أبعاده بنحو أربعة أشهر ودفن فى ضريح تُرخان والدة سلطان ، وكان يبلغ من العمر عند وفاته ٣٩ سنة . انظر

- Abdülkadir Dedoğlu , Op.Cit , P. 68

(٩٠) ولد السلطان أحمد الثالث فى ٣١ ديسمبر ١٦٣٧م وهو ابن السلطان محمد الرابع ، ووالدته كولنوش والدة سلطان، حكم الدولة العثمانية ٢٧ سنة (من ١٧٠٣ إلى ١٧٣٠م)، توفى فى ١ يوليو سنة ١٧٣٦م ، وكان خطاطا وشاعرا ، له بعض الأعمال المعمارية منها سبيله الفخم أمام قصر طوب قابى سراى ، وسبيل تشمسه فى اسكودار ، ومكتبة داخل قصر طوب قابى ، استخدمت المطبعة وأجهزة الطبع الحديثة لأول مرة فى عهده ، وأنجب الكثير من الأبناء منهم السلطان عبد الحميد الأول ، والسلطان مصطفى الثالث . يعرف عصره فى كتب الفنون والآثار التركية بعصر زهرة الالة (١٧٠٣-١٧٣٠م) . انظر :

- Abdülkadir Dedeoğlu , Op.Cit , P. 69 ; Celal Esad Arseren ; Türk Sanatı, İstanbul 1984, P. 83

نعشها من القصر إلى اسكودار بإستبانول حيث دفنت بالضريح الملحق بالجامع التى شيّدته هناك ضمن مجموعة معمارية كبيرة ، وكانت تبلغ من العمر عند وفاتها خمس وسبعين عاما ، كانت خيّره ، انفقت معظم أموالها فى أعمال الخير وإقامة العمائر ومنها جامعها باسكودار الذى يعرف بجامع الوالدة الجديد ، ولها بعض الأعمال المعمارية فى مكة المكرمة وشيدت بعض الجسور والأسبلة على طريق الحج [٩١] . ولها أعمال معمارية أخرى كثيرة فى بلاد الهرسك ، والمورة ، وأدرنة ، وجزيرة صاقز ، وهى أعمال متنوعة مثل المدارس والجوامع والأسبلة والكتاتيب ، وهى كما نرى كانت تقدم خدمات عديدة لأفراد المجتمع المسلم ، ولكن أهم وأضخم أعمال كولنوش والدة سلطان المعمارية كان جامعها الضخم فى اسكودار الذى شُيّد ضمن وحدات معمارية أخرى .

جامع الوالدة الجديد (لوحات ٥٢ – ٦٢)

يطلق على جامع كولنوش والدة سلطان فى أسكُودَار اسم " ينى والدة سلطان جامعى " أى جامع الوالدة سلطان الجديد ، وذلك تميزا له عن جامع الوالدة سلطان القديم الذى شيّدته نوربانو والدة سلطان فى حى طوب طاشى باسكودار وقد درسنا هذا الجامع خلال هذه الدراسة ، وجامع كولنوش والدة سلطان يضم أيضا دارا للمرق (عمارت) وكُتّاب ، وسبيل ، وتشششمه ، وضريح للمنشئة، بالاضافة إلى محفل سلطانى [٩٢] .ويقع جامع الوالدة الجديد الآن فى شارع الإسكلة (الميناء) ، بالقرب من سوق اسكودار ، ويُشكّل الجامع نواة المنظومة المعمارية التى شُيّد بها ،ولكن بقية الوحدات المعمارية الأخرى توزعت حول الجامع بين الأفنية الخارجية التى تحيط بالجامع بشكل أفقى ، ونعنى بتلك الوحدات المعمارية السبيل ، والضريح ، وحجرة الميقاتى (مؤقت خانة) ، والتشششمه ، وقد وضعت هذه الوحدات بطرف الفناء الخارجى مطلة على الطريق الرئيسى ، أما كتلة الكُتّاب فقد وضعها المعمار أعلى المدخل الغربى للفناء الخارجى . وعلى الرغم من أن الجامع الجديد شُيّد خلال عصر زهرة اللاله [٩٣] إلا أنه احتفظ بالاسلوب

---

(٩١) محمد ثريا ، المرجع السابق ، ص ٦٤

(٩٢) حسين أيوانسرايى : حديقة الجوامع ، جـ٢ ، إستانبول ١٢٨١ هـ ، ص ١٨٧

(٩٣) درج علماء الآثار والفنون الأتراك على تقسيم العمارة والفنون العثمانية إلى مراحل مختلفة لكل مرحلة ما يميزها عن الأخرى وذلك على النحو التالي :

- العصر العثماني المبكر (أسلوب بورصه ١٣٢٥ – ١٥٠١م) ويمتد منذ فتح مدينة بورصه حتى إنشاء جامع السلطان بايزيد الثاني في إستانبول .
- العصر الكلاسيكي (١٥٠١ – ١٦١٦م) ويمتد من فترة إنشاء جامع بايزيد في إستانبول حتى إنشاء جامع السلطان أحمد الأول في إستانبول.
- العصر الكلاسيكي المجدد (١٦١٦ – ١٧٠٣م) ويمتد من فترة إنشاء جامع السلطان أحمد حتى عصر السلطان أحمد الثالث .

العثمانى الكيلاسيكى فى التخطيط والزخارف والذى رأينا فى العمائر السابقة التى تناولتها هذه الدراسة ،ولذلك يعتبر الجامع الجديد فى أسكُودَار من الأمثلة المعمارية النادرة والقليلة التى شُيّدت خلال عصر زهرة اللاله ولم تتأثر بالتقاليد والاساليب الفنية الجديدة التى ظهرت خلال ذلك العصر بل ارتبط كما ذكرنا بالطراز المعمارى العثمانى الكيلاسيكى فى انشاء الجوامع والمُجمّعات المعمارية من حيث وضع وحدة الجامع وسط الوحدات المعمارية المُشكّلة للمُجمّع المعمارى ، والتى تتوزع حول الجامع ويفصل بينها وبينه أفنية زرعت بمختلف أنواع الأشجار ، وكتلة الجامع نفسها مُكوّنة من قسمين صحن مكشوف محاط بأروقة ، وبيت للصلاة عبارة عن مساحة مربعة غُطيت بقبة مركزية ارتكزت على منطقة مثمنة ، ويوجد مجنبتين على يمين ويسار مثمن القبة واحتوى الجامع على مئذنتين من الحجر على النمط العثمانى .

وقد بدأت عمليات الانشاء فى الجامع الجديد وملاحقه الأخرى سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م ، وانتهى البناء خلال عامين سنة ١٧١٠م [٩٤] .

ونصل إلى الجامع من خلال الأبواب التى فتحت فى الأسوار الخارجية التى تحيط بالجامع وبقية وحداته المعمارية وهى خمسة أبواب ، لكل منها اسم خاص به وتبدأ من الجهة الغربية المطلة على الطريق العام الرئيسى وهى باب السبيل والمحفل السلطانى ، وباب السوق ، وباب الإمام ، وباب دار المرق والكُتّاب ، وباب الخان ، وتؤدى هذه الأبواب إلى الصحن أو الفناء الخارجى الذى يحيط بالجامع ، ونصعد إلى الجامع بواسطة بعض المداخل التى يتقدمها سلالم حجرية ، وقد شُيّد الجامع فوق قاعدة مستطيلة مرتفعة عن أرضيات الأفنية الخارجية وكأن الجامع من الجوامع المعلقة ، وهذ الظاهرة توجد فى جوامع عثمانية كثيرة حيث يلجأ المعمار إلى انشاء قاعدة مرتفعة يُشيّد فوقها الجامع، وكان الهدف من وراء ذلك هو الارتفاع بمستوى الجامع وكأنه مُشيّد فوق ربوة مرتفعة مثل الجوامع السلطانية الكبرى التى شُيّدت فوق التلال أو الهضاب السبعة التى تتشكّل منها مدينة إستانبول .

- = عصر زهرة اللاله (١٧٠٣ – ١٧٣٠م) ويمثله عصر السلطان أحمد الثالث .
- عصر الباروك (١٧٣٠– ١٨٠٨م) ويمثله عصر السلطان محمود الأول وسليم الثالث .
- العصر الامبراطورى والنهضة الأجنبية (١٨٠٨ – ١٨٧٤م) ويمثله عصر محمود الثاني وعبد المجيد الأول ويستمر حتى بداية عهد السلطان عبد العزيز .
- الأسلوب الكلاسيكي الجديد (١٨٧٥ – ١٩٢٣م) ويمتد منذ إنشاء قصر تشيراغان سراى في إستانبول حتى قيام الجمهورية انظر :

- Celal Esad Arseven : Türk Sanatı , Istanbul 1984 , p . 83 .
– Oktay Aslanapa , Op.Cit , P. 369 (٩٤)

وصحن الجامع الجديد عبارة عن مساحة مستطيلة كبيرة ، ويفتح على الصحن ثلاثة أبواب ، الأول يتوسط الرواق الشمالى ، والبابان الأخران فتحا بجوار الرواق الأمامى للجامع ، وبمعنى آخر فتحا فى نهايات الرواقين الغربى والشرقى ، وكل مدخل له برج رخامى مستطيل وضع بداخله له عقد مدبب ، ويحيط بصحن الجامع أربعة أروقة مكونة من قباب صغيرة تحملها مناطق انتقال من مثلثات كروية تحملها عقود مدببة كبيرة ترتكز بدورها على أعمدة رخامية ، وكسيت قباب الأروقة من الخارج مثل قبة الجامع المركزية بصفائح الرصاص ، ويتوسط أرضية الصحن المكشوف شادروان للوضوء ، وهو مثمن الشكل من الرخام الأبيض يحتوى على عقود مدببة صغيرة ترتكز على أعمدة رخامية صغيرة مدمجة فى واجهات المثمن ،ويعلوها كرانيش من المقرنصات الرخامية وشرافات رخامية صغيرة ، وقد فتح فى واجهات مثمن الشادروان أسفل العقود ما يشبه الشبابيك عليها شبكات من البرونز المُشكل على هيئة أشكال هندسية ، وقد زخرفت الأقسام العلوية من واجهات الشادروان بزخارف نباتية محفورة فى الرخام وهى تضم عناصر نباتية من طراز الرومى ، وزهرة القرنفل ، وزهرة اللاله ، ويغطى الشادروان قبة صغيرة من الآجر يعلوها هلال نحاسى ، وكسيت القبة من الخارج بصفائح الرصاص . وقد فتح فى جدران أروقة الصحن صفان من الشبابيك فوق بعضها ، المستوى الأول عبارة عن شبابيك مستطيلة لها إطارات من الرخام الأبيض وعليها مصبعات من البرونز ، والمستوى الثانى من شبابيك أروقة الصحن مستطيلة صغيرة لها عقود مدببة .

ونصل إلى داخل بيت الصلاة من خلال الباب الذى يتوسط الرواق الجنوبى بالصحن والذى يعرف عند الأتراك بالرواق الأمامى أو مكان الجماعة الأخير " صوك جماعت يرى " ويغطى هذا الرواق قبو متقاطع فى القسم الأوسط الذى يعلو المدخل وعلى جانبيه قبتين واحدة فى كل جانب ، بالاضافة إلى أقبية برميلية فى الأقسام الباقية، وقد فتح فى جدار هذا الرواق صفان من الشبابيك ؛ سفلية مستطيلة عليها مصبعات برونزية من الخارج وضلف خشبية من الداخل ، وعلوية مستطيلة معقودة عليها أحجبة من الجص المعشق بالزجاج الملون ، وعدد هذه الشبابيك اثنان على يمين المدخل الأوسط ، واثنان على يسارة وبين كل شباكين فى المستوى السفلى يوجد محراب حجرى صغير ، ويؤدى الباب الذى يتوسط الرواق والذى يتعامد على المحراب إلى داخل الجامع (بيت الصلاة) ، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسطها مربع يغطيه قبة مركزية كبيرة ترتكز على ثمانى دعائم ويعرف هذا التخطيط فى المصطلح المعمارى التركى باسم " الجوامع ذات الثمانى دعائم "، وهذه الدعائم تُشكّل منطقة مثمنة ترتكز عليها عقود القبة الكبيرة ، ويوجد أربعة دعائم حرة أو مستقلة ، وأربعة دعائم أخرى

مُدمجة فى الجدران ، وتُشكل العقود من أعلاها أنصاف قباب ارتكزت عليها القبة الكبيرة ، وعلى يمين ويسار المنطقة الوسطى المثمنة يوجد مناطق جانبية أو مجنبات ، كل مجنبة مكونة من ثلاث أقسام صغيرة غطيت بقبتين صغيرتين وقبو متقاطع فى الوسط ، والقبة المركزية هنا ليست كبيرة وترتكز على رقبة مرتفعة ، ويحيط بها من الخارج أبراج صغيرة لتدعيمها . ويتوسط جدار القبلة بالجامع محراب ضخم يبلغ عرضه ٣,٤٠ مترا ، وارتفاعه ٥ متر ، وعمقه ٧٠ سم ، ويتوج حنية المحراب عقد ذو مقرنصات ، ويلفت النظر فى هذا المحراب البلاطات الخزفية التى تحيط بكتلة المحراب من الخارج ، وهى بلاطات خزفية زخرفت بالعناصر النباتية ، والألوان المستخدمة هى الأخضر الفاتح فى الأرضيات ، والأخضر الغامق ، واللازوردى ، والأحمر الباهت فى الزخارف النباتية ، ويعلو المحراب كتابة قرآنية مذهبة على أرضية ذات لون أخضر فاتح . ويقع منبر الجامع على يمين المحراب وهو منبر رخامى عثمانى الطراز مكون من ريشتين وصدر وله قمة مدببة كبقية المنابر العثمانية .

ويحتوى بيت الصلاة من الداخل على طابق ثان أو صفات محمولة على أعمدة صغيرة والجدران ، وهى تحيط بالجدران الداخلية من ثلاثة جوانب فيما عدا جدار القبلة ، ولهذه الصفات درابزين من الرخام زخرف بالزخارف الهندسية المفرغة ، وكانت تستخدم هذه الصفات كمصلى للنساء . ولجامع كولنوش والدة سلطان مئذنتان من الحجر وضعتا عند التقاء الصحن ببيت الصلاة فى زوايا الرواق الامامى للصحن ، وهما مئذنتان متماثلتان ، لكل منهما شرفتان حجريتان وقمة مدببة كسيت بألواح الرصاص ، وأبدان المئذنتين اسطوانية مثل غالبية المآذن العثمانية .

ضريح كولنوش والدة سلطان (لوحة ٦٣)

يقع هذا الضريح فى الواجهة الخارجية لمنشأة كولنوش والدة سلطان التى تطل على شارع الحاكمية ، وقد وضعت كتلة الضريح بين السبيل وحجرة المؤقت خانة [٩٥]، ونلاحظ هنا أن المعمار لم يضع الضريح داخل الأفنية التى كانت تحيط بوحدات البناء من جامع وغيرها كما كان متبعا فى الأمثلة العثمانية السابقة ، بل نجد المعمار يضع ضريح كولنوش والدة سلطان فى طرف سور الصحن أو الفناء الخارجى مطلة على الواجهة الرئيسية للبناء . والضريح له تخطيط مثمن ، وله شبابيك فى الواجهات عليها شبكات من البرونز بدون ضلف خشبية ، وقد وضعت فتحات هذه الشبابيك داخل عقود مثمنة ، وتعلو هذه الشبابيك كوشات العقود وقد كسيت

(٩٥) المؤقت خانة مكونة من كلمتين عربية وفارسية وكانت تقام هذه الوحدة المعمارية الصغيرة بجوار الجوامع السلطانية الكبرى وكان يوجد بها الأدوات والوسائل اللازمة لتحديد ساعات ومواعيد الأذان والصلاة ومن هذه الوسائل الساعات وغيرها . أنظر :
- Doğan Hasol , Op . Cit , P. 365

بالرخام الأبيض وحفر بها زخارف نباتية ، ويتوج واجهات الضريح كرانيش رخامية احتوت زخارف نباتية ، ثم يلى ذلك صف من الشرافات الرخامية على هيئة ورقة نباتية ثلاثية البتلات ، والضريح مكشوف وقد استبدل المعمار القبة العثمانية التقليدية بشبكة حديدية تأخذ شكل القبة ولكنها كما سبق القول تربة أو ضريح مكشوف ، ويتوسط أرضية الضريح تركيبة رخامية تحتوى على كتابات محفورة فى الرخام ، وزخارف نباتية عبارة عن فازة يخرج منها زهور وورود . وهذا الضريح من الأمثلة القليلة العثمانية التى ليس لها قبة تقليدية أو غطاء علوى بل ترك الضريح مكشوف ، فقط وضع محل القبة فوق الضريح شبكة من الحديد تأخذ شكل أو تكوير القبة، وربما كان ذلك الأمر من تجديدات عصر زهرة اللاله حيث جاء الضريح مختلفا عن الأضرحة العثمانية السابقة التقليدية التى كانت تغطى بقباب من الآجر تكسى بصفائح الرصاص ، وتوضع فى الغالب بالحدائق الخلفية لوحدة الجامع .

سبيل كولنوش والدة سلطان

يقع هذا السبيل بجوار ضريح المنشئة مطلا على الطريق العام وهو سبيل عثمانى الطراز له بدن مثمن فتح فى واجهاته خمسة شبابيك ركب عليها شبكات من البرونز مُشكلة على هيئة أشكال هندسية وتبدأ بأشكال محاريب صغيرة متجاورة تسمح للمارة بأخذ أكواب المياه من الأحواض خلف الشبابيك ، ويعلو كل شباك عقد مدبب رخامى يرتكز على عمودين صغيرين مدمجين من الرخام لها تيجان ذات مقرنصات ، ويبلغ عدد الأعمدة الحاملة لعقود شبابيك السبيل ستة أعمدة رخامية صغيرة ، ويعلو عقود شبابيك السبيل كتابات داخل إطارات منفذة بالحفر على الرخام ، وواجهات السبيل العلوية كسيت بألواح الرخام الأبيض ، وتنتهى واجهات السبيل برفرف يليه رقبة قبة مثمنة ثم القبة التى تغطى السبيل ويكسوها صفائح الرصاص ويعلوها هلال ذهبى اللون ، والسبيل ينتمى إلى الأسبلة العثمانية ذات الواجهات المستديرة التى شاعت خلال العصر العثمانى ، ويُميّزها التكسيات الرخامية الخارجية ، والمغطاة بقبة فى أغلب الأحيان ولا يعلوها أية أبنية أخرى .

الكُتّاب

من الوحدات المعمارية الصغيرة التى ضمتها مجموعة كولنوش والدة سلطان وحدة الكُتاب ، وقد بُنىَ هذا الكُتّاب أعلى مدخل المنشأة الخارجى المطل على شارع بالابان Balaban ويعرف بمدخل أو باب الكُتّاب ، والكُتّاب من طابق واحد شُيّدت جدرانه بقطع الحجر والآجر ، يصعد إليه عن طريق سلالم حجرية ، والكُتّاب من الداخل عبارة عن مكان أو قاعة (درس خانة) تفتح على الجامع بخمسة شبابيك ، وهناك خمسة شبابيك أخرى تفتح فى الواجهة الشمالية من الكُتّاب ، ويعلو شبابيك الكتاب رفرف

كبير ممتد لحماية من بالداخل من الأمطار حيث كسى بألواح الرصاص من أعلاه ، وقد تم تقسيم قاعة الكتاب فى الوقت الحالى إلى ثلاث حجرات غطيت بأقبية، وتستخدم هذه الحجرات كسكن لبعض العاملين بالمنشأة(٩٦).

وبالإضافة إلى الوحدات المعمارية التى أشرنا إليها احتوت مجموعة كولنوش والدة سلطان على وحدة المؤقت خانة وهى تقع بين السبيل والضريح ، وهى عبارة عن بناء صغير يشبه الحجرة بها سقف من القرميد جمالونى الشكل ، ولها واجهة مثمنة فتح بها ثلاثة شبابيك عليها شبكات من البرونز ، وكانت هذه الوحدة الصغيرة تستخدم لوضع الأدوات والوسائل الخاصة بتحديد ساعات ومواعيد الأذان والصلاة (٩٧) ، وتحتوى منشأة كولنوش والدة سلطان على أسبلة مُصاصة والتى تعرف بالتركية باسم تششمه Çeşme (٩٨) ، وأهم هذه التششمات تلك الواقعة بالسور الخارجى

---

(٩٦)– Arzu İyianlar , Op.Cit, P. 146

(٩٧)– Doğan Hasol : Ansiklopedik Mimarlik Sözlüğü, 2 . baskı , İstanbul 1979, P. 365

(٩٨) الـ تششمه " Çeşme " كلمة تركية من اصل فارسى وتعنى نبع أو ينبوع مياه ، وفى المصطلح المعمارى التركى تعنى مكان خاص لتوزيع المياه بعد تجميعه فى حوض خاص به ، ويكون للتششمه فى الغالب حنية ذات عقد وصدر رخامى يتوسطه صنبور أو بزبوز لأخذ المياه ، ولهذا العنصر أو الوحدة المعمارية الصغيرة مكانتها الهامة فى العمارة التركية خاصة فى منشآت القرن الثامن عشر والفترة التى تلته ، وكانت التششمه تُشيّد وفق الأسلوب المعمارى السائد فى نفس العصر، فهناك تشممات ذات طراز تركى كيلاسيكى، وأخرى ذات طراز أوربى واقد مثل الباروك والروكوكو ، وهناك عدة أنواع من التششمات مثل تششمات الأحياء وكانت تبنى فى مكان مناسب لمساعدة أهالى الحى على الحصول على احتياجهم من المياه ، وأحيانا كان يعلق بها أكواب الشرب ليستطيع المارة الشرب من صنبور التششمه ، وهناك تششمه الجوامع وتكون ملحقة بأحد أسوار الجامع الخارجية ، وتششمه الشادروان وهى ملحقة بالشادروان الذى كان يتوسط صحون الجوامع السلطانية الكبيرة ، وتششمه السبيل وتكون ملحقة بالأسبلة وأحيانا يكون بالسبيل تششمتان واحدة على يسار السبيل والأخرى على يمينه ، وهناك تششمه الجدار أو الواجهة وتكون منحوتة فى احدى جدران أو الواجهة الخارجية للمبنى سواء كان جامعا أو مدرسة أو منزلا ، وأخيرا هناك تششمات الميادين وتقع فى ميادين عامة لتخدم أكبر عدد من المارة وفى الغالب يقوم بانشاء تششمات الميادين السلاطين وأمهات السلاطين لأنها تتميز بالضخامة والفخامة وكأنها أسبلة مستقلة وتحتاج إلى امكانات مادية كبيرة . والشكل المعمارى للتششمه بوجه عام عبارة عن حنية لها صدر أو واجهة رخامية فى الغالب وأحيانا حجرية، تحتوى على صنبور أو بزبوز من النحاس متصل من الخلف بحوض مياه من الرخام ، وهناك تششمات متصلة بمواسير مياه ترجع إلى القرن التاسع عشر فى أحياء كثيرة بإستانبول ، ويتقدم حنية التششمه حوض مياه أسفل صنبور المياه ، ويعتبر عصر السلطان أحمد الثالث العصر الذهبى لوحدة التششمه حيث حدث تطور كبير على هذه الوحدة الصغيرة وكذلك الأسبلة وأدمجت التششمات مع الأسبلة لأول مرة فى عصر ذلك السلطان (١٧٠٣-١٧٣٠م) ، واستمر التطور فى هذه الوحدة خلال عصر السلطان محمود الأول (١٧٣٠-١٧٥٤م) ، وتنوعت أشكال وزخارف التششمات ، وامتزجت الأساليب-

للمجموعة مجاورة للسبيل ، وهى منحوتة فى جدار السور كسيت بالرخام الأبيض وواجهتها مزخرفة بزخارف نباتية تنتمي إلى الزخارف التى شاعت فى عصر زهرة اللاله ، والتشمسة عبارة عن حنية لها واجهة رخامية حفرت بها فازة تخرج منها لفائف الزهور والورود ، وللحنية عقد مستدير ، وفتح فى صدرها صنبور مياه .

وأخيرا فتعد مجموعة كولنوش والدة سلطان المعمارية من أواخر الأعمال المعمارية العثمانية التى شُيّدت فى بدايات القرن الثامن عشر وطبقت التخطيط التقليدي العثمانى ، ولم تتأثر بالأساليب المعمارية التى ظهرت فى ذلك العصر الذى عرف بعصر زهرة اللاله كما ذكرنا ، وشهد وفود بعض التأثيرات الأوربية، فقط ظهرت بعض عناصر زخرفية بسيطة تنتمى التى زخارف عصر زهرة اللاله ، أما تخطيط الجامع وزخارفه فقد سارت على الطراز العثمانى الكيلاسيكى [٩٩].

=المعمارية والزخرفية التركية مع الأساليب الأوربية الوافدة فى تشمسات هذاالعصر ، وكانت واجهات التشمسات العلوية تحتوى على كتابات خاصة بالمياه مثل الآيات القرآنية الخاصة بالمياه ، أو كلمة التوحيد ، أو أبيت من الشعر التركى أو العربى وأحيانا الفارسى تحتوى على اسم المنشئ أو تاريخ البناء، وخلال عصر السلطان أحمد الثالث تم تشييد عشرات التشمسات سواء المستقلة أو الملحقة بمنشآت أخرى، وكان السلاطين وزوجاتهم وأمهاتهم يتبارون فى إنشاء التشمسات والأسبلة وشاركهم كبار رجال الجولة مثل الصدر الأعظم ، وشيخ الإسلام ، والولاة والخازندار ، ومتولى المدينة وغيرهم ، ومن أجمل أمثلة الأسبلة ذات التشمسات سبيل السلطان أحمد الثالث أمام الباب الهمايونى بقصر طوب= =قابى سراى (١١٤١هـ/١٧٢٨م) (لوحة ٩٩) ، وسبيل صالحة والدة سلطان بحي غرب قابى (١١٤٥هـ/١٧٣٢م) . ومن الجدير بالذكر أن وحدة التشمسه انتقلت إلى القاهرة خلال العصر العثمانى وشُيّد الكثير منها ملحقا بأسبلة أو منازل أو جوامع وقد أطلقت عليها الوثائق العثمانية القاهرية لفظ "سبيل رخام مُصاصة " و " مُصاصة من الحجر مركب بها بزبوز كاس " ولكن بوجه عام تميزت تشمسات القاهرة العثمانية بالبساطة قياسا بتشمسات إستانبول كما أنه لم تُشيّد بالقاهرة تشمسات ميادين مستقلة ، والخلاصة أن هذه الوحدة الصغيرة أصبحت منذ عهد السلطان أحمد الثالث كما ذكرنا عنصرا أساسيا مكملا للأسبلة . انظر :

- Hatice Aynur – Hakan Karateke : III. Ahmed Devri İstanbul Çeşmeleri, İslanbul 1995, PP. 64-70 ; Celal E. Arseven : Sanat Ansiklopedisi , C.1, İstanbul 1983 , PP. 388-390 ;

– محمود حامد الحسينى : الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة (١٥١٧-١٧٩٨) القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٧١ و ٣٤٥-٣٤٦.

(٩٩)– Halil Ethem : Camilerimiz , P. 90

الأعمال المعمارية لصالحة والدة سلطان Saliha Vâlide Sultan

صالحة والدة سلطان زوجة السلطان العثماني العشرون مصطفى الثاني ، وأم السلطان محمود الأول [١٠٠] ، ولا يوجد لدينا معلومات وافية عن صالحة والدة سلطان قبل دخولها القصر السلطاني وبعده ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن المؤرخين العثمانيين لم يهتموا سوى بالوالدات اللاتي كن لهن نشاطا وتدخلات في شئون الدولة والقصر العثماني [١٠١] ، وقد أرسلت صالحة والدة سلطان إلى السراي القديم بعد خلع زوجها السلطان مصطفى الثاني سنة ١٧٠٣م من السلطنة ، ولكنها عادت مرة أخرى إلى السراي الجديدة (طوب قابي سراينى) سنة ١٧٣٠م بعد إنزال السلطان أحمد الثالث من فوق عرش السلطنة العثمانية وتولية ابنها السلطان محمود الأول ، وتلقبت بلقب الوالدة الرسمي والشهير " مهد عليا سلطنت " حتى وفاتها سنة ١١٥٢ هـ /١٧٣٩م ، ودفنت في ضريح تُرْخان والدة سلطان بالقرب من بني جامع بحي امينونو [١٠٢] .

وقد قامت صالحة والدة سلطان بإنشاء العديد من العمائر كان أغلبها عبارة عن أسبلة وتشششات (أسبلة مُصاصة) ، ولايزال الكثير من هذه الأسبلة قائما حتى الآن ، وكان أغلبها يتبع سبيل التشششه ، وهناك سبيل فخم يجمع في طرازه بين السبيل العثماني التقليدي والتشششه ، وهو أهم وأضخم الأسبلة التي شيّدتها صالحة والدة سلطان ، وسوف نقوم بدراسة هذا السبيل معماريا وزخرفيا كنموذج للأسبلة التي شيّدتها صالحة والدة سلطان ، ويقع هذا السبيل في حي عزب قابي " Azap Kapı " أحد أحياء إستانبول بمنطقة الروملي ، وقد إختارت المنشئة هذا الموقع بعناية وكان عبارة عن ساحة أو ميدان يقع خلف جامع صُوقلو محمد باشا الشهير بجامع عزب قابي ، ويعرف سبيل التشششه المُشيّد في ميدان أو

---

(١٠٠) السلطان محمود الأول ابن السلطان مصطفى الثاني وُلد في الثالث من شهر محرم سنة ١١٠٨هـ / أغسطس ١٦٩٦م) ، ولمه صالحة والدة سلطان ، تولى السلطنة في ١٧ ربيع الأول سنة ١١٤٣ هـ /١٧٣٠م ، وبلغت مدة حكمه ٢٤ سنة (١٧٣٠-١٧٥٤م) وتوفي في ٢٨ من صفر سنة ١١٦٨ هـ (١٣ ديسمبر ١٧٥٤م) وذلك أثناء عودته من جامع أياصوفيا إلى القصر السلطاني حيث فاضت روحه فوق حصانه ودفن بجوار والده في ضريح تُرْخان والدة سلطان بالقرب من بني جامع ، تلقى السلطان محمود الأول تعليما جيدا على يد كبار الأساتذة والعلماء في عصره ، وكان قوى الشخصية ، متدينا ، زكيا ، شجاعا ، أنشأ العديد من الأسبلة ومكتبة في جامع آيا صوفيا ، وشرع في إنشاء جامع نور عثمانية لكنه توفي قبل إكتماله وقام بهذه المهمة أخوه السلطان عثمان الثالث فنسب إليه . انظر :
محمد ثريا : سجل عثماني ، ص ٧٢-٧٣ .
- Abdülkadir Dedeoğlu , Op.Cit , P. 70

(١٠١) - Çağatay Uluçay : Padişahların Kadınları ve Kızları, Ankara 1980, P. 73

(١٠٢) محمد ثريا : سجل عثماني ، ص ١٤٧ .
- Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 152

ساحة كبيرة باسم "ميدان چشمه سى" أى سبيل تششمه الميدان ، وهو يختلف عن التششمات الملحقة بواجهات العمائر .

وينخفض مستوى سبيل صالحة سلطان حاليا عن مستوى الطرق المحيطة به وذلك بسبب إقامة كوبرى " أون قباتى" المؤدى إلى حى قره كوى وبسببه صار السبيل منخفضا بشكل كبير عن مستوى الطريق العام ، لكن السبيل لايزال يلفت الأنظار نظرا لضخامته وفخامته ، وأهم ما يُميّز هذا السبيل بالإضافة إلى طرازه كثرة زخارفه ، والكتابات الشعرية التى حفرت على واجهاته الخارجية فوق الرخام الأبيض، ومن الجدير بالذكر أن هذه الكتابات رغم كثرتها إلا أنها لم تشر إلى مهندس البناء ، وكذلك الوثائق التى ترجع إلى تلك الفترة غير أن بعض المراجع تذكر أن مهندس هذا السبيل هو رئيس المعماريين بالخاصة الملكية المعمار محمد أمين أغا القيسرى [١٠٣] . وتم الانتهاء من بناء سبيل صالحة والدة سلطان فى منتصف عام ١١٤٥ هـ /١٧٣٢م ويظهر فى تخطيط السبيل وزخارفه أثر طراز الباروك [١٠٤] الأوربي الذي كان شائعا فى عمائر تلك الفترة ، وهذا

---

(١٠٣) – Kazım Çeçen : Taksim ve Hamidiye Suları, İstanbul 1992 , P. 106

(١٠٤) الباروك " Barok " من الكلمة البرتغالية " Barroco " ومنها دخلت إلى اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الأوربية وكذلك اللغة التركية وتعنى هذه الكلمة اللؤلؤة غير مهذبة أو غير منتظمة الشكل . وأطلقت هذه الكلمة " الباروك " على أسلوب فني ظهر في البداية فى ايطاليا ومنها انتشر إلى بقية البلدان الأوربية وأمريكا اللاتينية ، واستمر هذا الأسلوب الفني من نهاية القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر . وقد استخدم الفنان الاوربى فى أسلوب الباروك اشكال وعناصر زخرفية اختلفت عن تلك التى كانت سائدة فى فنون عصر النهضة بأوربا ولجأ الى الابهار واستخدام الخطوط المنحنية والاسطح المائلة والمتموجة واستخدم كذلك الالوان الزاهية كالاصفر والازرق والاخضر الفاتح والذهبى وبمعنى آخر فقد تمرد الفنان عن تقاليد وأساليب عصر النهضة الكلاسيكية فى هذا الاسلوب الجديد ، وقد تم تنفيذ أسلوب الباروك فى القصوروالمبانى التذكارية الضخمة فى العديد من عواصم الدول الاوربية وعلى الرغم من أن أسلوب الباروك قد انتشر فى بلدان كثيرة الا اننا نجد أن هناك اختلافات وفروق عند تطبيق هذا الاسلوب من بلد لأخر وذلك راجع بطبيعة الحال إلى اختلاف البيئة وكذلك التراث التاريخى والفني وكان لكل بلد بصمته واضافاته فى هذا الاسلوب وهذا ما حدث فى تركيا حيث مزج الفنان التركي بين هذا الاسلوب وبين بعض الأساليب الفنية والعناصر الزخرفية التقليدية ولهذا عرف بالباروك التركي . وإذا كان طراز الباروك قد ظهر فى ايطاليا فانه وصل الى مرحلة الكمال والنضج فى فرنسا ومنها وصل الى تركيا أى ان هذا الاسلوب قد عرفته اوربا قبل تركيا بفترة طويلة . ولم يقتصر طراز الباروك على فن العمارة فقط بل امتد الى فنون الآداب والموسيقى والتصوير الاوربى . أنظر :

- Flavio Conti : Barok Sanatını Tanıyalım , çev.Solmaz Turunç, Istanbul. Tarihsiz , P. 3 ;Büyük Larousse Sözlük ve Ansiklopedisi, Cilt 3. Istanbul . Tarihsiz , PP. 1326 – 1331 ; Kemal Demiray :Temel Türkçe Sözlük , 1.baskl, Istanbul . 1988 , PP. 101

أمر طبيعي حيث أن العصر الذى شُيّد فيه هذا السبيل يعرف فى كتب الآثار والفنون التركية بعصر " الباروك التركي " ، ويمثله عصر السلطان محمود الأول وسليم الثالث (١٧٣٠-١٨٠٨م) (لوحات ٩٣-١٠٠، ٩٨).

وشُيّد سبيل صالحة والدة سلطان فوق قاعدة مستطيلة مرتفعة وذلك لإضفاء مزيد من الفخامة والضخامة للبناء ، غير أن الشكل العام للسبيل ليس مستطيلا بل يأخذ الشكل الدائري المعهود في أسبله تلك الفترة ، وذلك من ناحية الواجهة الرئيسية للسبيل وهى الجنوبية حيث تبرز الواجهة من تلك الجهة لتأخذ الشكل المستدير ، وهذا القسم هو الذى يُشكّل شبابيك السبيل التى ركب عليها شبكات من البرونز المُشكّل على هيئة أشكال نباتية ،ويبلغ عدد شبابيك السبيل فى هذا القسم ثلاث شبابيك مستطيلة أكبرها الأوسط ، وعلى يمين ويسار شبابيك السبيل ولكن فى مستوى يرجع إلى الوراء يوجد سبيل مُصاصة (تششمه) ، وبعبارة أخرى تبرز كتلة أو قسم السبيل إلى الخارج بشكل دائرى ، ووضعت شبابيك السبيل الثلاثة داخل عقود مفصصة ترتكز على أربعة أعمدة رخامية صغيرة مدمجة بالجدران لها تيجان ذات مقرنصات ، أما شبكات شبابيك السبيل فقد شُكّلت كما ذكرنا من قبل على هيئة عناصر نباتية من طراز الرومى عبارة عن أغصان ولفائف نباتية ملتفة حول بعضها ، وفى المستوى السفلى لهذه الشبكات توجد أماكن لأخذ أكواب المياه على هيئة خمسة محاريب صغيرة متجاورة فى كل شباك ، والمستوى العلوى لشبابيك السبيل الثلاثة تم تقسيمه إلى أربعة أقسام بواسطة الأعمدة الأربعة المدمجة السابق الاشارة إليها من قبل التى تستمر فى أعلى الواجهة ، وكسيت هذه المناطق العلوية بالرخام الأبيض ، وقد ملئت كل الأسطح بكتابات شعرية وزخارف من طراز الرومى ، وكل ذلك منفذ بالحفر البارز على الرخام ، وقد وقع الشاعر باسمه أسفل هذه الأبيات الشعرية بصيغة " الشاعر وهبى " وهذه الأبيات تحتوى عبارات المديح والدعاء للمنشئة صالحة والدة سلطان ، وقد توزعت هذه الكتابات فى الأقسام العلوية للسبيل والتششمات الجانبية ، وكلها من نظم الشاعر وهبى تنتهى بتاريخ ١١٤٥هـ /١٧٣٢م [١٠٥] ، والأسبلة المُصاصية (تششمه) على يمين ويسار السبيل متشابهة فى كل مفرداتها ، وكل واحدة عبارة عن حنية وضعت داخل عقد مدبب رخامى ، وقد زخرفت الحنية وكذلك المناطق العلوية (كوشات عقد الحنية) بزخارف نباتية يعلوها كتابات شعرية خاصة بالمنشئة ،وتحتوى كل تششمه فى المستوى السفلى من حنيتها على صنبور مياه ، وحول الصنبور وأعلاه زخارف نباتية وضعت داخل اطارات مستطيلة صغيرة ، والزخارف النباتية عبارة عن زهور تخرج من احدى الفازات ،ويعلو كل تششمه أحد عشر بيتا من الشعر ، والكتابات وكذلك الزخارف النباتية منفذة بالحفر البارز فوق الرخام الأبيض .أما بقية واجهات سبيل

(١٠٥)- Kazım Çeçen , Op.Cit, P.110

صالحة والدة سلطان فقد تركت خالية من أية زخارف لكنها كسيت بألواح الرخام الأبيض ، ويغطى السبيل سقف جمالونى ضخم يتقدمه رفرف كبير مائل زخرف باطنه الخشبى بزخارف على نمط الروكوكو (١٠٦) ، ويتوسط السقف قبتان أحدهما كبيرة تغطى المساحة الوسطى الكبرى من كتلة السبيل ، والأخرى صغيرة وهى التى تعلو القسم الذى يحتوى شبابيك السبيل الثلاثة السابق الإشارة إليها ، ولهاتين القبتين رقاب مرتفعة ذات ضلوع ، ويغطى القبتين وبقية السقف المائل صفائح الرصاص لحمايتها من الأمطار والثلوج ، ويلفت النظر فى قبتى السبيل تلك الأبراج الصغيرة التى تحيط بالقبة الكبيرة والتى تنتهى بأشكال قبيبات صغيرة كسيت بصفائح الرصاص مثل القباب والسقف المائل حولها (لوحات ٩٣-٩٤).

ولسبيل صالحة والدة سلطان فتحه باب واحد فى الواجهة الشمالية وهو يؤدى إلى صهريج المياه بداخل السبيل ، أما بقية الواجهات فتم تكسيتها بالرخام ولم يفتح بها أية أبواب .

وسبيل صالحة والدة سلطان من أجمل أسبلة إستانبول ، وهو يُعبر عن الطراز المعمارى الذى كان سائدا خلال القرن الثامن عشر ، وتحديدا عصر السلطان محمود الأول ابن المنشئة والذى كان يعرف بعصر الباروك التركى كما أشرنا من قبل ، والسبيل غنى بزخارفه النباتية التى سار بعضها وفق الأساليب التركية الأوربية كالزهور والورود التى تخرج من الفازات وهى منفذة بأسلوب قريب من الطبيعة ، وبعبارة أخرى مزج الفنان هنا بين

---

(١٠٦) الروكوكو Rokoko Üslubu أحد الأساليب الفنية التى وفدت إلى تركيا من أوربا حينما بدأت تركيا تتأثر بالأساليب الفنية الأوربية بهدف اللحاق بالتقدم الفنى والتقنى الذى حققته أوربا فى ذلك العصر (القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) ، وكلمة روكوكو مشتقة من الكلمة الفرنسية Rocaille ، وقد ظهر أسلوب الروكوكو فى منتصف القرن الثامن عشر بعد ظهور أسلوب الباروك ، وكلمة روكوكو تطلق على نوع من الحجر يشبه الأسفنج المملوء بالثقوب والفتحات وغير منتظم الشكل ، وظهر هذا المصطلح كأسلوب فنى فى بدايات القرن التاسع عشر ، وأطلق عليه أحيانا أسلوب لويس الخامس عشر أو أسلوب الروكوكو ، وهذا الأسلوب شأنه شأن أسلوب الباروك السابق عليه يميل إلى استخدام الخطوط المقوسة والمنحنية غير المستقيمة ، ولكن يتميز عن أسلوب الباروك برقة خطوطه ورشاقتها ، وقد انتشر هذا الأسلوب فى إستانبول وغيرها من مدن الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر ، غير أن الفنان التركى لم يأخذ هذا الأسلوب كما هو بل أضاف إليه ذوقه وبعض الموروثات الفنية التى توارثها عبر السنين ، وبعبارة أخرى طبق الفنان التركى أسلوب الروكوكو بأسلوب خاص تركى ، وقد استخدم هذا الأسلوب فى كافة الزخارف وكذلك فى التحف التطبيقية التركية واستمر استخدامه حتى عصر التنظيمات العثمانية (عهد السلطان محمود الثانى)، وشُيدت مبانى كثيرة وزخرفت وفق أسلوب الروكوكو التركى مثل- =الأسبلة والأسبلة المُصاصة (التششمات) بل تم تشييد بعض الحجرات والقاعات داخل القصر السلطانى وزخرفت وفق طراز الروكوكو . انظر :

- Celal Esad Arseven : Sanat Ansiklopedisi, C.4 , İstanbul 1983 , P. 1976

الأساليب التركية التقليدية الأصيلة وبين الأساليب الأوربية الوافدة خاصة تلك التي تُعبّر عن طرازي الباروك والروكوكو ، أيضا احتوى هذا السبيل والأسبلة المُصاصة الجانبية على كتابات كثيرة صيغت على هيئة أبيات من الشعر باللغة التركية العثمانية ، وهي تحتوى على عبارات المدح والإشادة بالمنشئة صاحبة السبيل ، وأصولها وحبها لعمل الخير واجراء الماء وتيسير الحصول عليه ، وان ذلك بغية كسب الثواب والدعاء من أفراد المجتمع المستفيدين من تقديم هذه الخدمة، واحتوت الكتابات اسم المنشئة صالحة والدة سلطان وابنها السلطان محمود خان وكذلك تاريخ الكتابة وهو سنة ١١٤٥ هـ (لوحة ٩٨).

منشآت بَزْمْ عالم[١٠٧] والدة سلطان Bezm - i Âlem Vâlide Sultan

بَزْمْ عالم والدة سلطان زوجة السلطان العثماني محمود الثاني [١٠٨] ، ووالدة السلطان عبد المجيد [١٠٩] ، ولا يوجد لدينا أية معلومات عن مكان وتاريخ ميلاد بَزْمْ عالم والدة سلطان ، أيضا لا يوجد تفاصيل حول حياتها الأولى قبل دخولها القصر السلطاني وزواجها من السلطان محمود الثاني ، وعندما تولى ابنها السلطان عبد المجيد عرش السلطنة العثمانية في سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م أخذت لقب " مهد عليا سلطنت " وهو اللقب الرسمي والأهم الذي كانت تتلقب به والدة السلطان عقب اعتلاء ابنها العرش العثماني ، وقد توفيت بَزْمْ عالم والدة سلطان في يوم الثالث والعشرون من شهر رجب سنة ١٢٦٩هـ /٢٠ ابريل سنة ١٨٥٢م ودفنت بجوار زوجها السلطان محمود الثاني في ضريحه الخاص الذي يقع منطقة " ديوان يولو " بالطرف الأوربي من إستانبول .

---

(١٠٧) بَزْمْ عالم Bezm-I Âlem اسم مكون من لفظين " بَزْمْ " فارسي ، و " عالم " عربي ويعني الاسم " بهجة العالم أو الدنيا " .

(١٠٨) توفى سنة ١٨٣٩ م و حكم الدولة العثمانية فترة طويلة بلغت ٣١ سنة (١٨٠٨ – ١٨٣٩) . كان شاعرا و خطاطا و موسيقيا . و كان له اهتمام بالعمائر حيث رمم و جدد معظم الجوامع الكبيرة في إستانبول و شيّد في مكة المكرمة مدرسة و جدد المسجد الأقصى و افتتح بعض المدارس في إستانبول بالإضافة إلى إنشاءه جامع نصرت أو نصرتيه بطوب خانه . والسلطان محمود الثاني هو السلطان الثلاثون من سلاطين آل عثمان . أنظر :

- Dede oğlu , Osmanlı Albumu , p. 77

(١٠٩) هو السلطان عبد المجيد الأول ابن السلطان محمود الثاني ووالدته بزّم عالم والدة سلطان، وُلد في استانبول في ٢٥ ابريل من عام ١٨٢٣ م وتوفى في ٢٥ يونيه من عام ١٨٦١ م وبلغت فترة حكمه للدولة العثمانية ٢١ سنة وهو السلطان الواحد والثلاثون بين سلاطين آل عثمان. تميز= =عهده بحدوث نهضة حيث افتتح العديد من المدارس العليا والفنية وانشئت في عهده خطوط السكك الحديدية وخطوط التلغراف لأول مرة وله أعمال معمارية هامة منها قصر طولمة باغجه وجامعي بيوك مجيديه و كوجوك مجيديه و دفن في ضريحه الموجود بحديقة سليم الأول بحي الفاتح . انظر :

- Dede oğlu , Osmanlı Albumu , P. 78 .

وتذكر المصادر التاريخية أن بَزْمْ عالم والدة سلطان كانت كثيرا ما تتدخل فى شئون الدولة وادارتها خاصة عندما كان ابنها السلطان خارج إستانبول، وكانت تتشاور معه عن طريق البريد فى بعض الأمور الإدارية المهمة وذلك فى حال وجوده خارج عاصمة الدولة ، وكانت بَزْمْ عالم تتمتع بشخصية قوية ، وبكرمها وأعمالها الخيرية، وشيّدت أعمالا معمارية عديدة ما بين جوامع ومدارس وأسبلة (١١٠) .

جامع بَزْمْ عالم والدة سلطان (لوحات ٦٤ – ٧٦)

يُعد هذا الجامع أهم وأشهر الأعمال المعمارية لبَزْمْ عالم والدة سلطان ، ويحتل موقعا فريدا على مضيق البوسفور فى حى طولمه باغجه Dolmabahçe أحد احياء إستانبول بالقسم الأوربى منها ، ويقع الجامع بالقرب من قصر طولمه باغجه الشهير(١١١) الذى شيّده ابن المنشئة السلطان عبد المجيد، وقد عُرفتْ المنطقة بعد ذلك بحى طولمه باغجه ويعرف جامع بزمْ عالم والدة سلطان الآن باسم جامع طولمه باغجه.

ومن الجدير بالذكر أن بَزْمْ عالم والدة سلطان كانت قد توفيت قبل الانتهاء من بناء الجامع فقام ابنها السلطان عبد المجيد بإتمام البناء وافتتح سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م، وتذكر بعض المراجع الحديثة أن مهندس هذا الجامع هو نيكوغوس باليان(١١٢) .ويظهر فى جامع طولمه باغجه التأثر بالأساليب والطرز الفنية الأوربية التى كانت شائعة فى تركيا خلال القرن التاسع عشر وذلك على الرغم من استخدام طرازا معماريا تركيا فى إنشاء

---

(١١٠) محمد ثريا : سجل عثمانى ، ص ٢٦

(١١١) يُعدّ قصر طولمه باغجه من أفخم وأضخم القصور العثمانية التى شُيّدت خلال القرن التاسع عشر ، وقد انتهى البناء فى هذا القصر (السراى الهيمايونى) سنة ١٨٥٥م ، وجاء تخطيطه وزخرفته على نمط القصور الأوربية وان كان قد احتفظ ببعض التقاليد العثمانية من وجود أقسام الحرملك والسلاملك ، وتجدر الاشارة إلى أن السلاطين العثمانيين ظلوا يحكمون الدولة العثمانية من قصر طوب قابى سراى (السراى الجديد) منذ أن شيّده السلطان محمد الفاتح فى سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م حتى عهد السلطان عبد المجيد الذى ترك هذا القصر ونزل الى شاطئ البوسفور عند منطقة بشكطاش وشرع فى تشييد قصر جديد على النمط المعمارى الأوربى وكان قصر طولمه باغجه وانتهى من بناءه سنة ١٨٥٥م ، وقد قلد السلطان عبد المجيد من جاء بعده من السلاطين . فتم انشاء قصر تشراغان سرايى مطلا على البوسفور أيضا ، وقام السلطان عبد الحميد الثانى بانشاء قصر يلديز فوق ربوة تطل على البوسفور ، وهكذا تُرك قصر طوب قابى سراى بعد أن أقام به السلاطين العثمانيين لأكثر من أربعة قرون ، ومن الجدير بالذكر أن طوب قابى سراى يتبع التقاليد المعمارية التركية فى حين أن القصور الجديدة المُشيّدة على البوسفور تتبع التقاليد المعمارية الأوربية ، وكانت الأساليب والطرز الفنية الأوربية قد سادت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الساحة المعمارية التركية .
لمزيد من المعلومات عن قصر طولمه باغجه انظر :

- Çelik Gülersoy : Dolmabahçe , İstanbul 1984 , PP. 54-58

(١١٢) – Oktay Aslanapa : Osmanlı Devri Mimarisi , P. 447

الجوامع وهو المعروف بطراز " القبة الواحدة " التى تغطى كل مساحة الجامع ، ولكن أضيف لهذا التخطيط الكثير من العناصر الجديدة حتى يساير العصر الذى شُيّد به، وكان جامع طولمه باغجه فى الأصل يقع وسط فناء أو صحن خارجي كان يحيط به، وله نوافذ مستطيلة ذات عقود مستديرة وأربعة أبواب تفتح على الخارج كما هى العادة في الجوامع السلطانية الكبرى ، وظل هذا الفناء الخارجي موجود حتى سنة ١٩٣٧م وأزيل عندما قامت بلدية إستانبول بتوسيع الشارع الرئيسي المطل عليه الجامع(١١٣) .

وقد شُيّد الجامع فوق قاعدة مرتفعة ويتقدمه من الجهة الشمالية التى تحتوى على المدخل الرئيسى والوحيد ووحدة الدائرة السلطانية أو القصر السلطاني ، وهو فى طابقين يشغلان المساحات على يمين ويسار مدخل الجامع، وتشغل هذه الدائرة السلطانية مساحة مستطيلة مستعرضة أمام كتلة الجامع التى تقع خلفها ، أما الجامع فعبارة عن مساحة مربعة يغطيها قبة واحدة كبيرة ، وترتكز هذه القبة على أربعة عقود دائرية بواسطة أربعة مثلثات كروية ، وللقبة رقبة لم يفتح بها أية نوافذ بل أحيط بها من الخارج مجموعة من الدعائم الصغيرة بينها أشكال صُرر بارزة ،ويحيط بالقبة فى أركانها أربعة أبراج كبيرة داعمة شُكلت على هيئة قمم الأبراج والقصور الأوربية بما تحتويه من كرانيش وأعمدة رخامية صغيرة ونتوءات ، ويعلو كل برج هلال صغير ،وهذه الأبراج وما بها من أشكال زخرفية ونتوءات من تأثيرات أسلوب الباروك ، وقد كسيت القبة الكبرى من الخارج بصفائح الرصاص، وأسلوب الواجهات الخارجية للجامع ، وعقود فتحات الشبابيك الدائرية الكبيرة فى المستويين السفلى والعلوى ، والأبراج الداعمة للقبة والكرانيش الزخرفية ، وزخرفة العقود الأربعة الحاملة للقبة من الداخل والخارج، والزخارف الداخلية والخارجية كل ذلك يشير بوضوح إلى المزج بين الأساليب الفنية الأوربية كالباروك والروكوكو والأساليب الفنية التركية فى تناغم فريد .

ونصل إلى داخل الجامع من الباب الوحيد الرئيسي فى الواجهة الشمالية للجامع والسابق الإشارة إليه من قبل ، وهو عبارة عن مساحة مربعة كبيرة أحيطت بأربعة جدران ينتهى كل جدار بعقد نصف دائرى كبير ، وتحصر العقود فيما بينها المثلثات الكروية الحاملة لقبة الجامع ، وينقسم كل جدار من جدران الجامع الداخلية إلى ثلاثة مستويات ، المستوى الأول السفلى ويرتفع لأكثر من عشرة أمتار ، وشُغل بثلاثة شبابيك مستطيلة لها عقود نصف دائرية ، وقد وضعت فتحات الشبابيك داخل حنايا لها عقود نصف دائرية أيضا ، ويلى ذلك القسم المستوى الثانى بالجدران ، ويفصل بينه وبين المستوى السفلى مجموعة من الكوابيل البارزة التى تحمل ممر ضيق له دربزين من الحديد ، وتتقدم الشبابيك فى المستوى الثانى ، ويعرف

(١١٣)– Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 227

هذا الممر الضيق عند الأثاريين الأتراك باسم " كدى يولو " وتعنى " طريق القط " وهذا الممر العلوى كان يلف حول بداية القباب المركزية الكبيرة فى الجوامع العثمانية التى اتبعت الطرز المعمارية الكلاسيكية ولكنه هنا يلف حول جدران الجامع العلوية من الداخل ، وقد فتح فى المستوى الثانى من الجدران ثلاثة شبابيك؛ الأوسط مستطيل ذو عقد نصف دائرى والشباكان الجانبيان مستطيلان ، والمستوى الأخير من الجدران وتمثل العقود الأربعة الكبيرة التى ارتكزت على الجدران فتح بها ثلاثة شبابيك مستطيلة وضعت بشكل أفقى لتلائم الفتحات التى تسير مع انحناء العقود ، ويُغلق على كل فتحات الشبابيك ضلف خشبية ذات زجاج شفاف ، وشبابيك المستوى الأول السفلى ركب عليها فقط شبكات من البرونز ذات أشكال هندسية ، وقد تكرر وضع الشبابيك بشكل متماثل فى جدران الجامع ما عدا جدار القبلة حيث حل المحراب محل الشباك الأوسط، وأصبح جدار القبلة يحتوى على شباكين فقط فى المستوى السفلى واحد على يمين المحراب والثانى على يساره .

المحراب

يتوسط جدار القبلة كما ذكرنا وهو محراب رخامى له حنية كسيت بألواح الرخام الأبيض والبنى ويحددها جلوت ضيقة باللون الذهبى ، وطاقية المحراب عبارة عن عقد ثلاثى رخامى ملئ بالمقرنصات ، وتوجد زخارف نباتية بكوشتى عقد المحراب وهى محفورة بالرخام وتم طلاءها باللون الذهبى ، ويوجد على يمين ويسار حنية المحراب عمودان صغيران رشيقان من الرخام البنى ، ويعلو المحراب الآية القرآنية (كلما دخل عليها زكريا المحراب) [١١٤] ،ولهذا المحراب إطار مستطيل خارجى يبرز عن جدار القبلة ينتهى من اعلاه بأشكال مفرغة تشبه الشرافات النباتية .

المنبر

يقع هذا المنبر فى ركن الجامع الشرقى بالقرب من الجدار الشرقى ، بمعنى أنه ليس قريبا من المحراب كما هو الحال فى الجوامع العثمانية التقليدية وذلك لاختلاف طراز الجامع هنا ، وكل الجوامع التى شُيّدت خلال القرن التاسع عشر وفق الطرز المعمارية التركية المتأثرة بالأساليب الأوربية الوافدة وضع بها المنبر الرخامى فى زاوية الجدار القبلى بعيدا عن المحراب ، ومنبر طولمه باغجه صُنِعَ من الرخام المتنوع ، واستخدم فى عمله قطع الرخام الأبيض والأحمر والبنى ، وهو يتكون من ريشتين وصدر وقمة مخروطية ،ولكن المنبر هنا وان كان يتبع المنابر العثمانية التقليدية من حيث عناصره واجزاءه إلا أن شكله العام وزخارفه وألوانه كل ذلك يتفق مع تخطيط جامع طولمه باغجه وزخارفه التى يغلب عليها الأساليب الأوربية.

(١١٤) سورة آل عمران ، الآية ٣٧

كرسى المقرئ

يحتوى جامع طولمه باغجه بداخله على كرسى مقرئ يطلق عليه الأتراك لفظ " كرسى الواعظ " وهو مُشيّد بالرخام ثابت بجوار الجدار الغربى بالجامع ويرتكز الكرسى على دعامة واحدة لها شكل دائرى ، وصُنِعَ الكرسى من الرخام الأبيض والأحمر واستخدم فى زخارفه التذهيب ، ويصعد المقرئ أو الواعظ إلى هذا الكرسى عن طريق سلم خشبى صغير مثبت به ، ويحتوى هذا الكرسى زخارف بارزة من كوابيل زخرفية ، ووريدات كبيرة ، كل ذلك منفذ فوق كتلة الكرسى ، والدرابزين الدائرى حول جلسة المقرئ ، وفى الحقيقة فان هذا الكرسى يتناسب تماما مع طراز وزخرفة جامع طولمه باغجه ،وهو يُشكل فى حد ذاته تحفة أو قطعة فنية داخل الجامع بشكله الفريد .

وقد طُليت جدران الجامع من الداخل ، والاكتاف الحاملة للمقصورة التى تلى باب الدخول من الجهة الشمالية باللون البيج ، وزخرفت باطن القبة بزخارف قالبية بارزة عبارة عن عقود نصف دائرية صغيرة متجاورة فوق أعمدة صغيرة وهمية رسمت باللون البنى ، أما المثلثات الكروية الأربعة الكبيرة الحاملة للقبه فزخرفت بأوراق الاكنتس ويتوسط كل مثلث شكل نجمى ، كل ذلك منفذ بطريقة القالب .

المئذنتان

يحتوى جامع طولمه باغجه على مئذنتين متماثلتين من الحجر تقعان بطرفى الواجهة الشمالية الرئيسية التى تطل الآن على الطريق العام مباشرة بعد هدم الفناء أو الصحن الخارجى للجامع فى ثلاثينيات القرن العشرون كما ذكرنا آنفا ، ولكل مئذنة بدن اسطوانى رشيق ينتهى بشرفة حجرية ترتكز على تكوين حجرى يشبه ورقة الأكنتس ، وللشرفة درابزين حجرى به زخارف مفرغة ، يلى ذلك بدن آخر اسطوانى أقصر من البدن الأسفل ، ثم تأتى قمة المئذنة المدببة التى يكسوها صفائح الرصاص والتى تكسو كذلك قبة الجامع الكبيرة ، وذلك لحماية هذه الاسطح الخارجية من مياه الأمطار والثلوج ، وتتفق مئذنتى جامع طولمه باغجه تماما مع طراز الجامع والأساليب الفنية التى اتبعت فى انشاءه .

والخلاصة أن جامع بَزمْ عالم والدة سلطان الشهير بجامع طولمه باغجه يعتبر مثالا جيدا لعمائر عصر السلطان عبد المجيد التى ظهرت بها الكثير من الأساليب المعمارية والفنية الأوربية وذلك فى كل الأعمال المعمارية من جوامع ، وأضرحة ، وأسبلة وتشششمات ، وقصور ، بل ظهرت هذه الأساليب فى شواهد القبور Mezar Taşları التى تعود إلى تلك الفترة ،وبالاضافة إلى جامع طولمه باغجه شيّدت بَزمْ عالم والدة سلطان أكثر من سبيل تششمه ، وكُتّاب ، وحمام ، ومدرسة ، ويظهر فى كل هذه الأعمال الأساليب الفنية التى أشرنا إليها من قبل .

الأعمال المعمارية لـ برتونيال والدة سلطان Pertevniyal Valide Sutlar

تُعد بروتونيال والدة سلطان آخر والدات السلاطين العثمانيين الكبار اللاتى كن لهن كلمة مسموعة فى القصر العثمانى ونشاطا معماريا كبيرا ، وهى زوجة السلطان العثمانى محمود الثانى الثانية ، وليس لدينا أية معلومات عن مكان وتاريخ ميلاد بروتونيال سلطان وكذلك حياتها الخاصة السابقة على دخولها القصر السلطانى ، وسبق أن رأينا هذا الوضع مع أكثر من والدة سلطان ، ويرجع السبب فى ذلك أن غالبية المؤرخون الأتراك لا يهتمون بالحياة السابقة لوالدات السلاطين خاصة ان لم يكن لهن دور وتدخل فى القصر وشئون الدولة ، والأمر الثانى هو أن كثير من والدات السلاطين جلبن من أماكن متفرقة خارج الدولة وتحديدا من بلدان أوربية ، وقد أنجبت برتونيال والدة سلطان السلطان عبد العزيز [١١٥] سنة ١٢٤٦ هـ /١٨٣٠م ، وعندما تسلطن ابنها عبد العزيز فى سنة ١٢٧٨ هـ /١٨٦١م أخذت لقب " مهد عليا سلطنت " واحتفظت بهذا اللقب الرسمى لوالدات السلاطين العثمانيين حتى خلع ابنها السلطان عبد العزيز من كرسى السلطنة سنة ١٢٩٣هـ /١٨٧٦م ، وكان لبرتونيال أكثر من لقب فقد أطلق عليها ألقاب " عصمتلو والدة سلطان " [١١٦] و " عصمتلو والدة سلطان عاليشان أفنديمز حضرتلرى " [١١٧] و " والدة سلطان مهدى عليا سطلنت " وقد وجدت هذه الالقاب على عدة أختام كانت تستخدمها برتونيال والدة سلطان[١١٨] ، وقد توفيت بروتونيال والدة سلطان فى السابع والعشرون من ربيع الأول سنة ١٣٠٠هـ الموافق الرابع من فبراير سنة ١٨٨٣م ، وقد تجاوز عمرها السبعين ، ودفنت فى الضريح الخاص الذى شيدته بالقرب من جامعها فى حى آقسراى بوسط إستانبول القديمة ، وكانت برتونيال تواظب على إقامة العبادات ، صالحة ، ذات شأن كبير[١١٩]، وكما سبق القول كانت برتونيال آخر الوالدات اللاتى ساهمن فى النشاط المعمارى وحركة الانشاءات مثلها فى ذلك مثل غالبية أمهات السلاطين العثمانيين .

---

(١١٥) السلطان عبد العزيز ابن السلطان محمود الثانى ووالدته برتفنيال سلطان ، ولد فى إستانبول سنة ١٨٣٠ م و توفى سنة ١٨٧٦ م ، تولى الحكم بعد وفاة أخيه السلطان عبد المجيد الأول فى عام ١٨٦١ م وبلغت فترة حكمه ١٥ سنة وهو السلطان الثانى والثلاثون من سلاطين آل عثمان . زار مصر سنة ١٨٦٣ م وهو أول سلطان عثمانى يزور مصر بعد السلطان سليم الاول . دفن عند وفاته فى ضريح والده محمود الثانى باستانبول . أنظر :

- Dede oğlu , Op. Cit . P. 80

(١١٦) يعنى هذا اللقب " صاحبة العصمة والدة سلطان "

(١١٧) يعنى هذا اللقب " حضرة أفندينا صاحبة العصمة عالية الشأن والدة سلطان "

(١١٨) - Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 233

(١١٩) محمد ثريا : سجل عثمانى ، ص ٢٧

قامت برتونيال والدة سلطان بإنشاء بعض العمائر يأتى فى مقدمتها جامع آقسراى الذى يُعرف بجامع الوالدة ، والحق به سبيلا ، وسبيل مُصاصة (تششمه) وكُتّاب بالاضافة إلى الضريح الخاص بها [١٢٠] ، وأنشأت برتونيال عدة أسبلة مُصاصة فى بعض احياء إستانبول مثل قره جمرك ، Karagümruk، وأيوب سلطان Eyüpsultan ، وآقسراى Aksaray ، وقاضى كوى Kadıköy ، وهى احياء هامة فى إستانبول ، وسبق أن أشرنا إلى أن والدات السلاطين كن يخترن بعناية مواقع انشاء الأسبلة المُصاصة والأسبلة التقليدية بحيث تخدم أكبر عدد من السكان ، ولذلك شُيّدت الأسبلة والتششمات فى ميادين عامة أو ملحقة بأسوار وواجهات العمائر المطلة على الطرق الرئيسية .

جامع برتونيال والدة سلطان فى آقسراى (لوحات ٧٧ – ٩٠)

يقع هذا الجامع كما ذكرنا من قبل فى ميدان آقسراى عند تقاطع بعض الطرق الرئيسية ، وقد شيّدته برتونيال والدة سلطان سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م اثناء سلطنةابنها السلطان عبد العزيز ، وشُيّد الجامع ضمن منظومة معمارية اشتملت على ضريح، وحجرة المؤقت خانة ، وعدد اثنان سبيل تششمه ، وكُتّاب . ونود أن نشير إلى أن المُجمّعات المعمارية المتأخرة التى شُيّدت على يد والدات السلاطين خلال القرن التاسع عشرالميلادى فى أواخر عهد الدولة العثمانية لم تُعد تتميّز بالضخامة والاتساع مثل مُجمعات أمهات السلاطين الأوائل خلال القرن السادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر الميلادى ، وذلك يرجع بطبيعة الحال إلى الحالة الاقتصادية السيئة التى كانت عليها الدولة العثمانية فى أواخر عهودها، وكذلك لم يُعد هناك مساحات كبيرة تلائم المُجمعات الضخمة ، خاصة أن الوحدات المعمارية كانت تُوزّع بشكل أفقى على مساحات كبيرة ، وأخيرا تغير الاساليب المعمارية والطرز التى شاعت خلال القرن التاسع عشر لاسيما فى أواخر هذا القرن ، كل ذلك كان له أثره على طبيعة وشكل منشآت والدات السلاطين المتأخرة .

الوصف المعمارى لجامع الوالدة سلطان

يعرف جامع برتونيال الآن بين العامة باسم " جامع الوالدة سلطان " وتذكر بعض المراجع أنه كان يوجد مكان جامع الوالدة فى منطقة آقسراى بعض المبانى القديمة وأحد الجوامع الصغيرة ، وقامت برتونيال والدة سلطان بشراء المبانى القديمة وهدمت الجامع القديم الذى كان يعرف بجامع

(١٢٠) من الجدير بالذكر أن هذا الضريح قد تم هدمه اثناء توسيع وتنظيم ميدان آقسراى وذلك فى سنة ١٩٥٨م ، ونقلت رفات برتونيال إلى ضريح بسيط آخر فى الصحن الخارجى لجامعها الكائن فى آقسراى . انظر :

- Arzu İyianlar , Op.Cit , P. 233

الكاتب وشيّدت مكانه جامعها الفخم موضوع الدراسة (١٢١) ويحيط بالجامع وبقية ملاحقه فناء خارجي يحيط به أسوار حجرية مرتفعة فتح بها ثلاثة أبواب فى الجهات الشمالية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية ، وأهم هذه الأبواب الباب الخارجى فى الجهة الشمالية الغربية ويؤدى إلى الفناء الذى يحيط بالجامع ، وهو باب فخم يشبه مداخل القصور التى تعود إلى تلك الفترة، وقد وضع هذا المدخل الخارجى فى كتلة ضخمة مستعرضة حجرية ، وحوله من الجانبين عدة دخلات احتوت على جانبيها أعمدة مزدوجة متجاورة وأعمدة مفردة ، وعقود هذه الدخلات أو الحنايا عبارة عن شكل نباتى يتمايل يشبه المروحة النخيلية، ويعلو هذه الحنايا الجانبية أعتاب مسطحة بارزة شُغلت بالزخارف البارزة على هيئة كرانيش ، ويلى ذلك درابزين حجرى يعلوه فى الوسط والأركان شرافات على هيئة ورقة نباتية ، أما القسم الاوسط من واجهة هذا المدخل فيمثله كتلة أو برج المدخل ، وقد وضعت فتحة المدخل داخل حنية لها عقد مدبب يرتكز على عمودين من الرخام بكل جانب ، وشُغلت كوشتى عقد المدخل بزخارف بارزة من طراز الرومى ، وكذلك واجهة حنية العقد زخرفت بنفس الزخارف السابقة ، ويعلو هذا العقد صفوف من المقرنصات ، ويتوج كتلة أو برج المدخل صف من الشرافات على هيئة ورقة نباتية خماسية البتلات ، ونصل من هذا المدخل الرئيسى إلى الفناء الداخلى حيث يقع الجامع على يمين هذا الفناء وضريح المنشئة على يساره .

ويعتبر الجامع أهم وحدة معمارية بهذه المنشأة ، وقد اتبع هذا الجامع طرازا معماريا فريدا ومختلفا عن الطرز المعمارية التى مرت بنا خلال هذه الدراسة ، وهو طراز هجين من طرز تركية محلية وأوربية وافدة بل احتوى الجامع بعض عناصر من الطرز الهندية ، والجامع من الداخل عبارة عن مساحة مربعة يغطيها قبة واحدة كبيرة ارتكزت على أربعة عقود نصف دائرية كبيرة ، وتهبط أرجل تلك العقود إلى أسفل حتى أرضية الجامع وكأنها دعائم أو أعمدة ضخمة مدمجة بأركان وزوايا جدران الجامع، ولذلك لا تظهر هذه العقود من خارج الجامع كما هو الحال في جامع طولمه باغجه، وتحصر العقود في جامع الوالدة بآقسراي من أعلاها مناطق انتقال عبارة عن مثلثات كروية تحمل رقبة القبة وهي رقبة مرتفعة جداً تأخذ شكل مثمن (أكثر من ثمانية أضلاع) فتح في كل ضلع شباك صغير مستطيل معقود بعقد مدبب، ووضعت هذه الشبابيك من الخارج داخل إطارات بارزة (جلوت) مستطيلة، ويعلوها كرنيش من المقرنصات الحجرية البارزة، ويعلوا ذلك مساحات مستطيلة أفقية كل مساحة وضعت داخل إطار مستطيل أفقي يحيط بكل مساحة مستطيلة غمودين صغيرين قصيرين، ثم تأتي خوذة القبة وهي تأخذ الشكل الكروي وكسيت بصفائح الرصاص يعلوها هلال نحاس. وباطن

(١٢١) محمد ثريا : سجل عثمانى ، ص ٢٧

القبة من الداخل زخرف بزخارف مشعة من الوسط تحصر بينها شكل دائري بداخله آية قرآنية، وحول الشكل المشع زخارف تشبه العقود ، وزخرفت المثلثات الكروية بزخارف مجردة تشبه شكل نجمي كبير محور في كل مثلث كروي يحيط به أشكال ورود ، والألوان المستخدمة في زخارف باطن القبة الأزرق الفاتح، والبني، والذهبي في الكتابات حول مفتاح القبة ، أما بواطن العقود فزخرفت بشكل بخارية نباتية في الوسط باللون الذهبي على أرضية زرقاء ملئت بنقط ذهبية . أيضا استخدمت نفس الألوان الأزرق الفاتح، الذهبي، والأبيض في طلاء الدعائم الداخلية والجدران الحاملة للقبة ، وقوام الزخرفة في هذه الأجزاء زخارف نباتية بعضها نفذ بالأسلوب التقليدي مثل زخرفة الرومي والبخاريات، وهناك عناصر نباتية نفذت بالأسلوب الأوربي .

ويحتوى جامع الوالدة بأقسراى على مستوين من الشبابيك فوق بعضهما ، المستوى الأول هو السفلى وعبارة عن ثلاث شبابيك في كل من جدار الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي ، وهي شبابيك مستطيلة كبيرة ذات عقود مدببة وضعت داخل حنايا أو دخلات ذات عقود مدببة، ويغلق على هذه الشبابيك السفلية من الداخل ضلف خشبية ذات زجاج أبيض شفاف . ومن الخارج ركب عليها شبكات من البرونز على هيئة أشكال هندسية ، والمستوى العلوى من الشبابيك مكّون من ثلاثة شبابيك مستطيلة معقودة بعقود مدببة الأوسط أكبرها ووضع داخل باتو أو اطار عليه زخارف تشبه الشرافات ، وركب على هذه الشبابيك ضلف خشبية ذات زجاج أبيض شفاف ، وتكرر وضع الشبابيك في جدران الجامع ما عدا جدار القبلة حيث حل المحراب محل الشباك الأوسط في المستوى السفلى للشبابيك ، ويوجد على يمين ويسار المحراب شباك مستطيل داخل حنية معقودة ، والمستوى العلوى من شبابيك جدار القبلة مكون من ثلاث شبابيك مستطيلة معقودة أصغر حجما من شبابيك المستوى السفلى أكبرها الشباك الأوسط ، وقد وضعت هذه الشبابيك العلوية من الخارج داخل عقود مدببة يحيط بها جفوت بارزة تأخذ شكل العقد المدبب ، والمحراب من الخارج له حنية حجرية رفعت في برج له قمة ذات عتب يعلوه شكل مدبب ، والمحراب من الخارج يبدو كمحراب آخر خارجي خلف المحراب الأصلي الداخلي ، كل ذلك نفذ بالحجر بالواجهة الجنوبية لجامع برتونيال والدة سلطان في أقسراى .

المحراب

يتوسط المحراب جدار القبلة وهو محراب رخامي أبيض له حنية من الرخام الأملس الخالي من الزخرفة وعقد المحراب رخامي ملون بالمقرنصات ، يعلو المحراب الآية الكريمة " كلما دخل عليها زكريا

المحراب " (١٢٢) ، والمساحات حول المحراب وأعلاه من الرخام الأبيض يحددها جلوت بارزة مستطيلة .

المنبر

يقع المنبر الرخامى فى الزاوية الجنوبية بعيدا عن المحراب قريب جدا من الجدار الشرقى ، وهو محراب مصنوع من الرخام الأبيض مكون من ريشتين وصدر، وقد زخرف درابزين المنبر بأشكال هندسية مفرغة ،ويطو جلسة الخطيب قمة مربعة صغيرة تحمل قبيبة صغيرة بصلية الشكل يعلوها هلال ذهبى .

المئذنتان

يحتوى جامع الوالدة على مئذنتين رشيقتين متماثلتين من الحجر تقعان بطرفى الواجهة الأمامية للجامع من جهة الفناء الخارجى ، وكل مئذنة مكونة من بدن أسطوانى مرتفع به زخارف أو أشكال ضلوع حجرية طولية وينتهى هذا البدن الأول بشرفة حجرية لها درابزين حجرى من زخارف مفرغة ،ويحمل الشرفة صفوف من المقرنصات الحجرية ، ويلى ذلك بدن آخر اسطوانى صغير يحمل قمة المئذنة وهى قمة حجرية لها شكل كمثرى يعلوه هلال نحاسى .

الدائرة السلطانية

تقع الدائرة السلطانية أمام كتلة الجامع المربعة من الجهة الشمالية ولها مسقط مستطيل بحيث أعطيت فى النهاية للجامع شكل حرف (L) اللاتينى المقلوب ، وشُيدت الدائرة السلطانية ملاصقة لجدار الجامع الشمالى، وهى من طابقين وتتصل بالمحفل السلطانى (مقصورة السلطان المطلة على داخل الجامع) من الداخل كما هى العادة فى الجوامع السلطانية المُشيدة خلال القرن التاسع عشر ، وكانت الدوائر السلطانية مخصصة لاستراحة السلطان أو الوالدة سلطان عند زيارتها للجامع، ونصل إلى الدائرة السلطانية بواسطة خمس سلالم رخامية نصعد من خلالها إلى منطقة توزيع وعلى يمين ويسار هذه المنطقة بابان يؤديان إلى هذه الدائرة ، وهناك باب فى الوسط يؤدى إلى داخل الجامع مباشرة وهو المقابل للمحراب والمعروف بباب الجماعة عند الأتراك " جملة قابوسى" ووضع الدائرة السلطانية هنا يذكرنا بمثيلاتها فى جامع طولمه باغجه .

وأخيرا فإن جامع الوالدة سلطان فى أقسراى يُعد مثالا جيدا لما آلت إليه العمارة العثمانية فى القرن التاسع عشر الميلادى حيث امتزجت الأساليب الفنية الأوربية والتركية والشرقية (الهندية) مع بعضها وأصبح هناك طراز هجين أو لا طراز محدد حيث ظهرت بعض الأساليب الفنية لم تكن موجودة من قبل فى العمارة التركية مثل عناصر من الطراز القوطى

(١٢٢) سورة آل عمران ، الآية رقم (٣٧).

والطرز الهندية ، وقد كانت هذه الأساليب الفنية متداخلة وشائعة فى أوربا خلال القرن التاسع عشر وتأثرت بها تركيا [١٢٣] .

الدراسة التحليلية

تناولت هذه الدراسة بعض المنشآت التى شيّدتها بعض أمهات السلاطين العثمانيين بمدينة إستانبول عاصمة الدولة العثمانية ، وظهر بجلاء مشاركة ومساهمة أمهات السلاطين العثمانيين فى النشاط المعمارى والفنى خلال أغلب فترات التاريخ العثمانى ، ولم يقتصر دور والدات السلاطين على النشاط المعمارى والفنى فقط بل كان لبعضهن دورا مهما فى شئون القصر العثمانى ، وكذلك فى الحياة السياسية وادارة الدولة، ومن هنا جاء اهتمام المؤرخين الاتراك بدور الوالدة سلطان وما قامت من ادوار على الساحة الفنية المعمارية والسياسية .

وعرضت الدراسة للالقاب التشريفية والفخرية التى تلقبت بها الوالدة سلطان ، وكان من أهمها وأقدمها لقب " مهد عليا " و " مهد عليا سلطنت " و " والدة سلطان " وهذه الألقاب كانت تشير إلى المكانة السامية العالية التى كانت عليها الوالدة سلطان ، ومن الجدير بالذكر أن اللقب الرئيسى الذى تلقبت به الوالدة سلطان وهو " مهد عليا سلطنت " كانت تحتفظ به الوالدة سلطان أثناء وجود ابنها السلطان فى الحكم فإن عُزِلَ أو خُلِعَ أو توفى يسقط عنها اللقب ويمنح لأم السلطان الجديد ، وبالإضافة إلى سحب هذا اللقب الرسمى من الوالدة سلطان كانت تُرسَل للاقامة فى السراى القديم ليحل محلها فى السراى الجديد (طوب قابى سراى) والدة السلطان الجديد ، وكان لها جناح خاص فى مقر إقامة السلطان بالقصر، والذى كان يعرف بجناح الحرم " Harem " وكان هذا النظام هو المطبق على كل والدات السلاطين ، وأحيانا كانت تذهب الوالدة سلطان إلى السراى القديم بعد وفاة زوجها ثم تعود مرة ثانية إلى السراى الجديد عندما يعتلى ابنها السلطنة ، وهناك بعض والدات السلاطين تولى أكثر من ابن لها عرش السلطنة العثمانية وحافظت على مكانتها فى القصر الجديد لفترات طويلة .

وكان معظم والدات السلاطين يتمتعن بثروات كبيرة أنفقن أغلبها على إنشاء العمائر المتنوعة من جوامع ، ومدارس ، وكتاتيب ، وأسبلة ، ومستشفيات ، ودورا للطعام ، وتكايا ، وتشششمات عامة ، وكان الهدف من وراء هذه الانشاءات كما جاء فى وقفيات بعض أمهات السلاطين هو كسب الثواب ودعاء المستفيدين من الخدمات التى كانت تؤديها تلك المنشآت . وهناك نقطة جديدة بالملاحظة وهى أن أمهات السلاطين كن يخترن بعناية المواقع أو الأماكن التى سوف تُشيّد بها منشآتهن ، وكن يفضلن الربوات المرتفعة التى كانت تطل على مضيق البوسفور وخليج القرن الذهبى أو بحر

(١٢٣)– Oktay Aslanapa , Op.Cit , P.

مرمره سواء كان ذلك الموقع فى القسم الأوربى أو الآسيوى من إستانبول ، وهى مدينة كما هو معروف محاطة بالمياه من ثلاث جهات ، واختيار الربوات المرتفعة المطلة على المياه كان يضفى هيبة وفخامة على المنشأة ويجعلها مهيمنة على الحى المنشئة به، وفى حالة عدم توفر هذه الربوة كان المعمار يلجأ إلى عمل قاعدة حجرية مرتفعة يقيم عليها عمارته وذلك عوضا عن الربوة الطبيعية ، ونستطيع أن نشاهد ذلك فى أكثر من عمل معمارى ينسب إلى أمهات السلاطين مثل بنى جامع (الجامع الجديد) فى منطقة امنيونو المطل على مياه البحر ، وكانت صفية سلطان قد اختارت الموقع بعناية وشرعت فى عمليات البناء الذى توقف نتيجه وفاة ابنها السلطان ، وجاءت تُرخان والدة سلطان بعد أكثر من نصف قرن لتكمل البناء وتضيف إليه بعض الوحدات المعمارية الجديدة ، والجامع شُيّد فوق قاعدة حجرية مرتفعة يصعد إليه بمجموعات من السلالم الحجرية ، وكذلك جامع الوالدة الجديد فى اسكودار وهو من أعمال كولنوش والدة سلطان فقد شُيّد فوق قاعدة مرتفعة ، بل شُيّدت بعض الأسبلة ذات التششمه فوق قاعدة مرتفعة وكان هذا الوضع يطبق فى الغالب فى أسبلة وتششمات الميادين ، ومن أمثلة ذلك سبيل وتششمه صالحة والدة سلطان بحى عزب قابى وقد تناولتها هذه الدراسة .

وقد تنوعت منشآت أمهات السلاطين واستطاعت تلبية احتياجات متنوعة للمجتمع فى إستانبول أكبر مدن الدولة العثمانية ومقر الحكم ، ومن هذه المنشآت الجوامع ، والمساجد ، والمدارس ، والبيمارستانات ، والأسبلة ، والتششمات ، والتكايا، ودور الطعام ، والأضرحة ، والمكتبات وغير ذلك ، وكانت منشآت أمهات السلاطين لا تقل فخامة وضخامة عن منشآت السلاطين العثمانيين أنفسهم ، وهذا أمر طبيعى حيث كانت أمهات السلاطين تتمتعن بثروات طائلة كما ذكرنا من قبل ، وأحيانا كان السلطان العثمانى يساعد والدته ماديا من أجل الانتهاء من إنشاء العمائر التى كانت والدته تقوم بها ، وأحيانا أخرى كان السلطان يقوم باستكمال عمليات الإنشاء إذا حدث وتوفيت والدته أثناء عملية الإنشاء ، من ذلك جامع بَزمْ عالم والدة سلطان التى توفيت صاحبته قبيل اكتماله فقام ابنها السلطان عبد المجيد باكمال بناءه ، ولكن هناك نقطة تجدر الإشارة إليها وهى أن أمهات السلاطين كن حريصات على الانفاق على عمائرهن من أموالهن الخاصة دون الاستعانة بأية أموال من السلطان أو خزانة الدولة، وكانت الوثائق والمصادر المعاصرة تشير إلى عمليات الانشاء من أموال والدات السلاطين الخاصة ، ولكن إذا حدثت وفاة الوالدة سلطان قبل اكتمال البناء كما ذكرنا من قبل أو حدث تعسر نتيجة أسباب طارئة كان السلطان يقدم الدعم المالى من أجل استكمال العمائر التى سوف تحمل اسم والدته ، وأحيانا كان

السلطان العثمانى يقوم بإنشاء بعض العمائر بعد رحيل والدته لتخليد ذكراها (١٢٤).

وكما تنوعت منشآت أمهات السلاطين تنوعت كذلك طرزها وأشكالها المعمارية ، وخلال هذه الدراسة التى تناولت أكثر من أثر معمارى رأينا أكثر من طراز معمارى تم تطبيقه فى منشآت أمهات السلاطين ، وهذا أمر طبيعى حيث أن هناك منشآت تعود إلى القرن السادس عشر ، وأخرى ترجع إلى القرن السابع عشر ، وكذلك القرن الثامن عشر ، والتاسع عشر ، وبطبيعة الحال تطورت الطرز المعمارية والفنية خلال هذه الفترة الممتدة ، بالإضافة إلى وفود بعض الأساليب الفنية من أوربا التى أثرت فى فنون وعمارة العثمانيين ، كل ذلك انعكس على منشآت والدات السلاطين مثلما انعكس على بقية المنشآت الأخرى التى شيّدها السلاطين أنفسهم أو غيرهم من الصدور العظام أو الوزراء .

ومن الطرز التى استخدمت فى بعض جوامع أمهات السلاطين طراز الجوامع ذات الست دعائم أو أعمدة ، والذى تهيمن فيه القبة على معظم مساحة الجامع (بيت الصلاة) وتعتمد القبة على عقود ترتكز على ستة دعائم أو أعمدة ، واستخدم هذا التخطيط جامع عتيق والدة سلطان (نورباتو) فى طوب طاشى باسكودار ، وبالإضافة إلى القبة الكبرى هناك أربعة قباب صغيرة بواقع قبتين على يمين وقبتين على يسار القبة الكبرى، ومن المعروف أن هذا التخطيط ذى الستة دعائم قد طبق للمرة الأولى فى العمارة العثمانية فى جامع أوچ شرفه لى Üç Şerefeli Camii فى أدرنه الذى شيّده السلطان مراد الثانى (١٤٤٧م) ، وقد تطور هذا التخطيط بعد ذلك واستخدمه المعمار سنان فى بعض عمائره ، ومنها جامع عتيق والدة سلطان باسكودار ، وجامع سنان باشا فى بشكطاش (١٥٥٥م) ، وقد استخدم هذا الطراز ذو الستة دعائم كثيرا فى مدن الأناضول ومن أمثلته جوامع كودوك منارة فى توقاد ، والجاشنكير فى مغنيسا (١٤٧٤م) ، وعوض باشا فى مغنيسا (١٤٨٤م) ، والخاتونية فى مغنيسا (١٤٩٠م) ، وسلطان جامعى فى مغنيسا (١٥٢٢م) (١٢٥) . وقد طبق هذا الطراز فى أماكن أخرى خارج الأناضول ، ومن أمثلة ذلك جامع صفية سلطان (الملكة صفية) بالقاهرة (١٦١٠م) ، وأخيرا فقد كان هذا التخطيط الذى تعتمد فيه القبة على ستة دعائم ثم تطور بعد ذلك وأصبحت القبة تعتمد على ثمانية دعائم بمثابة الإعداد والتجارب الأولى لتخطيط وطراز القبة المركزية الذى

(١٢٤) حسين ايوانسرايى : حديقة الجوامع ، جـ٢ ، ص ١٨٣

(١٢٥)– Abdullah Abdulhafiz , A. : Osmanlı Döneminde İstanbul ile Kahire Arasında Mimari Etkileşimlerş(İ.Ü.Ed.Fak. Sanat Tarihi Bl.Yayınlanmamış Doktora tezi) İstanbul 1994 , P. 208

ظهر بشكل متطور عن هذا التخطيط في جامع السليمية بأدرنه (١٥٧٥م) وهو يمثل رائعة معمار سنان الأخيرة[١٢٦] .

ومن الطرز المعمارية التى استخدمت فى بعض عمائر أمهات السلاطين طراز القبة المركزية التى تعتمد على أربعة دعائم ضخمة فى وسط مربع الجامع بواسطة أربعة عقود كبيرة وحولها أربعة أنصاف قباب ، وطبق هذا التخطيط فى جامع " يني جامع " فى امنيونو ، وغطى فيه الجامع بقبة مركزية كبيرة ترتكز على أربعة عقود ترتكز بدورها على أربعة دعائم ضخمة كسيت ببلاطات الخزف لارتفاع نحو ستة أمتار ، ويوجد حول القبة أربعة أنصاف قباب ، وأيضا يوجد أربعة قباب صغيرة فى زوايا مربع الجامع ، وقد استخدم المعمار سنان هذا التخطيط لأول مرة فى إستانبول عندما شيّد جامع شاه زاده محمد بناءا على أمر من السلطان سليمان القانونى لتخليد اسم هذا الأمير الذى توفى شابا ، وانتهى بناء جامع شاه زاده محمد وملاحقه سنة ١٥٤٨م ، واستمر استخدام هذا الطراز على يد تلاميذ معمار سنان ، وصار هو التخطيط المفضل لديهم فى جوامع السلاطين الكبيرة ، ومن ذلك جامع السلطان أحمد الأول المعروف بالجامع الأزرق (١٦١٧م) ، ويني جامع فى امينونو (١٦٦٠م) ، وجامع السلطان محمد الفاتح الحالى (١٧٦٦م) [١٢٧] ، واتبع هذا التخطيط فى بعض الجوامع خارج إستانبول مثل جامع محمد على باشا بقلعة الجبل بالقاهرة (١٨٤٨م)، وجامع يني جامع فى ملاطيه Malatya (١٩١٠م) ، وأصبح هذا التخطيط كما سبق القول هو الأكثر تطبيقاً وانتشارا فى العمارة التركية العثمانية خاصة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وتجدر الإشارة إلى أن بدايات هذا التخطيط كانت خارج إستانبول وذلك عندما شيّد الوالى العثمانى الأول لولاية ديار بكر بيقلى محمد باشا جامعه هناك بين سنوات ١٥١٦-١٥٢٠م فى عهد السلطان سليم الأول ، ويعرف هذا الجامع باسم جامع " الفتح " لأن الوالى بيقلى محمد باشا هو الذى فتح ديار بكر ، وقد تم تغطية الجامع بقبة كبيرة حولها أربعة أنصاف قباب ، وترتكز عقود القبة وأنصافها على أربعة دعائم ضخمة ، ويوجد أربعة قباب صغيرة تغطى أركان مربع

---

(١٢٦)- Ibid , Op.Cit , P. 209.

(١٢٧) شيّد جامع الفاتح الحالى السلطان مصطفى الثالث (١٧١٧-١٧٧٤م) وكان جامع الفاتح القديم قد تعرض لكثير من التدمير نتيجة الزلزال المدمر الذى ضرب إستانبول سنة ١٧٦٥م ، ونتج عنه تأثر بعض الجوامع الكبيرة منها جامع الفاتح وجامع أيوب الانصارى وجامع لاله لى Laleli ، وقد كلف السلطان مصطفى الثالث المعمار طاهر آغا بإعادة بناء وترميم ما تهدم بجامع الفاتح فقام بإعادة بناء بيت الصلاة بالجامع ، وجاء البناء الجديد وفق طراز مخالف لطراز الجامع القديم ، وهو طراز القبة المركزية وحولها أربعة أنصاف قباب وهو الجامع القائم حتى الآن . انظر :

- Oktay Aslanapa : Osmanlı Devri Mimarisi, P.309 ; Abdullah Abulhafiz, p212

الجامع ولا يحتوى الجامع على صحن بل يتقدمه رواق أمامى ، ومن الجدير بالذكر أنه كان غير مسموح لأى شخص غير السلطان وأفراد أسرته بإقامة جوامع يلحق بها صحون ، وكذلك أكثر من مئذنة ، فالجوامع السلطانية فقط التى كان يُشيّدها السلطان العثمانى أو زوجته أو والدته هى التى كانت تحتوى على صحون كبيرة محاطة بأروقة ، وتحتوى على أكثر من مئذنة ، أحيانا اثنان ، أو أربعة ، بل احتوى أحد الجوامع السلطانية على ست مآذن وهو جامع السلطان أحمد الأول (١٢٨) .

ومن الطرز التى استخدمت فى بعض جوامع أمهات السلاطين طراز الجامع ذو القبة الواحدة ، وهو من الطرز المعمارية المبكرة فى العمارة العثمانية ، وشُيّدت جوامع كثيرة اتبعت هذا الطراز خاصة فى بورصه العاصمة الأولى للعثمانيين ، وهذا الطراز عبارة عن مساحة مربعة يغطيها قبة واحدة فقط ، ويتقدم الجامع فى هذا الطراز فى الغالب رواق أمامى يتكون من خمس قباب أو ثلاث قباب حسب حجم الجامع ، ويلحق بالجامع مئذنة واحدة ، أما الأمثلة التى طبق فيها هذا الطراز وتناولتها هذه الدراسة فهى الجامع الخزفى (چينيلى جامع) ، فى اسكودار ، وجامع بَزْم عالم والدة سلطان (طولمه باغجه) ، وجامع برتونيال فى آقسراى (جامع الوالدة سلطان) ، ولكن الأمثلة المتأخرة التى ذكرناها كانت متطورة من حيث التخطيط وأيضا الزخرفة ، من حيث التخطيط زاد حجم مساحة الجامع كما زاد ارتفاع القبة وحجمها عن الأمثلة المبكرة لهذا الطراز سواء تلك التى شُيّدت فى بورصه أو إستانبول ، وهذا راجع إلى التطور الذى أحرزه المعمار التركى عبر السنين ، وكذلك كانت هذه الجوامع المتأخرة تخص والدات السلاطين ، ولذلك جاءت هذه الجوامع على هيئة فخمة ومتطورة حيث توفر لها امكانات مادية كبيرة ، أيضا احتوت هذه الجوامع على مئذنتين فى الغالب كانت تقع فى طرفى الرواق الأمامى للجامع ، بالإضافة إلى أنها احتوت على أفنية خارجية ذات أبواب ، أما الزخارف التى استخدمت فى المثلين المتأخرين (بزم عالم وبروتونيال والدة سلطان) فكانت وفق الأساليب الزخرفية التى كانت شائعة فى تركيا خلال القرن التاسع عشر ، وكانت متأثرة بالأساليب الفنية الأوربية التى حاول الفنان التركى المسلم أن يضفى عليها ذوقه وأسلوبه لتلائم البيئة التركية ، أما الجامع الخزفى فى اسكودار والذى يعود بناءه إلى القرن السادس عشر الميلادى فكانت زخارفه خزفية وكتابية تتفق مع الفترة الزمنية التى شُيّد بها الجامع ، وهى الفترة التى تعرف بالعصر الكيلاسيكى فى الفن العثمانى ، ومن الجدير بالذكر أن أقدم جوامع طراز القبة الواحدة تعود إلى العصر العثمانى المبكر كما ذكرنا من قبل فى أماكن متفرقة من مدن الدولة العثمانية خارج إستانبول، وأقدم أمثلة هذا الطراز جامع حاجى أوزبك فى إزنيك (١٣٣٣م) ، وجامع حاجى

(١٢٨)– Abdullah Abdulhafiz , Op.Cit , PP. 212 -214

حمزة فى إزنيك أيضا (١٣٤٥م) ، وجامع أورخان غازى فى بيله جك Bilecik، وجامع أورخان فى كبزه Gebze (النصف الأول من القرن ١٤م) ، والجامع الأخضر فى إزنيك (١٣٧٨-١٣٩١م) [١٢٩] .

وهكذا كان هناك تنوع فى الطرز المعمارية والتخطيطات التى استخدمت فى منشآت أمهات السلاطين التى تناولتها هذه الدراسة ، وكانت غالبية هذه المنشآت عبارة عن مُجمّعات معمارية احتوت أكثر من وحدة معمارية وكان الجامع يمثل نواة هذه المُجمّعات بالإضافة إلى الوحدات الأخرى من مدارس ، ودور طعام ، ومستشفيات ، وأسبلة ، وتكايا ، وكتاتيب ، وأسواق ، ودور ضيافة ، وأضرحة ، وكانت هذه الوحدات المعمارية توزع بشكل أفقى على مساحات كبيرة من الأراضى يتخللها أفنية كانت تزرع بمختلف أنواع الأشجار والزهور ، ويحيط بكل ذلك سور خارجى قليل الارتفاع يتخلله شبابيك مستطيلة عليها مصبعات معدنية فقط دون ضلف خشبية ، ويحتوى هذا السور الخارجى أيضا على أبواب صغيرة تؤدى إلى داخل الأفنية الخارجية .

وكما تنوعت الطرز المعمارية فى منشآت أمهات السلاطين العثمانية كذلك تنوعت الطرز والأساليب الزخرفية فى هذه المنشآت ، ففى العمائر شُيّدت فى العصر الكيلاسيكى العثمانى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر اتبعت الأساليب العثمانية التقليدية فى زخرفة العمائر ، وبوجه عامة كان المعمار والفنان العثمانى يهتم أكثر بزخرفة المسطحات الداخلية بالعمائر ، وكان الأسلوب المُفضّل خلال المرحلة الكيلاسيكية هو زخرفة الجدران الداخلية لارتفاعات عالية بقطع البلاطات الخزفية التى احتوت كل العناصر النباتية التى عرفها الفن الزخرفى العثمانى سواء الطراز النباتى المعروف بأسلوب الرومى وقد تعرفنا عليه أثناء هذه الدراسة ، وهو أسلوب قديم عند الأتراك واشتهر به سلاجقة الروم ومن ثم نسب إليهم وهو عبارة عن أغصان ولفائف وأوراق نباتية وأنصاف مراوح نخيلية ، وتكون زخارف الرومى متصلة ببعضها وتنتهى عند أطرافها بانصاف مراوح نخيلية بشكل مُحوّر يشبه منقار الطائر فى أشكال متعاكسة ، واستخدم هذا الأسلوب الزخرفى النباتى بكثرة فى عمائر العثمانيين التى تعود إلى العصر العثمانى المبكر ، ومن أمثلة ذلك الزخارف الخزفية بالتربة الخضراء فى مدينة بورصة (٨٢٤هـ/١٤٢١م) [١٣٠] ، وكذلك الزخارف الخزفية بواجهة قصر الصينى Çinili köşk وهو من أعمال محمد الفاتح المبكرة فى إستانبول (١٤٧٢م) ، واستمر استخدام هذا الأسلوب الزخرفى النباتى فى الأعمال

(١٢٩) عبد الله عطية عبد الحافظ : " الجوامع العثمانية المبكرة فى إستانبول " مقال بمجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة ، العدد ٢٦ ، جـ١ ، يناير ٢٠٠٠ ، ص ٥٨١-٥٨٢

(١٣٠) عبد الله عطية عبد الحافظ : " التربة الخضراء فى بورصه – دراسة فنية أثرية " مقال بمجلة كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى – قنا – عدد يناير ١٩٩٨، ص ٦٣٠

الخزفية خلال العصر الكيلاسيكى ولكن كان يستخدم فى عمل إطارات ضيقة تحيط بالتكوينات أو اللوحات الخزفية لاسيما الكتابية ، وكانت تحيط بالآيات القرآنية التى تعلو شبابيك الرواق الأمامى ببعض الجوامع العثمانية التى تتبع طراز القبة الواحدة مثل الجامع الخزفى فى اسكودار (جامع كُوسَمْ والدة سلطان) ، وجامع عتيق والدة سلطان باسكودار ، وتحيط بالبلاطات الخزفية المستخدمة فوق الشبابيك السفلية بالرواق الخارجى ، وكذلك أعلى الشبابيك السفلية بداخل الجامعين إطارات زخرفية بها زخرفة الرومى ، والألوان المستخدمة فى هذه الزخارف وفى زخرفة الرومى بوجه عام قليلة أهمها الأخضر بدرجاته ، والأحمر الباهت ، والأسود الباهت .

وبالإضافة إلى أسلوب الرومى النباتى كانت البلاطات الخزفية العثمانية تحتوى على عناصر نباتية كثيرة مثل زهرة اللاله [١٣١] التى كانت تنفذ بأسلوب قريب من الطبيعة ، وزهور القرنفل ، والورد ، والبنفسج ، وزهور الرمان ، وأوراق العنب، وباقات الزهور التى تخرج من الفازات ، وأشجار السرو ، والتفاح ، والأوراق النباتية المسننة ،وازداد عدد الألوان فى الزخارف الخزفية التى تعود إلى العصر الكيلاسيكى ووصل عددها أحيانا فى بعض البلاطات والأوانى الخزفية إلى سبعة ألوان ، وهى الأحمر القانى

---

(١٣١) زهرة اللاله " Lale " من أهم الزهور التى استخدمت فى الفن الزخرفى العثمانى سواء فى البلاطات أو الأوانى الخزفية ، واستخدمت كذلك كعنصر زخرفى فى كافة التحف التطبيقية العثمانية من نسيج وسجاد ، ومعادن ، وأخشاب ، وغير ذلك ، ومن الجدير بالذكر أن زهرة اللاله أصبحت عنصرا زخرفيا نباتيا أساسيا فى الزخرفة العثمانية خلال القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، ووصل الاهتمام بهذه الزهرة النباتية إلى قمته خلال الفترة الأخيرة من حكم السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٥م) ولذلك أطلق علماء الآثار والفنون التركية على تلك الفترة عصر زهرة اللاله " Lale Devri" وأهتم السلطان أحمد الثالث بهذه الزهرة واستنباط أشكال جديدة منها حتى وصل عدد الأشكال المستنبطة من هذه الزهرة نحو ٢٠٠٠ شكل وصنف ، وحققت إستانبول مكانة كبيرة فى الاهتمام بهذه الزهرة واستنباط أشكال جديدة لها ، ومن الجدير بالذكر أن الامبراطوريات والدول التى قامت فى منطقة الأناضول قبل مجئ الأتراك كالامبراطورية الرومانية والبيزنطية لم تكن تعرف زهرة اللاله ، ومع وصول الأتراك إلى الأناضول بدأ الاهتمام بهذه الزهرة وبدأت تستخدم كعنصر زخرفى فى الفن التركى بالأناضول منذ القرن الثانى عشر الميلادى أى زمن سلاجقة الروم ، ووصل الاهتمام بها إلى القمة كما ذكرنا فى عهد السلطان أحمد الثالث ، وانتقلت زهرة اللاله من تركيا إلى أوربا ، ويقال أن سفير مملكة النمسا والمجر لدى الدولة العثمانية زمن السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠-١٥٤٦م) السيد / ج.بُوسبيك G.Busbecq هو الذى نقل بذور وشتلات زهرة اللاله من إستانبول إلى أوربا ، وعرفت زهرة اللاله عند الأوربين باسم التوليب " Tulipa " ، ولا نبالغ إذا قلنا أن زهرة اللاله أصبحت أهم عنصر نباتى فى مملكة النباتات المستخدمة فى الفنون التركية ، وقلما نجد تحفة أو بلاطة خزفية أو آنية لا تحتوى عناصر لزهرة اللاله التى صُورت بأشكال متنوعة . انظر :

- Turhan Baytop : İstanbul Lalesi , Ankara 1992 , PP. 1-4

(الطماطمى) ، والأزرق ، والأبيض ، والأخضر ، والأسود ، والفيروزى ، وحققت مدينة إزنيك İznik شهرة عظيمة خلال القرن السادس عشر فى صناعة البلاطات الخزفية ، وقد انتجت أغلب البلاطات التى استخدمت فى عمائر تلك الفترة ومنها بلاطات الجامع الخزفى ، وجامع عتيق والدة سلطان ، والجامع الجديد فى امنيونو (يني جامع) .

وفى الحقيقة فقد كان أسلوب زخرفة الجدران بالبلاطات الخزفية هو الأسلوب المُفضّل عند الأتراك العثمانيين ، وأهملوا أسلوب زخرفة الجدران بقطع الفسيفساء الخزفية الدقيقة وكان شائعا عند سلاجقة الروم بالأناضول قبل العثمانيين ، وكان هذا الأسلوب – أى تكسيه وزخرفة الجدران بالبلاطات الخزفية – أهم أسلوب زخرفى معمارى عند العثمانيين [١٣٢] ، وكان يتم استخدام هذا الأسلوب فى كافة الأسطح والحنايا الداخلية من جدران مسطحة ولارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار ، وحنايا المحاريب، ومناطق الإنتقال (مثلثات كروية) ، والمناطق التى تعلو أعتاب الشبابيك السفلية فى الجوامع ، والأكتاف أو الدعائم الضخمة الحاملة لقباب الجوامع ، كل هذه الأجزاء والمسطحات تم تكسيتها ببلاطات خزفية عثمانية الطراز ، ومن أمثلة ذلك الجامع الخزفى ، وجامع عتيق والدة سلطان باسكودار ، والجامع الجديد بامينونو والضريح الملحق به ، وجدار القبلة بجامع الوالدة الجديد باسكودار ، أيضا استخدم أسلوب زخرفة الجدران ببلاطات الخزف فى القصور العثمانية ، والمقصورات السلطانية الخاصة بالسلاطين ببعض الجوامع العثمانية ، ومن أمثلة ذلك البلاطات الخزفية التى تكسو جدران حجرات الوالدة سلطان بالقصر السلطانى الملحق بالجامع الجديد بامينونو والذى شيّدته ترخان والدة سلطان ملاصقا للجامع الجديد ، وهى تكسيات خزفية بالجدران والمدفأة وما حولها ، وهى تحمل كل سمات وزخارف البلاطات الخزفية التى تعود إلى تاريخ الانشاء (القرن السابع عشر) .

وبالإضافة إلى الزخارف والعناصر النباتية التى نفذت بالبلاطات الخزفية نفذ الفنان العثمانى الكتابات القرآنية بداخل الجوامع وخارجها بالبلاطات الخزفية ، وكان يستخدم بها لونان فقط هما الأبيض للحروف الكتابية والأزرق للأرضيات ، وكان الخط الشائع آنذاك هو الثلث ، وقد استخدمت الزخارف الكتابية أيضا فى تزيين بعض التحف التطبيقية المستخدمة فى الحياة اليومية أو المستخدمة فى بعض الجوامع كالمشكاوات الخزفية ، وفى هذه الحالة كان الخزّاف أو الفنان يختار بعض الآيات المرتبطة بوظيفة الآنية مثل الآية " الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاه فيها مصباح" (١٣٣) .

---

(١٣٢) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٧٤-٧٥

(١٣٣) سورة النور ، الآية ٣٥

والخلاصة أن تطور صناعة الخزف التركى خلال القرن السادس عشر والسابع عشر انعكس على أساليب زخرفة العمائر العثمانية ، وقد انتجت مصانع الخزف في إزنيك وكوتاهيه أروع وأجمل البلاطات الخزفية التى استخدمت فى تكسية الجدران الداخلية والمحاريب لكثير من الجوامع العثمانية ومنها ما قامت بانشائه بعض والدات السلاطين العثمانيين (١٣٤) .

وبالإضافة إلى التكسيات الخزفية استخدم أسلوب آخر فى زخرفة بعض المسطحات الداخلية وبواطن القباب والعقود ، ونعنى بذلك أسلوب الزخرفة بالألوان المائية ، وقد عرفته العمارة العثمانية منذ فترة مبكرة ، وكان هذا الأسلوب يستخدم فى الغالب فى بواطن القباب ، وكان قوام الزخرفة به عبارة عن رسوم نباتية تدور حول مفتاح القبة ، وأشكال بخاريات وأجزاء منها ، وأحيانا تنفذ كتابات باطن القبة حول مفتاح القبة بالألوان المائية ، وهذه الكتابات فى الغالب تكون آيات قرآنية ، وكان يكتب أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة بالمثلثات الكروية الأربعة الحاملة للقبة بالألوان المائية، وأيضا كان يتم استخدام هذا الأسلوب فى الأقسام العلوية من الجدران فى بعض الجوامع ، وكانت العناصر الشائعة هى العناصر النباتية وأشكال البخاريات ، وكان اللون المفضل فى الألوان المائية هو الأحمر بدرجاته على أرضية بيضاء .

وعندما تأثرت تركيا ببعض الأساليب الفنية الأوربية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهرت تلك التأثيرات فى زخرفة معظم العمائر شُيّدت خلال تلك المرحلة ، وشاهدنا أساليب فنية وافدة أوربية مثل الباروك والروكوكو وغيرها فى الزخارف العثمانية ، ولكن كما ذكرنا من قبل أن الفنان التركى لم يأخذ هذه الأساليب الوافدة كما هى بل أضاف إليها من روحه وذوقه وتراثه الفنى بحيث أصبح هناك توافق بينها وبين الأساليب التركية الأصيلة التقليدية (١٣٥) .وتظهر هذه الأساليب الزخرفية الأوربية فى بعض عمائر والدات السلاطين مثل جامع بَزْمْ عالم والدة سلطان (طولمه باغجه) ، وجامع الوالدة فى آقسراى (جامع الوالدة سلطان) ، وتظهر الأساليب الأوربية فى زخارف الجامعين الخارجية والداخلية من كرانيش تحيط بالقبة من الخارج ، وأوراق الاكنتس كبيرة الحجم ، والفازات التى تخرج منها باقات الورود ، وعقود دائرية متجاورة تغطى باطن القبة فى جامع طولمه باغجه ، والأبراج التى تحيط بالقبة، بل تم تصميم بعض شرفات المآذن نفسها على هيئة ورقة نباتية أو وريدة تحملها أشكال دوائر

(١٣٤) لمزيد من المعلومات عن البلاطات الخزفية العثمانية وزخارفها ، انظر : ربيع حامد خليفه : الفنون الإسلامية فى العصر العثمانى ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص ١٩-٣٥

(١٣٥) أسين أطيل : " الفنون والعمارة العثمانية " مقال بكتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد الثانى ، ترجمة صالح سعداوى (منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية) إستانبول ١٩٩٩م ، ص ٧٠٤-٧٠٥

بارزة أو أوراق اكنتس كما هو الحال فى منذنتى جامع طولمه باغجه ، وهذه الأساليب الزخرفية الوافدة من أوربا ظهرت فى كل عمائر تلك الفترة سواء المدنية أو الدينية ، وبعبارة أخرى كانت تلك التأثيرات الوافدة بمثابة موجات فنية وفدت لتركيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ورحب بها الأتراك بغية اللحاق بأوربا التى سبقتهم فنيا وتكنولوجيا فأخذ الأتراك بتلك النظم المعمارية والأساليب الفنية والزخرفية لمحاكاة وتقليد الأوربيون، وكل هذه الأساليب ظهرت فى منشآت وعمائر أمهات السلاطين العثمانيين .

وأخيرا فقد أوضحت هذه الدراسة الدور الهام الذى قامت به أمهات السلاطين العثمانيين سواء فى مجال السياسة والادارة أو الحياة الفنية ، ومساهمتهن الكبيرة فى حركة الأعمار والتشييد ، وكانت غالبية المنشآت التى أقامتها أمهات السلاطين عبارة عن مُجمّعات معمارية احتوت وحدات معمارية كثيرة لتلبية احتياجات متنوعة فى مجتمع إستانبول . وقد اتبعت هذه المنشآت الطرز المعمارية والزخرفية التى كانت شائعة زمن تشييد أعمالهن المعمارية ، فمنشآت القرن السادس عشر تختلف فى طرازها المعمارى والزخرفى عن تلك المنشآت التى شُيّدت خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، فالأولى اتبعت الطرز الفنية التركية التقليدية ، أما الثانية فقد اتبعت الطرز التركية التى كانت متأثرة ببعض الأساليب الفنية الأوربية .

فهرس الأشكال

شكل رقم (١) المسقط الأفقى لجامع عتيق والدة سلطان فى إسكودار – إستانبول.
التخطيط الأول للجامع
عن (Aptullah Kuran)
شكل رقم (٢) المسقط الأفقى لجامع عتيق والدة سلطان – التخطيط الحالي
عن (Aptullah Kuran)
شكل رقم (٣) المسقط الأفقي للجامع الخزفي – إسكودار
عن (M.Sözen)
شكل رقم (٤) المسقط الأفقي لجامع السلطان أحمد – إستانبول
عن (Goodwin)
شكل رقم (٥) المسقط الأفقي للجامع الجديد (يني جامع) فى أمينونو – إستانبول
عن (Vakıflar)
شكل رقم (٦) المسقط الأفقى لمُجمّع يني جامع فى أمينونو
عن (Goodwin)
شكل رقم (٧) المسقط الأفق لجامع الوالدة سلطان في أقسراي – إستانبول
عن (M.Sözen)
شكل رقم (٨) المسقط الأفقي لضريح السلطان أحمد الأول فى إستانبول
عن (H.Önkal)
شكل رقم (٩) المسقط الفقي لضريح تُرخان والدة سلطان في أمينونو
عن (H.Önkal)
شكل رقم (١٠) المسقط الأفقي لضريح كولنوش والدة سلطان في إسكودار
عن (H.Önkal)

فهرس اللوحات

لوحة رقم (١) : منظر عام لجامع عتيق والدة سلطان (نوربانو) في إسكودار
لوحة رقم (٢) : مدخل جامع عتيق والدة سلطان
لوحة رقم (٣) : كتابات خزفية تعلو أحد شبابيك الرواق الأمامي بجامع عتيق والدة سلطان
لوحة رقم (٤) : كتابات خزفية تعلو أحد شبابيك الرواق الأمامي
لوحة رقم (٥) : كتابات خزفية بالرواق الأمامي
لوحة رقم (٦) : كتابات خزفية بالرواق الأمامي
لوحة رقم (٧) : كتابات خزفية بالرواق الأمامي
لوحة رقم (٨) : كتابات خزفية بالرواق الأمامي
لوحة رقم (٩) : منظر داخلي بجامع عتيق والدة سلطان
لوحة رقم (١٠) : منظر داخلي بجامع عتيق والدة وتظهر زخرفة الألوان المائية
لوحة رقم (١١) : محراب جامع عتيق والدة سلطان الرخامي
لوحة رقم (١٢) : منبر الجامع الرخامي
لوحة رقم (١٣) : باطن القبة بالجامع
لوحة رقم (١٤) : كتابات قرآنية خزفية حول المحراب
لوحة رقم (١٥) : كتابات قرآنية خزفية حول المحراب
لوحة رقم (١٦) : تجميعة خزفية يعلوها كتابات خزفية على يمين منطقة المحراب
لوحة رقم (١٧) : تجميعة خزفية يعلوها كتابات خزفية على يسار منطقة المحراب
لوحة رقم (١٨) : منظر عام لجامع كوسم والدة سلطان (الجامع الخزفي) في اسكودار
لوحة رقم (١٩) : السور الخارجي لجامع كوسم والدة سلطان
لوحة رقم (٢٠) : جدار القبلة والمحراب الخزفي بالجامع
لوحة رقم (٢١) : منظر عام لجامع ترخان والدة سلطان (يني جامع) في أمينونو- إستانبول
لوحة رقم (٢٢) : منظر عام لجامع ترخان والدة سلطان ويظهر به الجامع، والدائرة السلطانية، والضريح، والسوق المصري
لوحة رقم (٢٣) : منظر عام للجامع من الجهة الشمالية ويظهر به السوق المصري
لوحة رقم (٢٤) : الواجهة الجنوبية لـ يني جامع وتظهر بها القبة الرئيسية ونصف القبة أمام المحراب

لوحة رقم (٢٥) : قطاع في واجهة الصحن الخارجية بالجهة الغربية ونشاهد أحد مداخل الصحن
لوحة رقم (٢٦) : جزء من الواجهة الشمالية ويظهر القبة المركزية ومئذنة الجامع الشرقية
لوحة رقم (٢٧) : منظر عام للجامع- من الجهة الشمالية
لوحة رقم (٢٨) : المئذنة الغربية للجامع
لوحة رقم (٢٩) : صحن الجامع ويتوسطه الشادروان
لوحة رقم (٣٠) : القبة المركزية وأحد أنصاف القباب حولها ونشاهد التدرج في مستويات القبة وأنصافها والقباب الركنية الصغيرة
لوحة رقم (٣١) : منظر داخل صحن الجامع يظهر به الشادروان وبيت الصلاة بقبته الكبيرة وأنصاف القباب حولها
لوحة رقم (٣٢) : مدخل الجامع في الرواق الأمامي ويصل بين الصحن وبيت الصلاة
لوحة رقم (٣٣) : محراب خزفي صغير في الرواق الأمامي للصحن على يمين مدخل الجامع الموصل بين الصحن وبيت الصلاة
لوحة رقم (٣٤) : أحد شبابيك الرواق الأمامي السفلية ويعلوها كتابات خزفية قرآنية
لوحة رقم (٣٥) : أحد شبابيك الرواق الأمامي ويظهر المحراب الخارجي الخزفي والبلاطات التي تكسو الجدران والكتابات الخزفية تعلو كل ذلك
لوحة رقم (٣٦) : البلاطات الخزفية والكتابات في القسم الأيسر من الرواق الأمامي بجامع يني جامع
لوحة رقم (٣٧) : تفصيل من الكتابات الخزفية القرآنية التي تعلو التكسيات الخزفية بجدار الرواق الأمامي
لوحة رقم (٣٨) : تفصيل من الكتابات الخزفية بجدار الرواق الأمامي
لوحة رقم (٣٩) : منظر داخلي بجامع يني جامع ويظهر به المنبر الرخامي
لوحة رقم (٤٠) : باطن القبة المركزية وحولها أنصاف قباب بالجامع
لوحة رقم (٤١) : البلاطات الخزفية والمدفأة الخزفية داخل حجرة الوالدة سلطان بالدائرة السلطانية الملاصقة للجامع
لوحة رقم (٤٢) : أحد الجدران بالدائرة السلطانية ونشاهد التكسيات الخزفية بالجدران
لوحة رقم (٤٣) : منظر داخلي للدائرة السلطانية ونشاهد التكسيات الخزفية بالجدران
لوحة رقم (٤٤) :القسم الأيمن برواق الجدار الأمامي لضريح ترخان والدة سلطان بالقرب من يني جامع

لوحة رقم (٤٥) : القسم الأيسر من الرواق الأمامي للضريح ونشاهد التكسيات والكتابات الخزفية
لوحة رقم (٤٦) : تفصيل من الكتابات الخزفية القرآنية بجدار الرواق الأمامي بضريح ترخان والدة سلطان
لوحة رقم (٤٧) : تفصيل من الكتابات الخزفية
لوحة رقم (٤٨) : تفصيل من الكتابات الخزفية
لوحة رقم (٤٩) : تفصيل من الكتابات الخزفية
لوحة رقم (٥٠) : تجميعه خزفية بالقسم الأيمن من رواق الضريح
لوحة رقم (٥١) : تجميعه خزفية بالقسم الأيسر من رواق الضريح
لوحة رقم (٥٢) : جامع كولنوش والدة سلطان (جامع الوالدة الجديد) في إسكودار- منظر عام
لوحة رقم (٥٣) : منظر عام لجامع الوالدة الجديد
لوحة رقم (٥٤) : السور الخارجي الغربي لجامع الوالدة الجديد
لوحة رقم (٥٥) : قسم من واجهة الصحن الخارجية المطلة على الفناء
لوحة رقم (٥٦) : أحد أبواب صحن جامع الوالدة الجديد
لوحة رقم (٥٧) : جزء من الرواق الغربي بصحن الجامع
لوحة رقم (٥٨) : جزء من الرواق الغربي بالجامع
لوحة رقم (٥٩) : جزء من الرواق الشرقي بالجامع
لوحة رقم (٥٩) : جزء من الرواق الشرقي بالجامع
لوحة رقم (٦٠) : الصحن والشادروان ومئذنتي جامع الوالدة الجديد
لوحة رقم (٦١) : شادروان الصحن بالجامع
لوحة رقم (٦٢) : كتلة السبيل وبجوارها ضريح كولنوش والدة سلطان
لوحة رقم (٦٣) : ضريح كولنوش والدة سلطان
لوحة رقم (٦٤) : جامع بَزمْ عالم والدة سلطان (طولمة باغجه) في بشكطاش- منظر عام
لوحة رقم (٦٥) : قبة جامع طولمه باغجه والأبراج الركنية حولها
لوحة رقم (٦٦) : أحد الأبراج حول قبة الجامع
لوحة رقم (٦٧) : باب جامع طولمه باغجه ويعلوه حجرات الدائرة السلطانية التي تتقدم الجامع
لوحة رقم (٦٨) : الدائرة السلطانية التي تتقدم واجهة الجامع الأمامية
لوحة رقم (٦٩) : منظر داخلي بجامع طولمه باغجه
لوحة رقم (٧٠) : القسم العلوي من الجهة الشمالية داخل جامع طولمه باغجه ويظهر به مصلى النساء في الطابق العلوي
لوحة رقم (٧١) : الجدار القبلي بالجامع يتوسطه المحراب
لوحة رقم (٧٢) : أحد العقود الحاملة لقبة الجامع
لوحة رقم (٧٣) : باطن القبة بجامع طولمه باغجه

لوحة رقم (٧٤) : محراب جامع طولمه باغجه
لوحة رقم (٧٥) : الجدار الغربي بجامع طولمه باغجه
لوحة رقم (٧٦) : كرسي الوعظ أو المقرئ بالجامع
لوحة رقم (٧٧) : جامع برتونيال والدة سلطان (جامع الوالدة سلطان) في آقسراي- منظر عام
لوحة رقم (٧٨) : الواجهة الجنوبية بجامع الوالدة في آقسراي
لوحة رقم (٧٩) : الواجهة الشمالية لجامع الوالدة في آقسراي
لوحة رقم (٨٠) : القسم العلوي من الجامع والقبة التي تغطيه
لوحة رقم (٨١) : القسم العلوي لجامع الوالدة سلطان من الجهة الجنوبية
لوحة رقم (٨٢) : واجهة المدخل الرئيسي الخارجي للجامع
لوحة رقم (٨٣) : جامع الوالدة بآقسراي - منظر عام
لوحة رقم (٨٤) : قبة الجامع
لوحة رقم (٨٥) : منظر داخلي بجامع الوالدة بآقسراي
لوحة رقم (٨٦) : الجدار الغربي داخل الجامع
لوحة رقم (٨٧) : باطن القبة بالجامع
لوحة رقم (٨٨) : جدار القبلة بالجامع ويظهر المحراب بوسطه والمنبر على يمينه
لوحة رقم (٨٩) : محراب جامع الوالدة سلطان الرخامي
لوحة رقم (٩٠) : منبر الجامع الرخامي
لوحة رقم (٩١) : ضريح السلطان سليم الثاني
لوحة رقم (٩٢) : ضريح السلطان أحمد الأول
لوحة رقم (٩٣) : سبيل صالحة والدة سلطان في حي عزب قابي - منظر عام
لوحة رقم (٩٤) : سبيل صالحة والدة سلطان - منظر جانبي
لوحة رقم (٩٥) : سبيل صالحة والدة سلطان - جزء من الواجهة يظهر بها أحد شبابيك السبيل
لوحة رقم (٩٦) : أحد التشششمات بسبيل صالحة والدة سلطان
لوحة رقم (٩٧) : أحد الشبابيك بسبيل صالحة والدة سلطان
لوحة رقم (٩٨) : تفصيل من الكتابات والزخارف الرخامية أعلى الشباك الأوسط بالسبيل
لوحة رقم (٩٩) : سبيل السلطان أحمد الثالث أمام قصر طوب قابي سراي في استانبول
لوحة رقم (١٠٠) تشششمه السلطان محمود الأول في حي طوب خانه باستانبول

المصادر والمراجع

أولا : المراجع العربية والمُعرّبة

- أحمد محمد عيسى : مصطلحات الفن الإسلامي (منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية) إستانبول ١٩٩٤م
- أسين آطيل : " الفنون والعمارة العثمانية " مقال بكتاب الدولة العثمانية – تاريخ وحضارة ، المجلد الثانى ، ترجمة صالح سعداوى ، نشر اكمال الدين إحسان اوغلو (منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إستانبول ١٩٩٩م ، ص ٣٩٣-٧٣٧
- اوقطاى آصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى (منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية) إستانبول ١٩٨٧م
- برنارد لويس : إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، ترجمة سيد رضوان على ، طـ٢ ، جدة ١٩٨٢م
- ربيع حامد خليفة : الفنون الإسلامية فى العصر العثمانى ، ط١، القاهرة ٢٠٠١م
- س.موستراس : المعجم الجغرافى للإمبراطورية العثمانية ، ترجمة عصام الشحادات ، بيروت ٢٠٠٢م
- عبدالله عطية عبدالحافظ : " التربة الخضراء فى بورصه – دراسة اثرية " مقال بمجلة كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى – قنا – عدد يناير ١٩٩٨م ، ص ٦١٥-٦٦١
- ..... : " الجوامع العثمانية المبكرة فى إستانبول " مقال بمجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة ، العدد ٢٦ ، جـ١، يناير ٢٠٠٠م ، ص ٥٣٠-٦٣٧
- محمد عبدالعزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، القاهرة ١٩٨٧م
- محمود حامد الحسينى : الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة (١٥١٧-١٧٩٨م) ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٨٨م

ثانيا : المصادر التركية العثمانية

- حافظ حسين ايوانسرايى : حديقة الجوامع ، جـ٢ ، إستانبول ١٢٨١ هـ
- شمس الدين سامى : قاموس تركى ، طـ٢ ، إستانبول ١٩٨٧م
- محمد ثريا : سجل عثمانى ياخود تذكره مشاهير عثمانية ، جـ١ ، إستانبول ١٣٠٨ هـ

ثالثا : المراجع التركية الحديثة والأجنبية

- ABDULHAFIZ , Abdullah A : Osmanlı Döneminde İstanbul ile Kahire Arasında Mimari Etkileşimler (İ.Ü.Ed.Fak. Sanat Tarihi Bl.Yayınlanmamış Doktora tezi) İstanbul 1994
- AKŞİT , İlhan : Treasure of İstanbul , İstanbul 1987
- ALTUN , Ara : Anadolu'da Artuklu Türk Mimarisinin Gelişmesi , İstanbul 1978
- ANONIM : Eminöü Camileri , İstanbul 1987
- ANONİM : Büyük Larousse Sözlük ve Ansiklopedisi , C.4, İstanbul Tarihsiz
- ANONİM : Selçuklu Gevher Nesibe Sultan Tıp Fakültesi , Kayseri 1991
- ANONİM : Temel Britannica , C.4, İstanbul 1992
- ARSEVEN , Celal E. : Sanat Ansiklopedisi , C.I, 5. baskı, İstanbul 1983 ; C.II, İst. 1965 ; C.Iv, İst. 1983
- .....: Türk Sanatı , İstanbul 1984
- ASLANAPA , Oktay : Osmanlı Devri Mimarisi , İstanbul 1986
- ..... : Mimar Sinanın Hayatı ve Eserleri , Ankara 1988
- BAYTOP , Turhan : İstanbul Lalesi , Ankara 1992
- BUMİN , Kürşat : " Edirne From Yesterday to Today " Edirne , İstanbul 1993 , PP. 19-78
- CEZAR , Mustafa : Typical Commercial Buildings of the Ottoman Classical Period and the Ottoman Construction System İstanul 1983
- CONTİ, Flavio : Barok Sanatını Tanıyalım , Çev. Solmaz Turunç, İstanbul Tarihsiz
- ÇEÇEN , Kazım : Taksim ve Hamidiye Suları, İstanbul 1992

- DEDEOĞLU , Abdülkadır : Osmanlı Albümü , C.1, İstanbul Tarihsiz
- ETHEM , Halil : Camilerimiz , İstanbul 1932
- GOODWİN , Godfrey : A history of Ottoman Architecture , London 1987
- GÜLERSOY , Çelik : Dolmabahçe , İstanbul 1984
- İYIANLAR , Arzu : Valide Sultanlarin İmar Faaliyetleri (Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi) İstanbul 1992
- HASOL , Doğan : Ansiklopedik Mimarlik Sözlüğü, 2.baskı , İstanbul 1979
- KAFESOĞUU , İbrahim : " İstanbul " İslam Ansiklopedisi , C.5- II, İstanbul Tarihsiz , PP. 1142-1180
- KOÇU , Reşad : Osmanlı Padisahları , İstanbul 1981
- KONYALI , İbrahim H. : Abideleri ve Kitabeleriyle Üsküdar Tarihi , C.1, İstanbul 1976
- KUMBARACILAR , İzzet : İstanbul Sebilleri , İstanbul 1938
- KURAN , Aptullah : Mimar Sinan , İstanbul 1986
- ÖNDER , Mehmet : Şaheser camilerimiz , Ankara 2000
- ÖNKAL , Hakkı : Osmanlı Hanedan Türbeleri, Ankara 1992
- ÖZ , Tahsin : İstanbul Camileri , C.2, 2.baskı, Ankara 1987
- ÖZKARCI , Mehmet : Niğde'de Türk Mimarısi , Ankara 2001
- ÖZKEÇECI, Ilhan : Tarihi Kayseri Cami ve Mescidleri , Kayseri 1997
- PAKALIN , Mehmet Z. : Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü , C.2, İstanbul 1983

- TANMAN , Baha : " Sinanın Mimarisi İmaretler " Mimarbaşkoca Sinan Yaşadığı Çağ ve Eserleri , İstanbul 1988 , PP. 333-353
- TUĞLACI , Pars : Osmanlı Şehirleri , İstanbul 1985
- TURAN , Adnan : Sanat Terimleri Sözlüğü , 3.baskı , Ankara 1975
- ULUÇAY , Çağatay : Padişahların Kadınları ve kızları , Ankara 1980

الأشكال

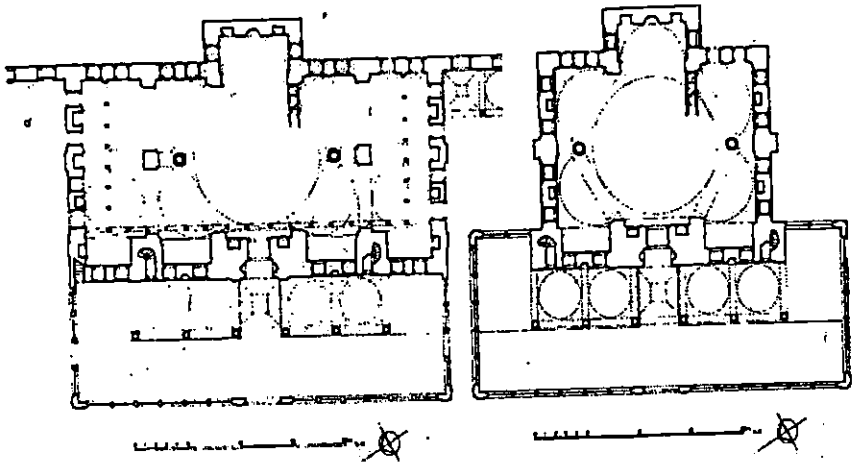

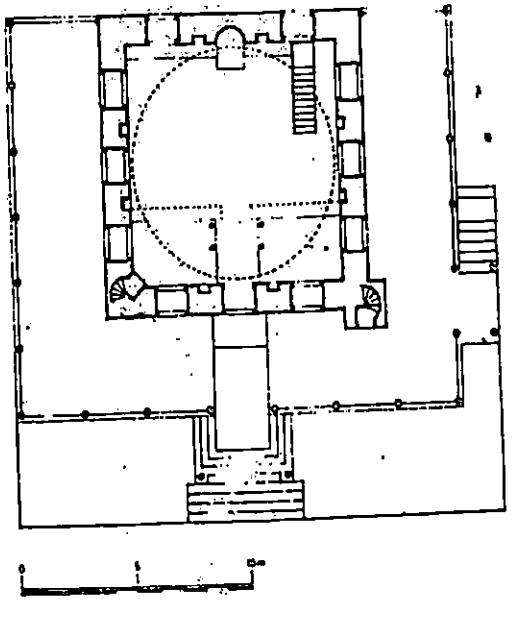

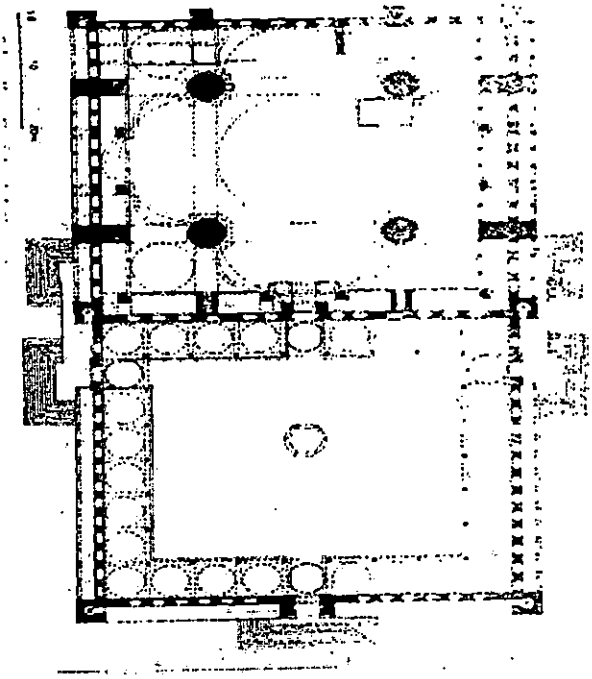

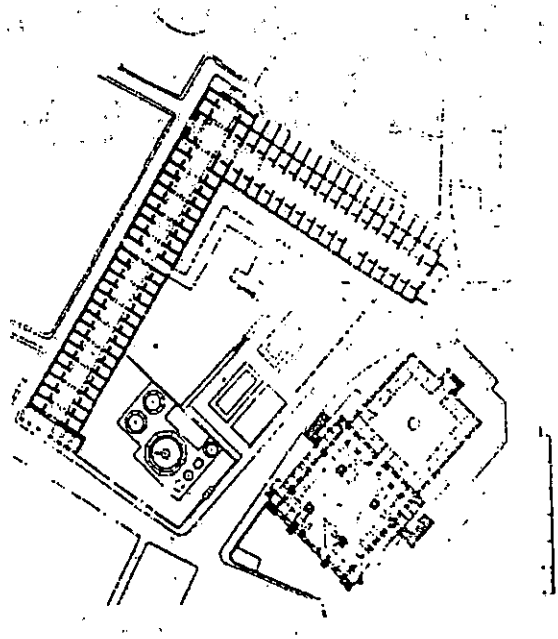

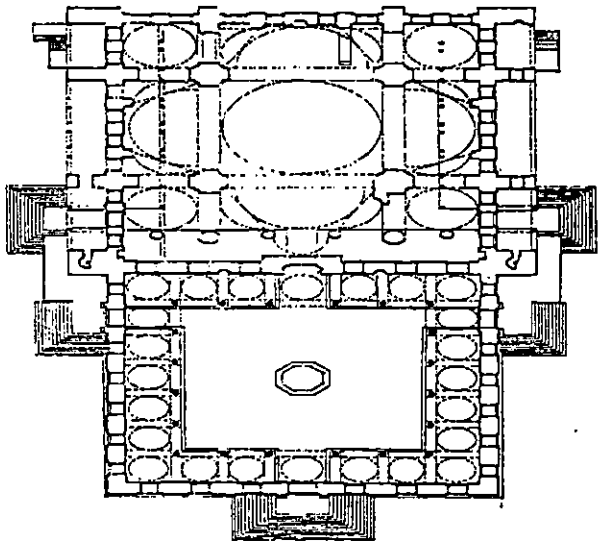

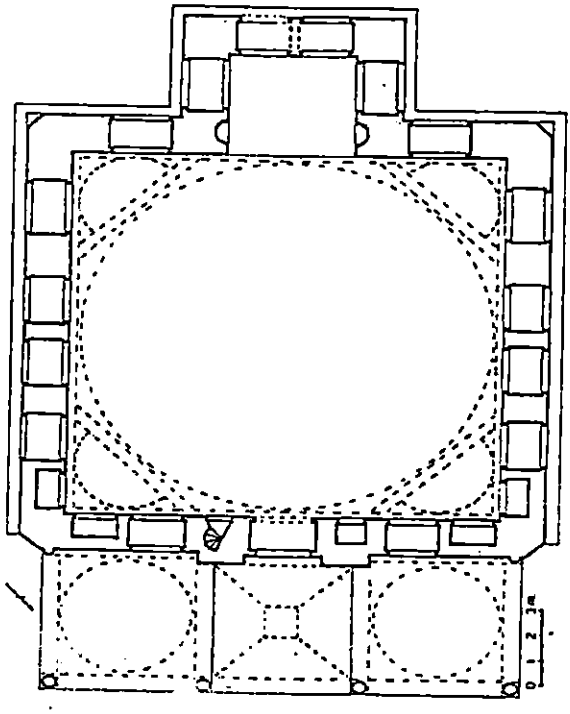

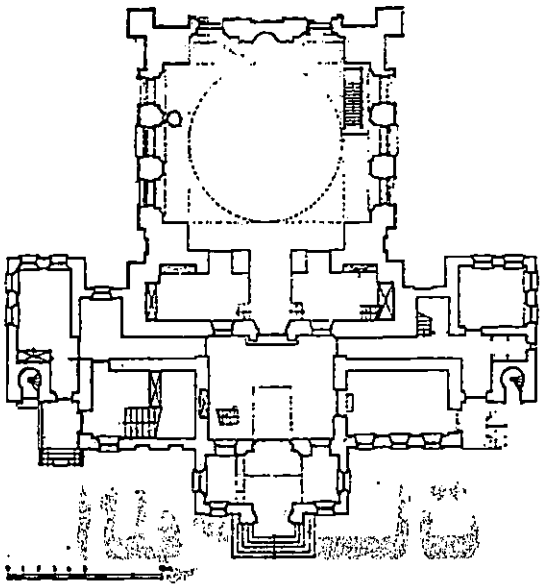

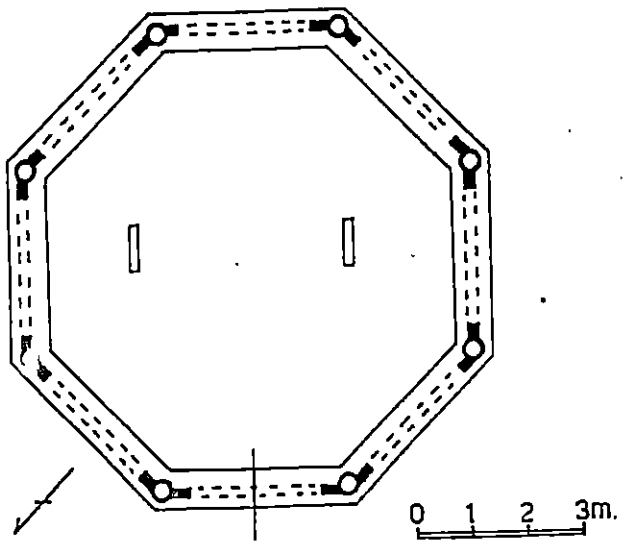
0 1 2 3m.

اللوحـــات

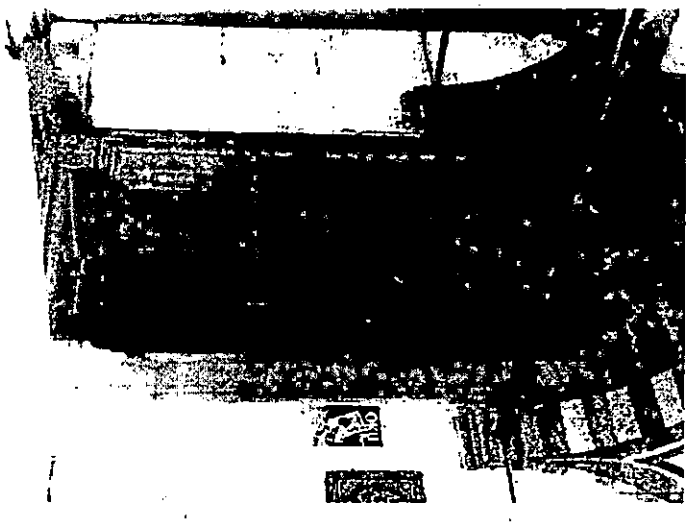

لوحة رقم (٢) : مدخل جامع عتيق والدة سلطان

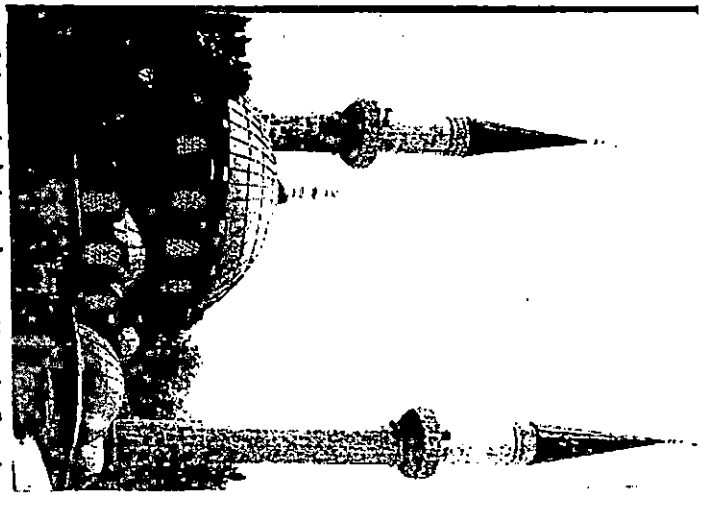

لوحة رقم (١) : منظر عام لجامع عتيق والدة سلطان (نوربانو) في إسكودار

لوحة رقم (٣) : كتابات خزفية تعلوا أحد شبابيك الرواق الأمامي بجامع عتيق والدة سلطان

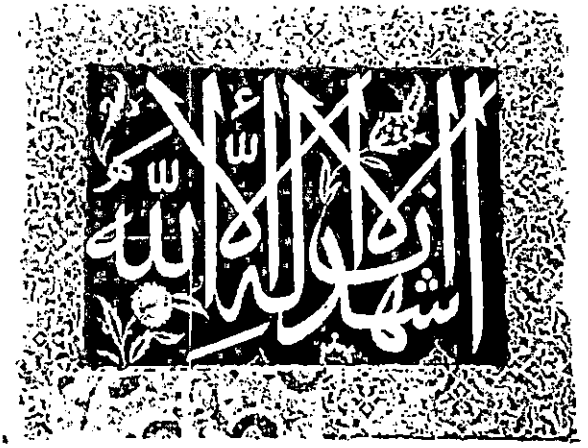

لوحة رقم (٤) : كتابات خزفية تعلوا أحد شبابيك الرواق الأمامي

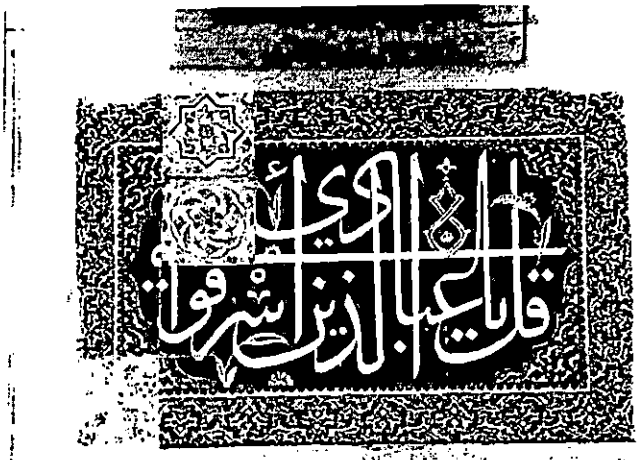

لوحة رقم (٥) : كتابات خزفية بالرواق الأمامي

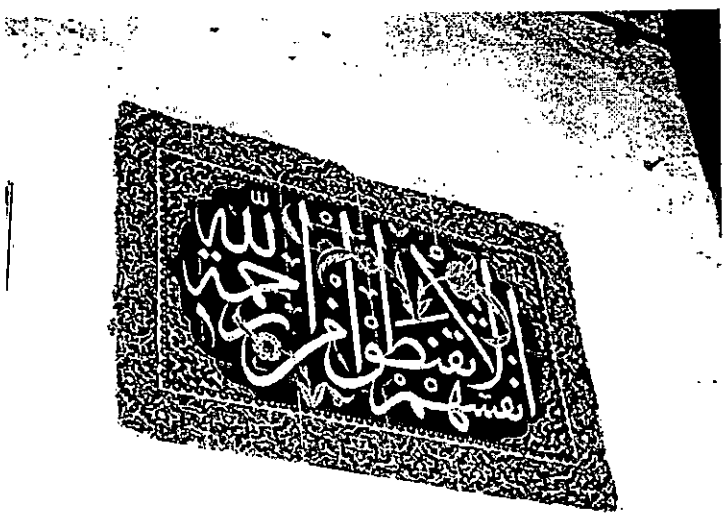

لوحة رقم (٦) : كتابات خزفية بالرواق الأمامي

لوحة رقم (٧) : كتابات خزفية بالرواق الأمامي

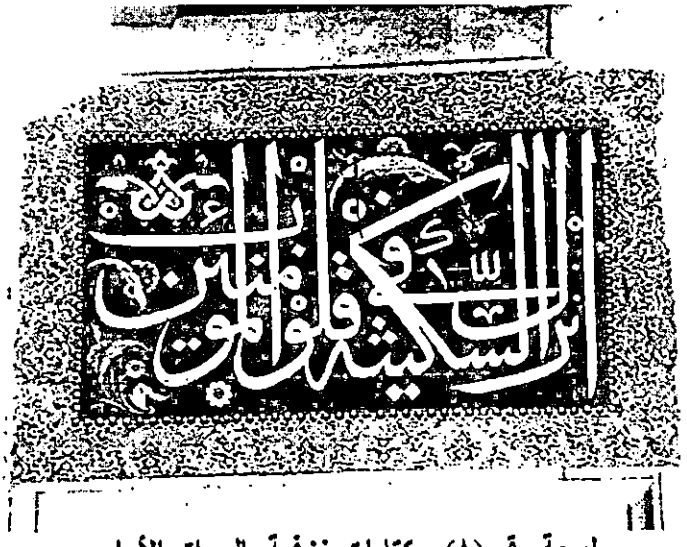

لوحة رقم (٨) : كتابات خزفية بالرواق الأمامي

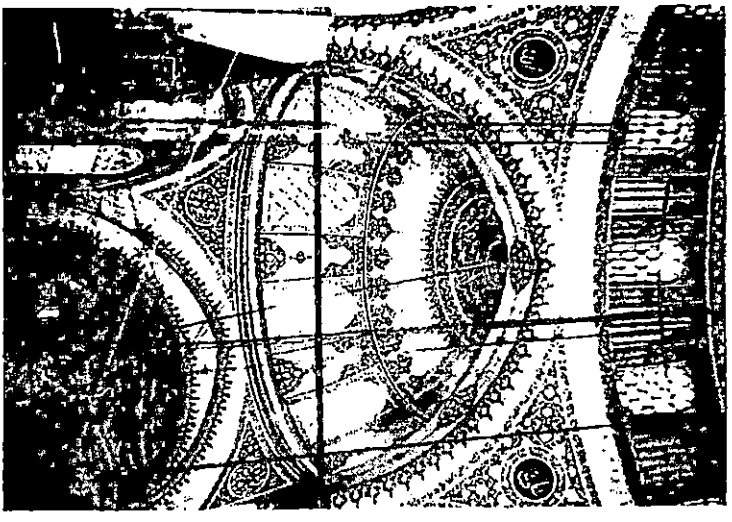

لوحة رقم (١٠) : منظر داخلي بجامع عتيق والدة وتظهر زخرفة الألوان المائية

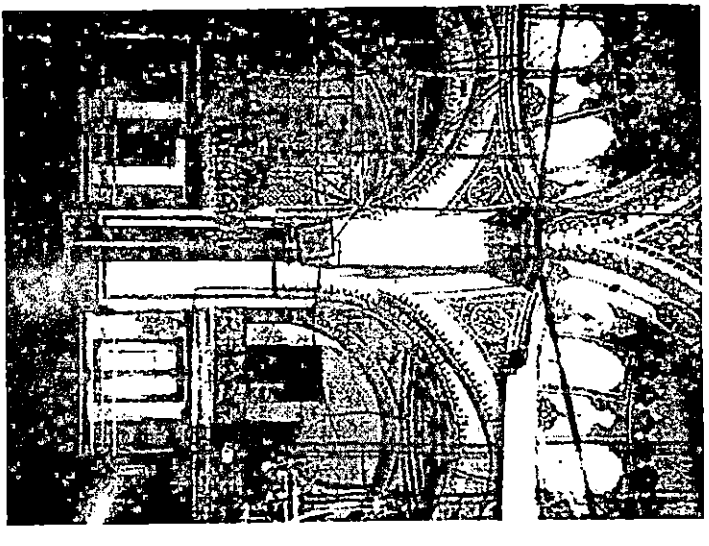

لوحة رقم (٩) : منظر داخلي بجامع عتيق والدة سلطان

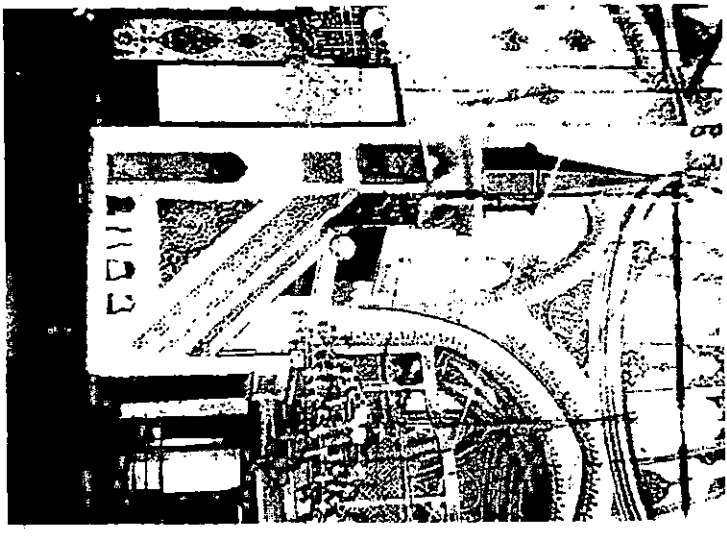

لوحة رقم (١٢) : منبر الجامع الرخامي

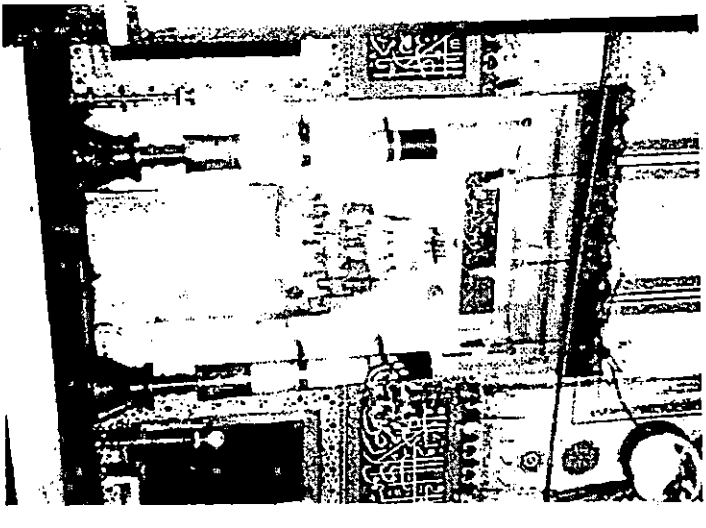

لوحة رقم (١١) : محراب جامع عتيق والدة سلطان الرخامي

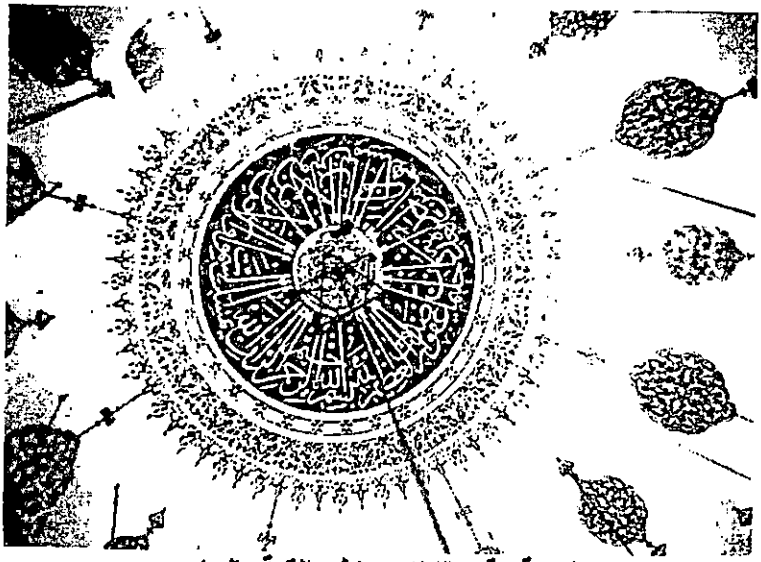

لوحة رقم (١٣) : باطن القبة بالجامع

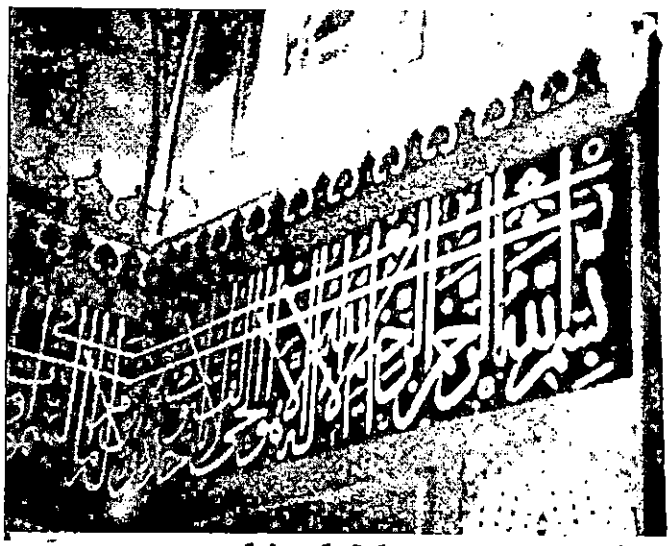

لوحة رقم (١٤) : كتابات قرآنية خزفية حول المحراب

لوحة رقم (١٥) : كتابات قرآنية خزفية حول المحراب

لوحة رقم (١٦) : تجميعة خزفية يعلوها كتابات خزفية على يمين منطقة المحراب

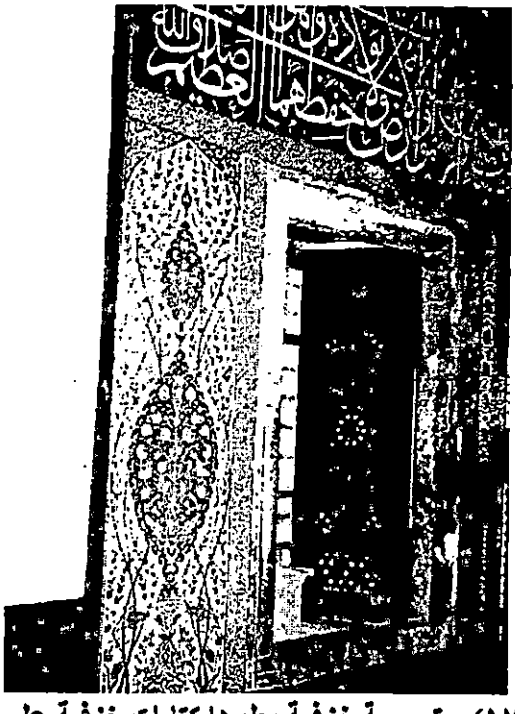

لوحة رقم (١٧) : تجميعة خزفية يعلوها كتابات خزفية على يسار منطقة المحراب

لوحة رقم (١٨) : منظر عام لجامع كوسم والدة سلطان (الجامع الخزفي) في اسكودار

لوحة رقم (١٩) : السور الخارجي لجامع كوسم والدة سلطان

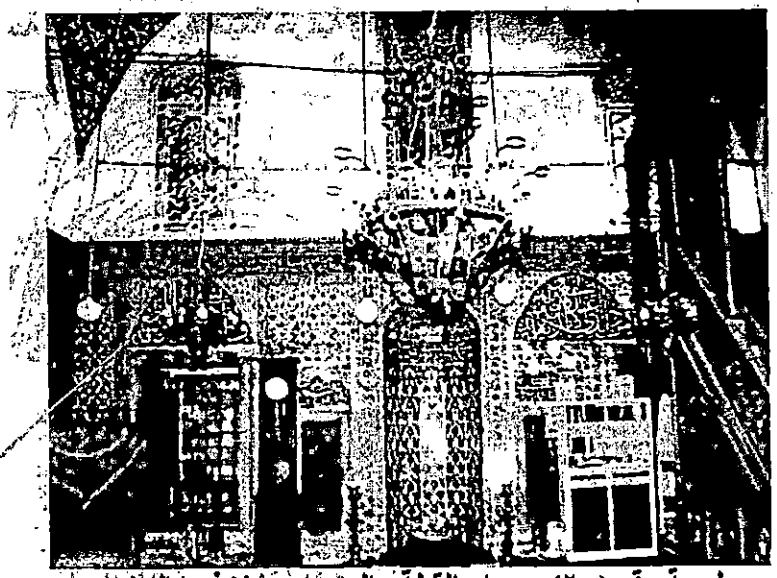

لوحة رقم (٢٠) : جدار القبلة وال[illegible]لخزفي بالجامع

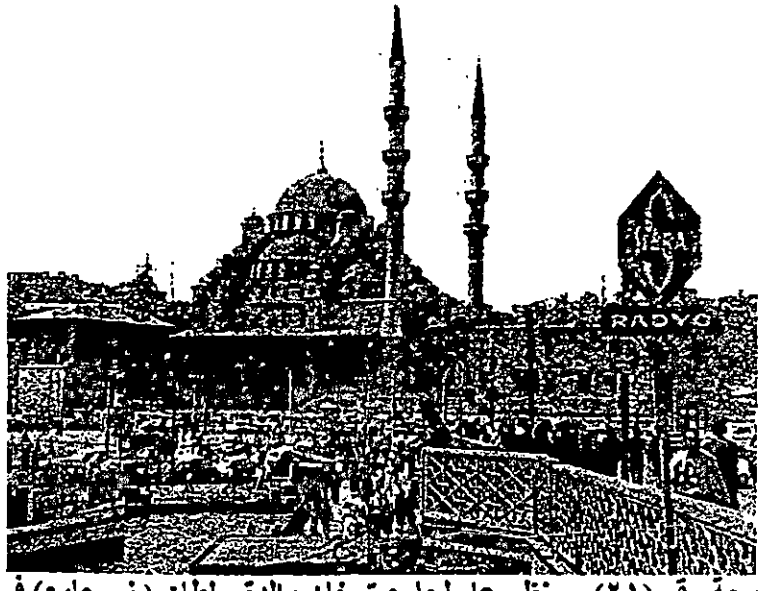

لوحة رقم (٢١) : منظر عام لجامع ترخان والدة سلطان (يني جامع) في أمينونو- إستانبول

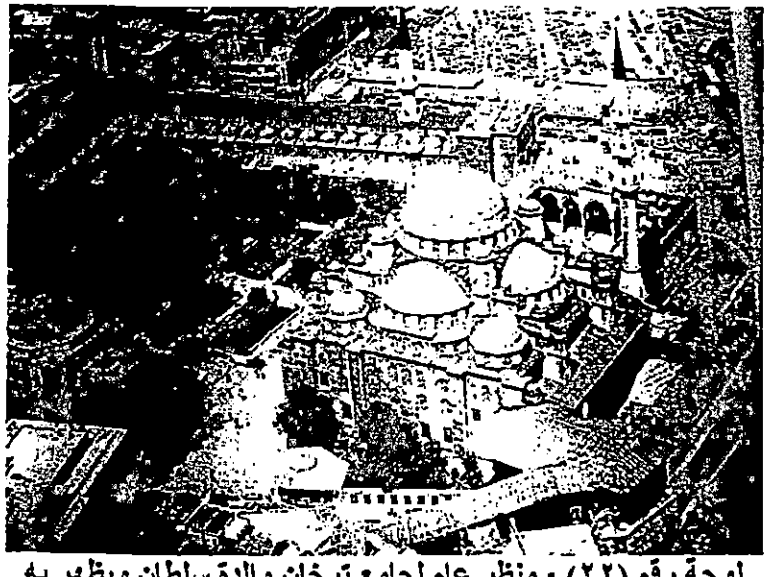

لوحة رقم (٢٢) : منظر عام لجامع ترخان والدة سلطان ويظهر به الجامع، والدائرة السلطانية، والضريح، والسوق المصري

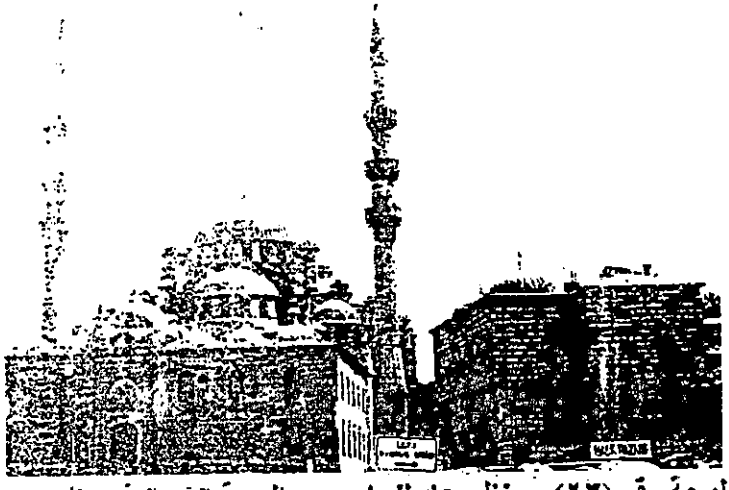

لوحة رقم (٢٣) : منظر عام للجامع من الجهة الشمالية ويظهر به السوق المصري

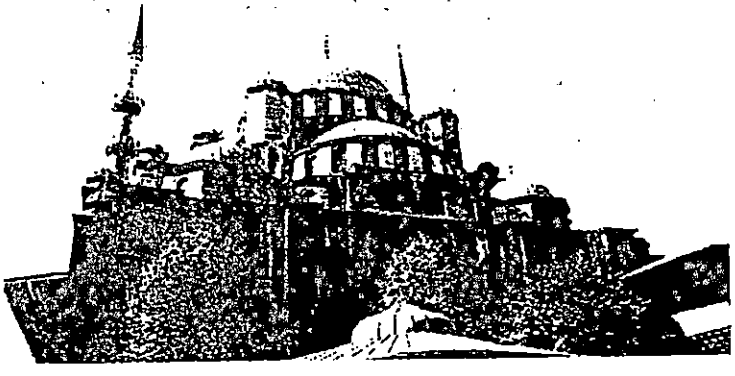

لوحة رقم (٢٤) : الواجهة الجنوبية لـ يني جامع وتظهر بها القبة رئيسية ونصف القبة أمام المحراب

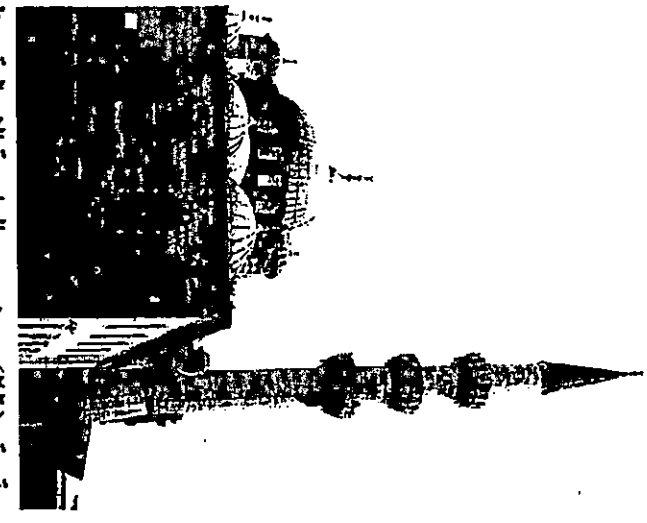

لوحة رقم (٢٦) : جزء من الواجهة الشمالية ويظهر القبة المركزية ومئذنة الجامع الشرقية

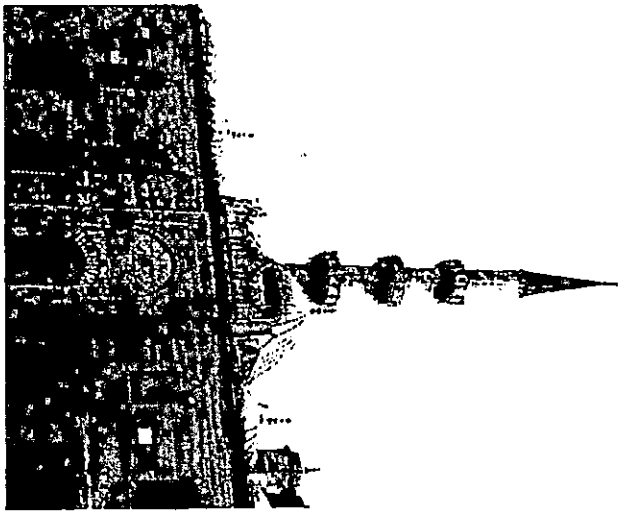

لوحة رقم (٢٥) : قطاع في واجهة الصحن الخارجية بالجهة الغربية وتشاهد أحد مداخل الصحن

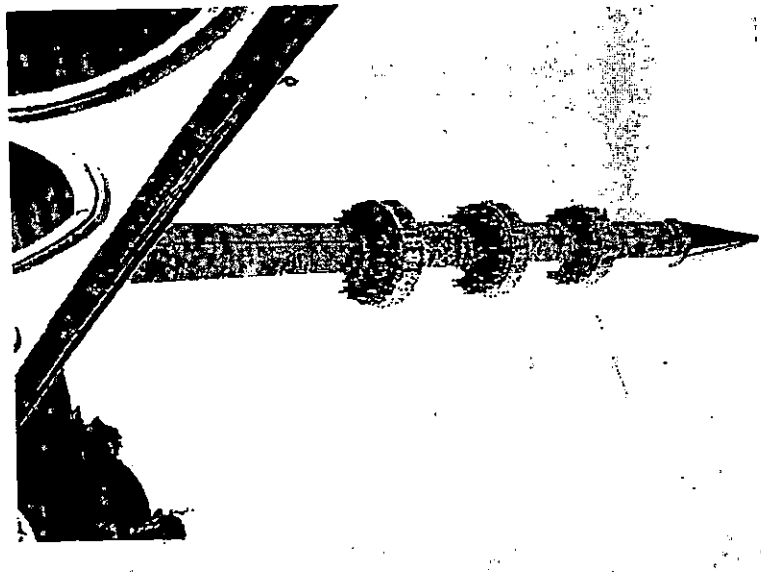

لوحة رقم (٢٨) : المئذنة الغربية للجامع

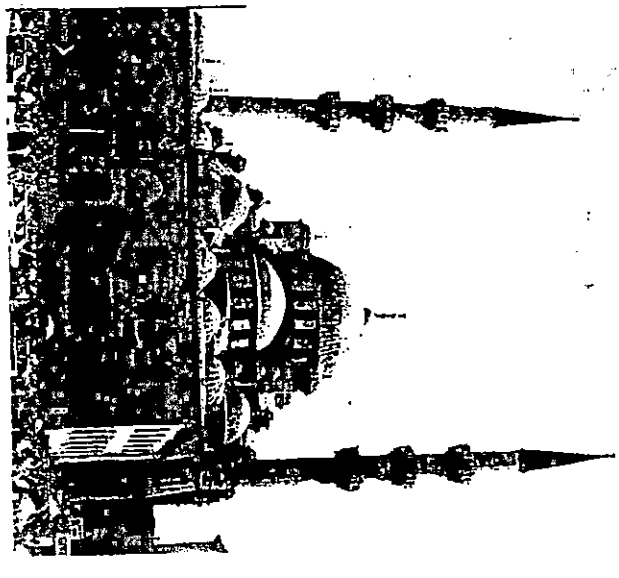

لوحة رقم (٢٧) : منظر عام للجامع- من الجهة الشمالية

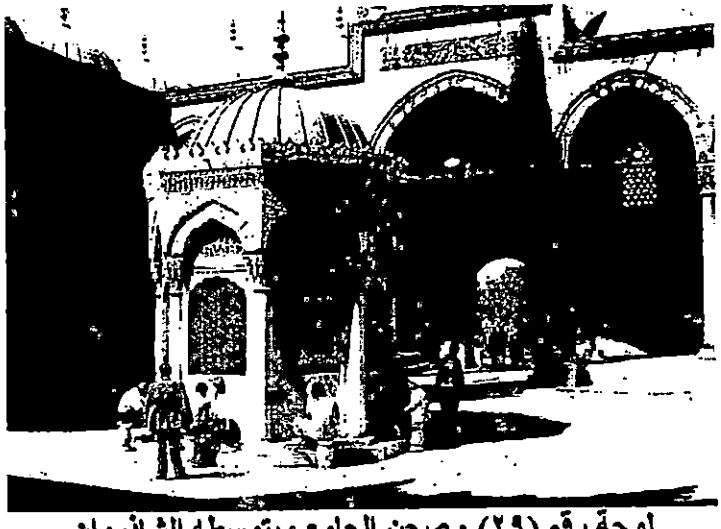

لوحة رقم (٢٩) : صحن الجامع ويتوسطه الشاذروان

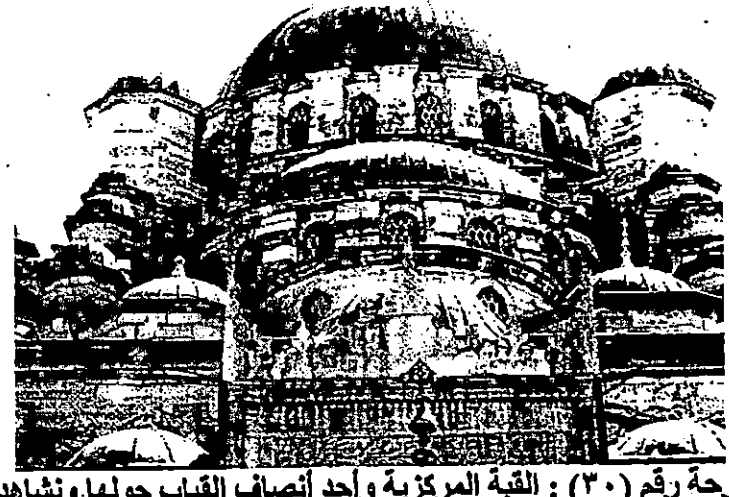

لوحة رقم (٣٠) : القبة المركزية وأحد أنصاف القباب حولها ونشاهد التدرج في مستويات القبة وأنصافها والقباب الركنية الصغيرة

لوحة رقم (٣١) : منظر داخل صحن الجامع يظهر به الشاذروان وبيت الصلاة بقبته الكبيرة وأنصاف القباب حولها

لوحة رقم (٣٢) : مدخل الجامع في الرواق الأمامي ويصل بين الصحن وبيت الصلاة

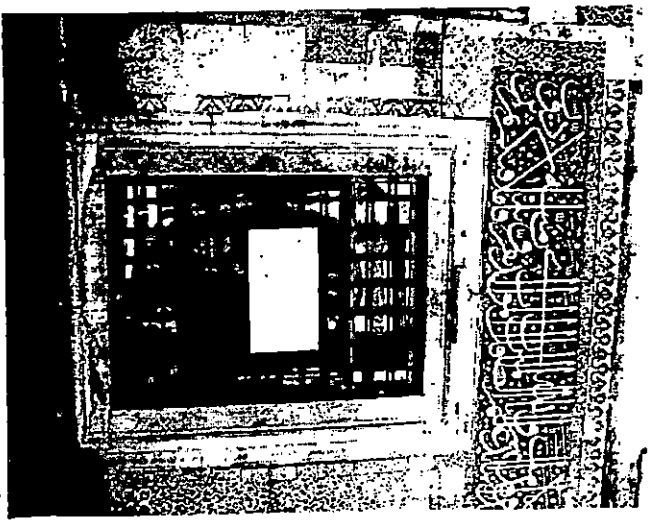

لوحة رقم (٣٣) : محراب خزفي صغير في الرواق الأمامي للصحن على يمين مدخل الجامع الموصل بين الصحن وبيت الصلاة

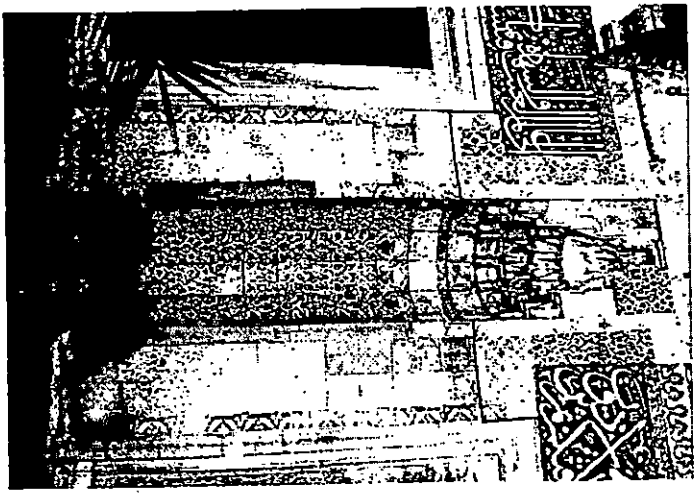

لوحة رقم (٣٤) : أحد شبابيك الرواق الأمامي السفلية ويعلوها كتابات خزفية قرآنية

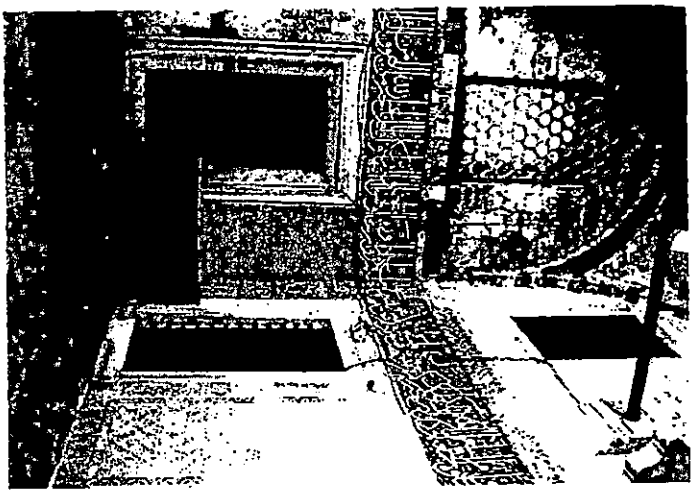

لوحة رقم (٣٦) : البلاطات الخزفية والكتابات في القسم الأيسر من الرواق الأمامي بجامع يني جامع

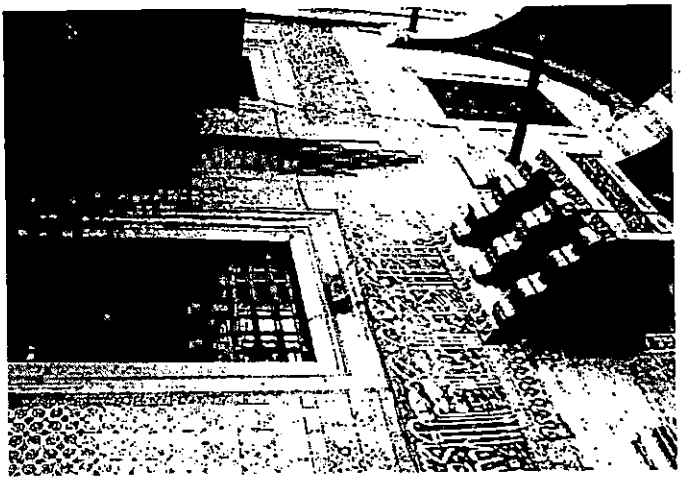

لوحة رقم (٣٥) : أحد شبابيك الرواق الأمامي ويظهر لمحراب الخارجي الخزفي والبلاطات التي تكسو الجدران والكتابات الخزفية تعلو كل ذلك

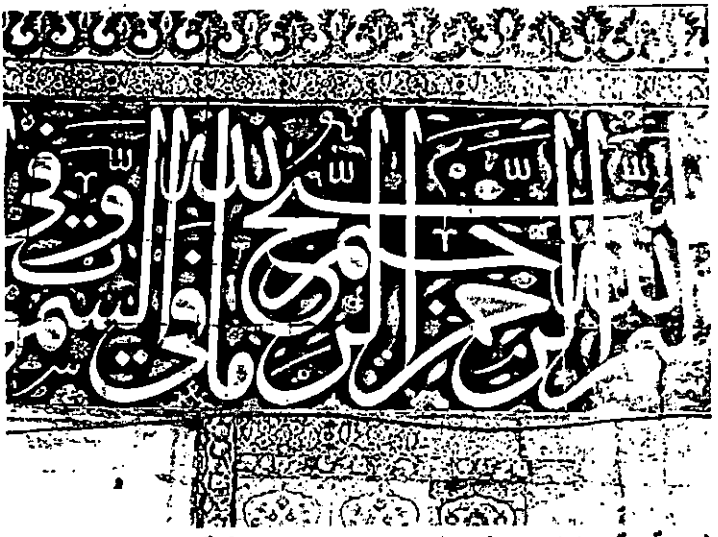

لوحة رقم (٣٧) : تفصيل من الكتابات الخزفية القرآنية التي تعلو التكسيات الخزفية بجدار الرواق الأمامي

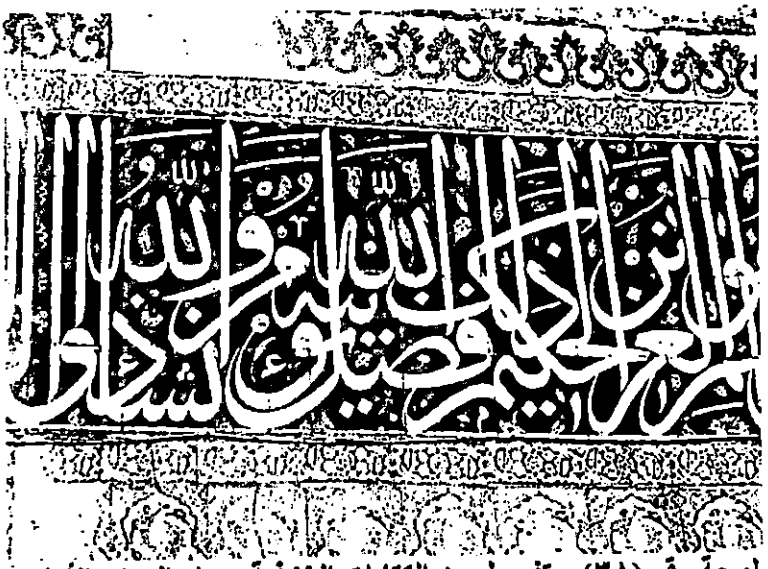

لوحة رقم (٣٨) : تفصيل من الكتابات الخزفية بجدار الرواق الأمامي

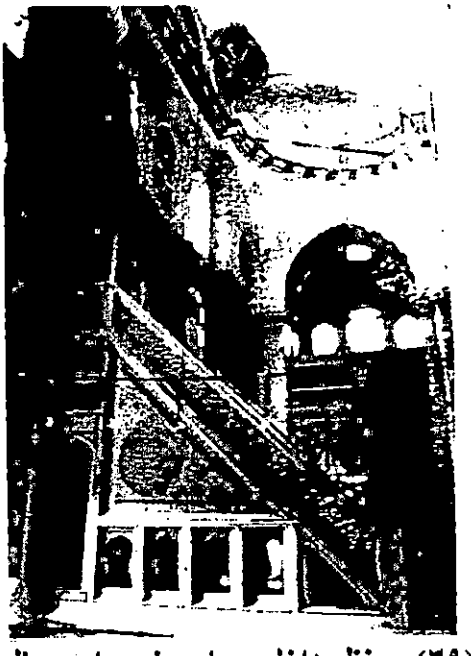

لوحة رقم (٣٩) : منظر داخلي بجامع يني جامع ويظهر به المنبر الرخامي

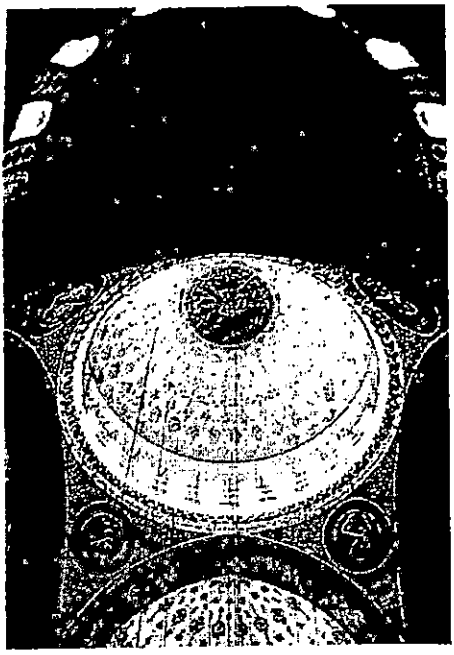

لوحة رقم (٤٠): باطن القبة المركزية وحولها أنصاف قباب بالجامع

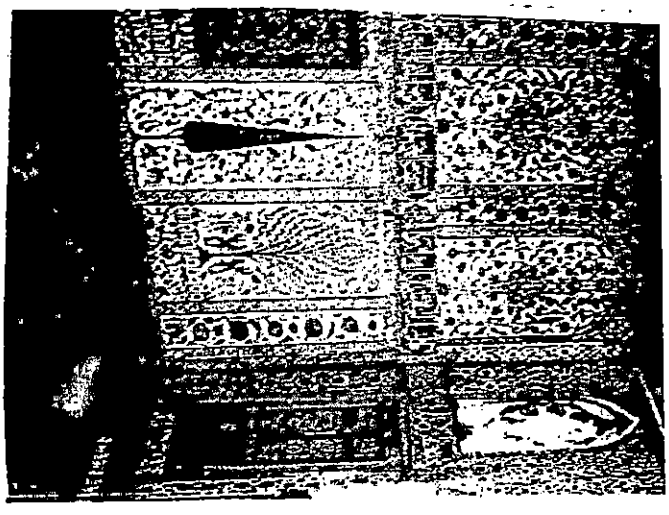

لوحة رقم (٤٢): أحد الجدران بالدائرة السلطانية ونشاهد التكسيات الخزفية بالجدران

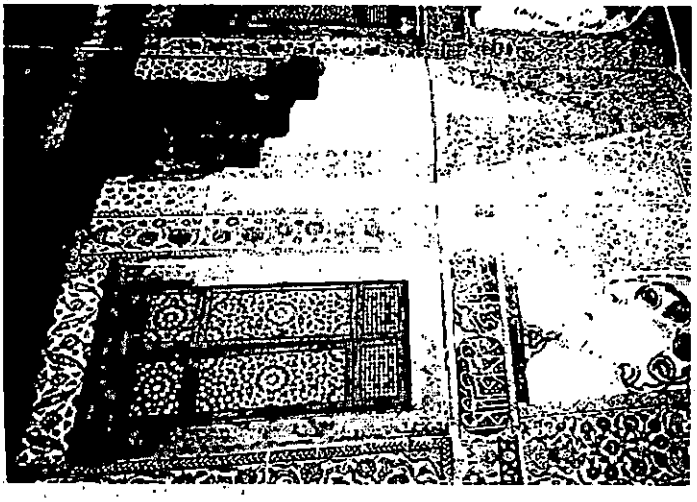

لوحة رقم (٤١) : البلاطات الخزفية والمدفأة الخزفية داخل حجرة الوالدة سلطان بالدائرة السلطانية الملاصقة للجامع

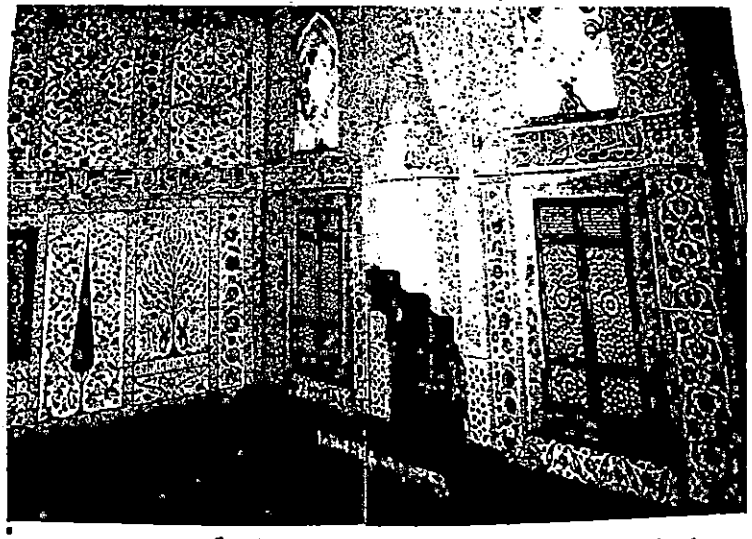

لوحة رقم (٤٣) : منظر داخلي للدائرة السلطانية ونشاهد التكسيات الخزفية بالجدران

لوحة رقم (٤٤) :القسم الأيمن برواق الجدار الأمامي لضريح ترخان والدة سلطان بالقرب من يني جامع

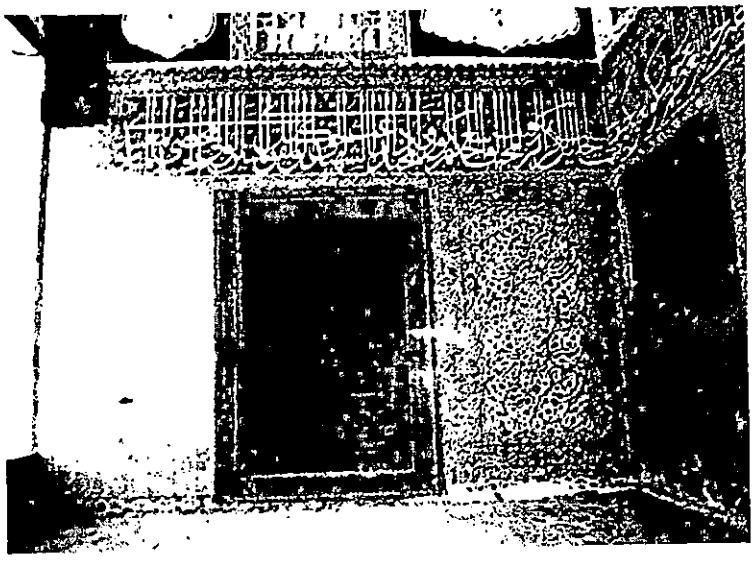

لوحة رقم (٤٥) : القسم الأيسر من الرواق الأمامي للضريح ونشاهد التكسيات والكتابات الخزفية

لوحة رقم (٤٦) : تفصيل من الكتابات الخزفية القرآنية بجدار الرواق الأمامي بضريح ترخان والدة سلطان

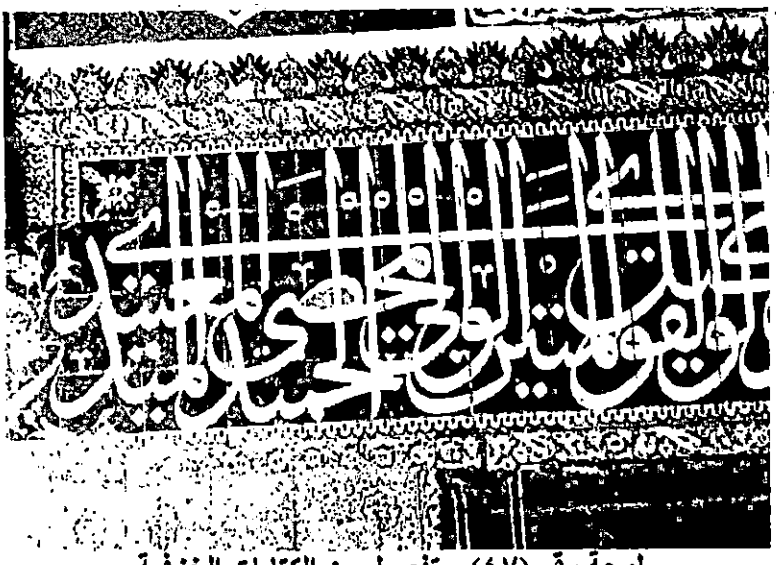

لوحة رقم (٤٧) : تفصيل من الكتابات الخزفية

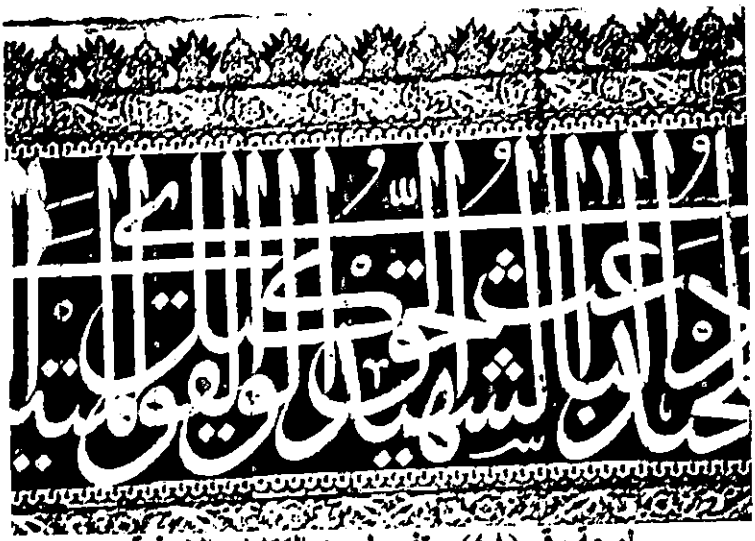

لوحة رقم (٤٨) : تفصيل من الكتابات الخزفية

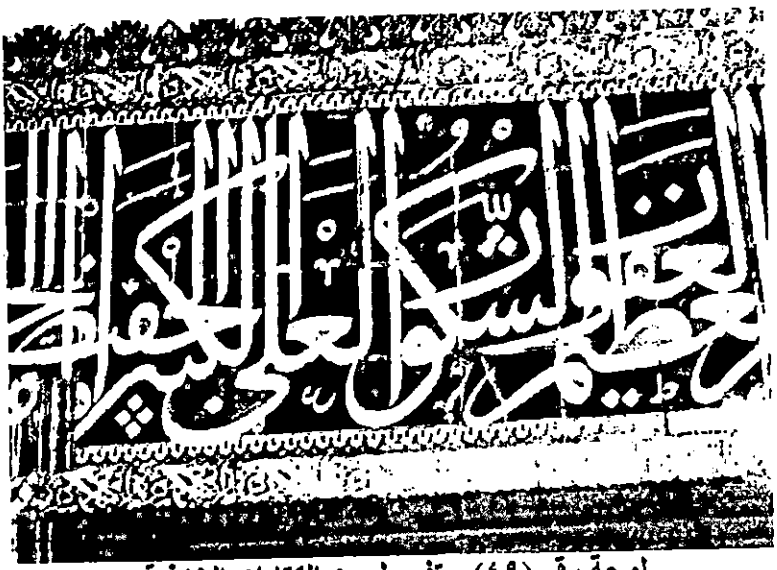

لوحة رقم (٤٩) : تفصيل من الكتابات الخزفية

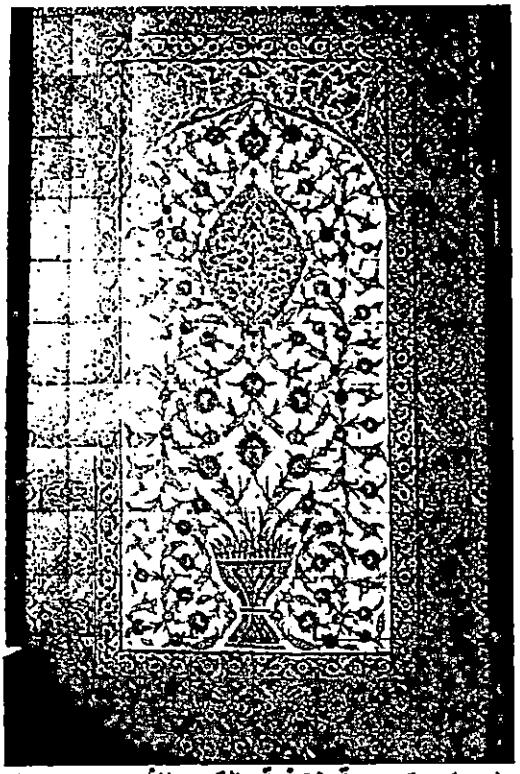

لوحة رقم (٥٠) : تجميعة خزفية بالقسم الأيمن من رواق الضريح

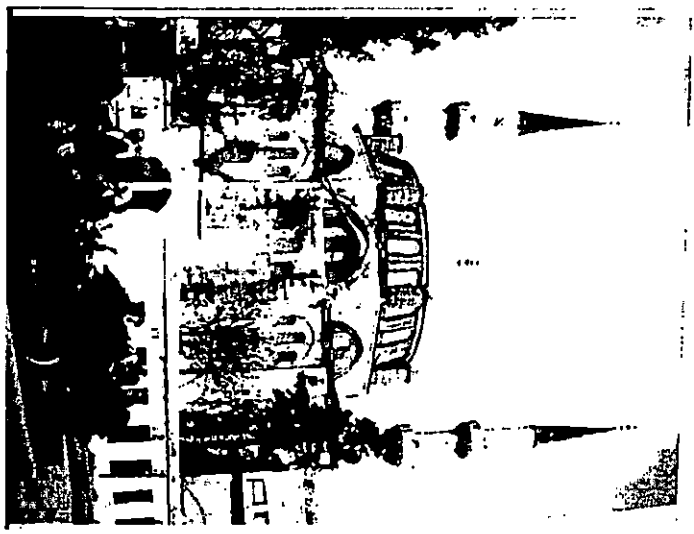

لوحة رقم (٥٢) : جامع كلنوش والدة سلطان (جامع الوالدة الجديد) في إسكودار - منظر عام

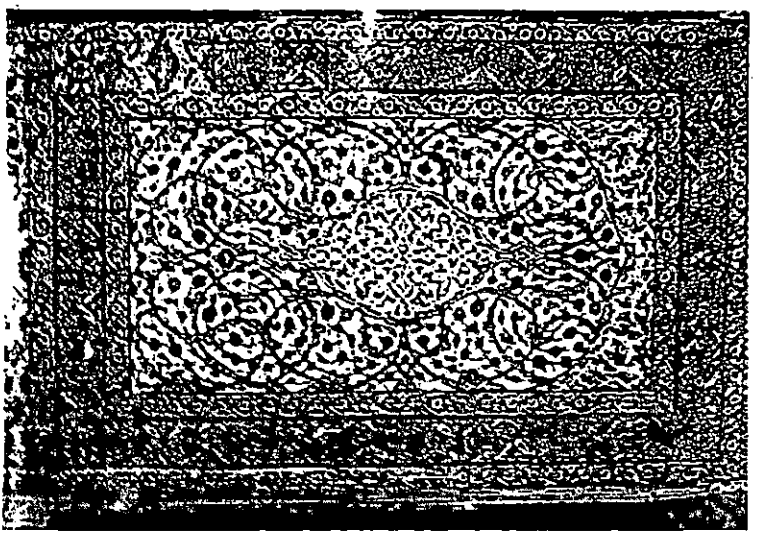

لوحة رقم (٥١) : تجميعة خزفية بالقسم الأيسر من رواق المدخل

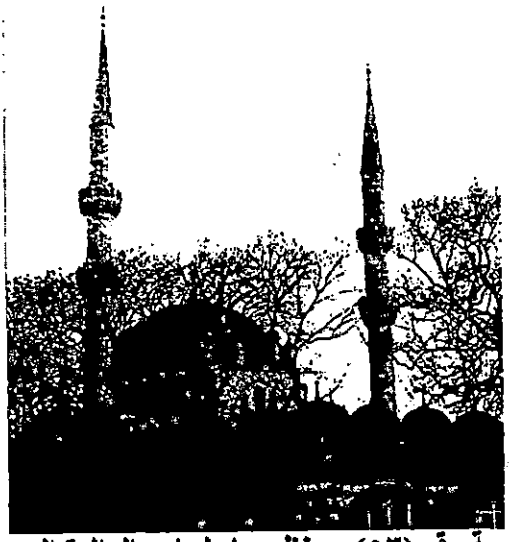

لوحة رقم (٥٣) : منظر عام لجامع الوالدة الجديد

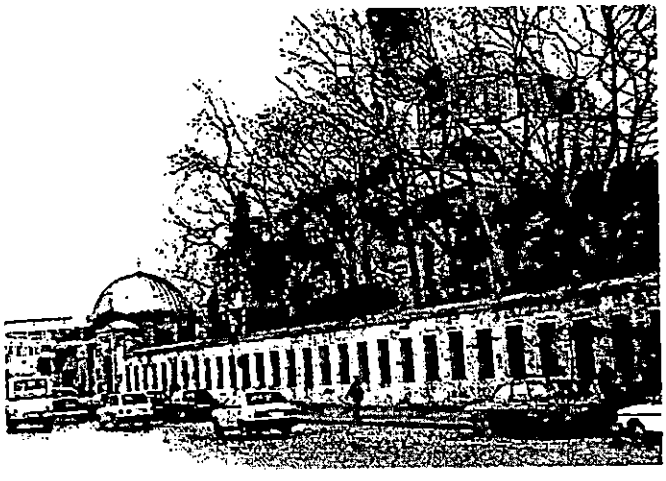

لوحة رقم (٥٤) : السور الخارجي الغربي لجامع الوالدة الجديد

لوحة رقم (٥٥) : قسم من واجهة الصحن الخارجية المطلة على الفناء

لوحة رقم (٥٦) : أحد أبواب صحن جامع الوالدة الجديد

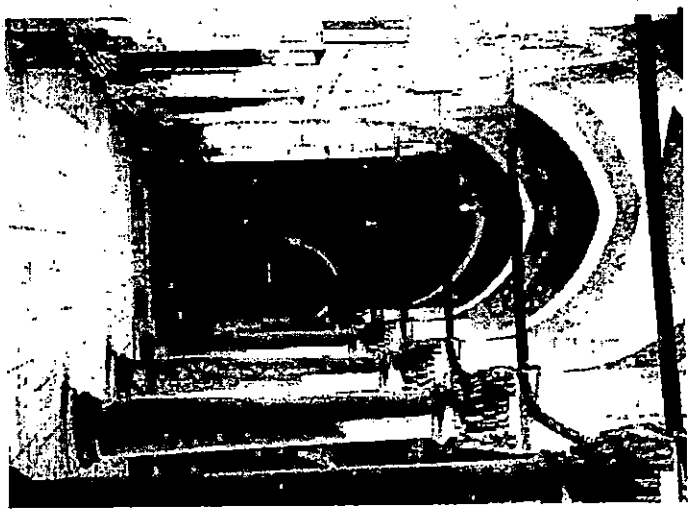

لوحة رقم (٥٨) : جزء من الرواق الغربي بالجامع

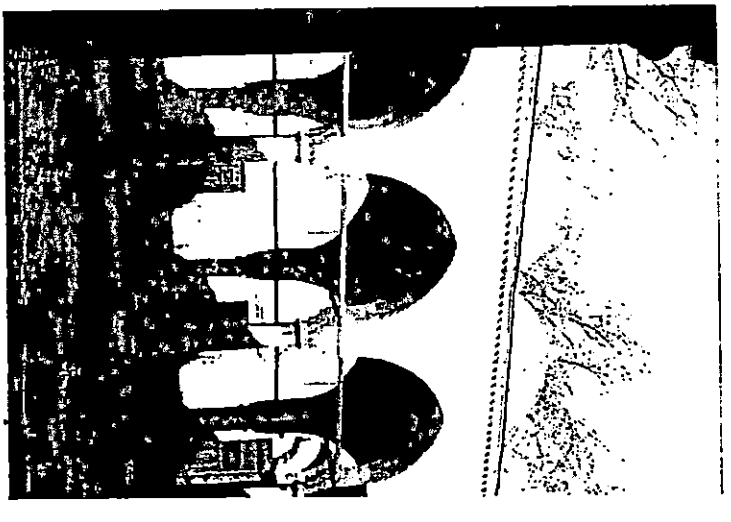

لوحة رقم (٥٧) : جزء من الرواق الغربي بصحن الجامع

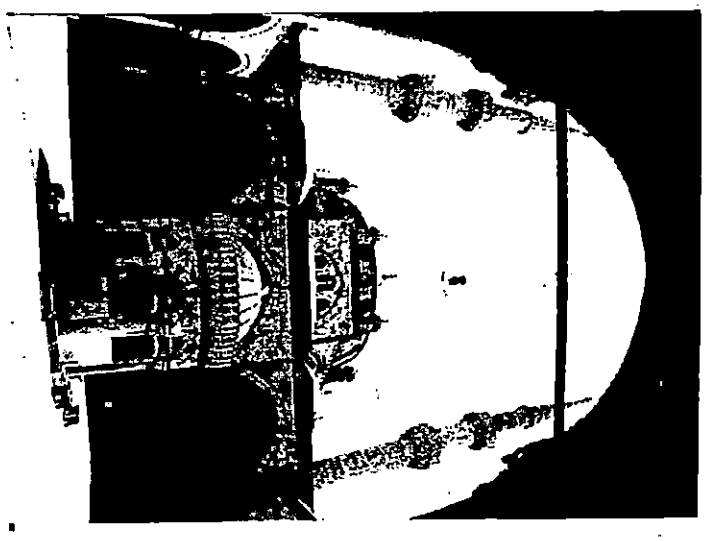

لوحة رقم (٦٠) : الصحن والشاذروان ومئذنتي جامع الوالدة الجديد

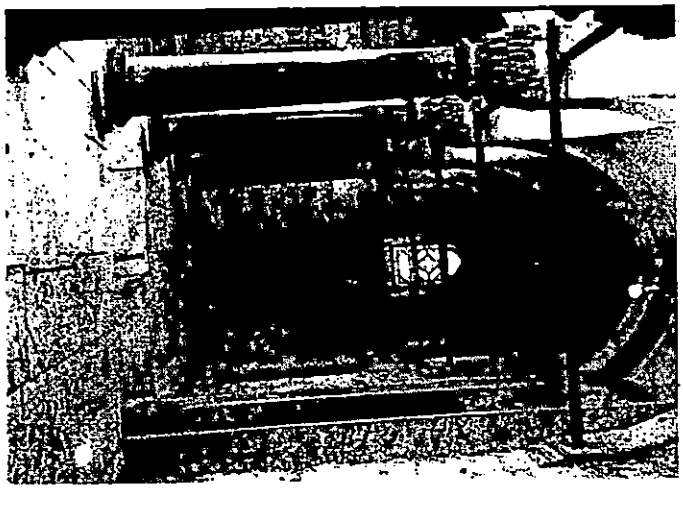

لوحة رقم (٥٩) : جزء من الرواق الشرقي بالجامع

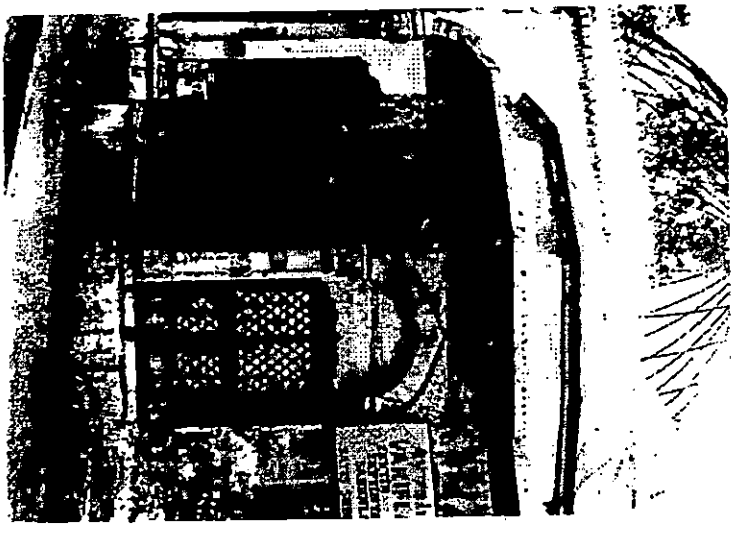

لوحة رقم (٦٢) : كتلة السبيل وبجوارها ضريح كولنوش والدة سلطان

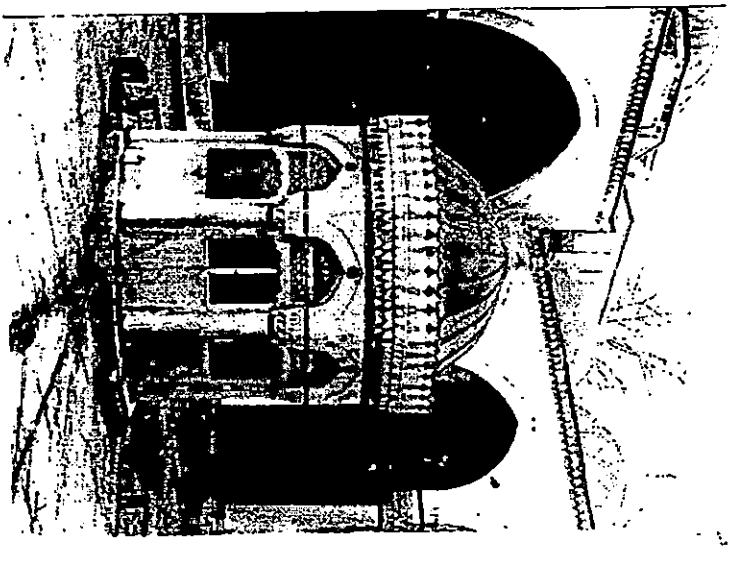

لوحة رقم (٦١) : شاذروان الصحن بالجامع

لوحة رقم (٦٣) : ضريح كولنوش والدة سلطان

لوحة رقم (٦٤) : جامع بَزْم عالم والدة سلطان (طولمة باغجة) في بشكطاش- منظر عام

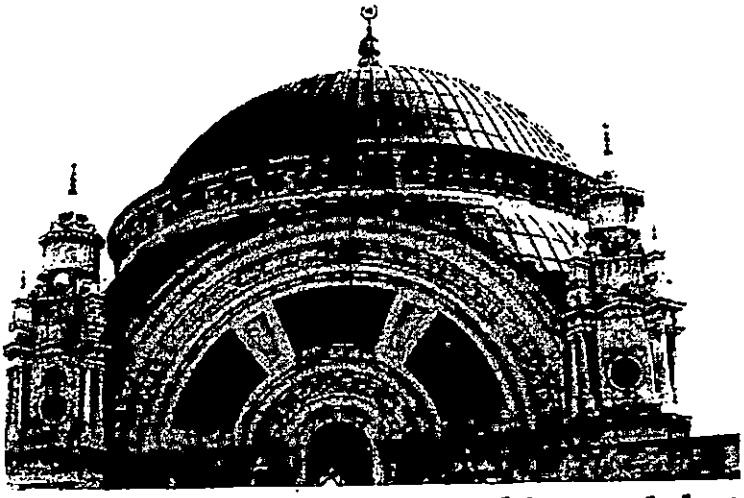

لوحة رقم (٦٥) : قبة جامع طولمة باغجة والأبراج الركنية حولها

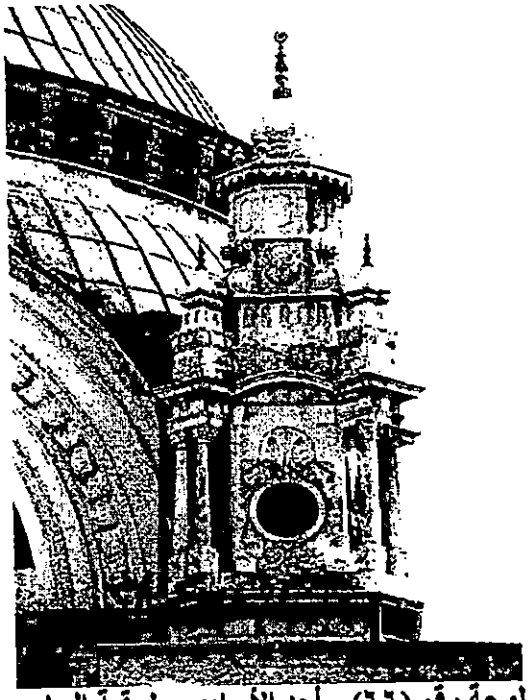

لوحة رقم (٦٦) : أحد الأبراج حول قبة الجامع

لوحة رقم (٦٧) : باب جامع طولمة باغجة ويطو حجرات الدائرة السلطانية التي تتقدم الجامع

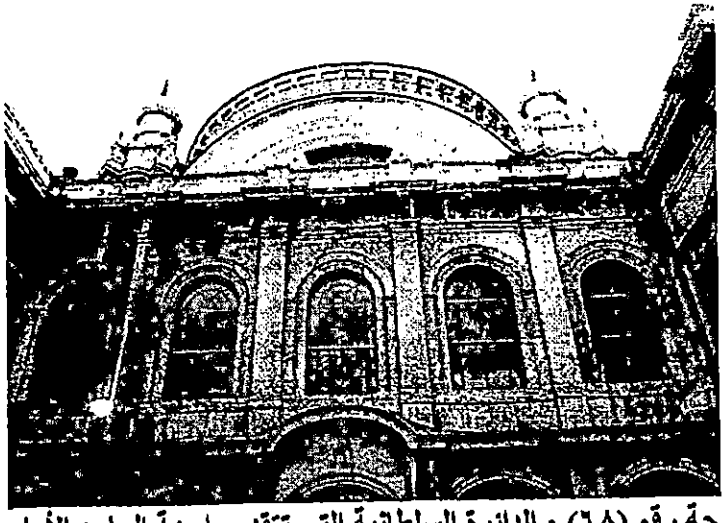

لوحة رقم (٦٨) : الدائرة السلطانية التي تتقدم واجهة الجامع الأمامية

لوحة رقم (٦٩) : منظر داخلي بجامع طولمة باغجة

لوحة رقم (٧٠) : القسم العلوي من الجهة الشمالية داخل جامع طولمة باغجة ويظهر به مصلى النساء في الطابق العلوي

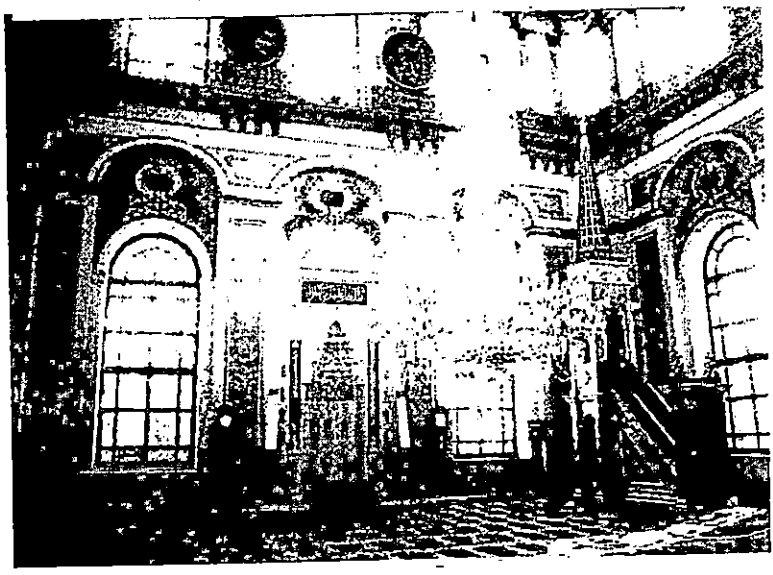

لوحة رقم (٧١) : الجدار القبلي بالجامع يتوسطه المحراب

لوحة رقم (٧٢) : أحد العقود الحاملة لقبة الجامع

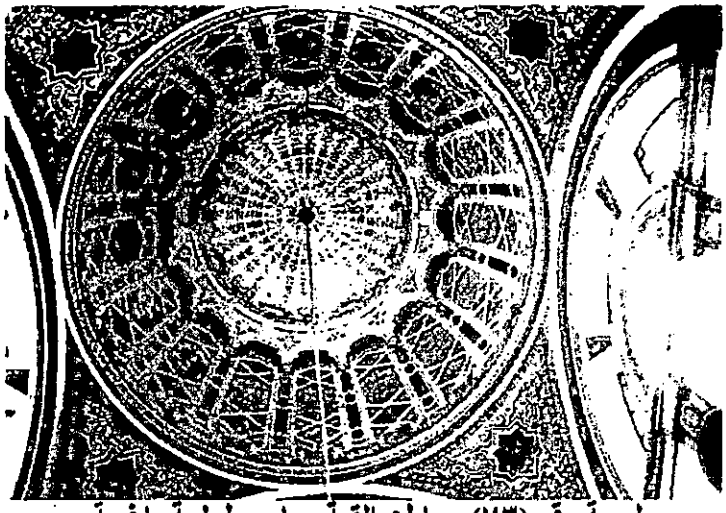

لوحة رقم (٧٣) : باطن القبة بجامع طولمة باغجة

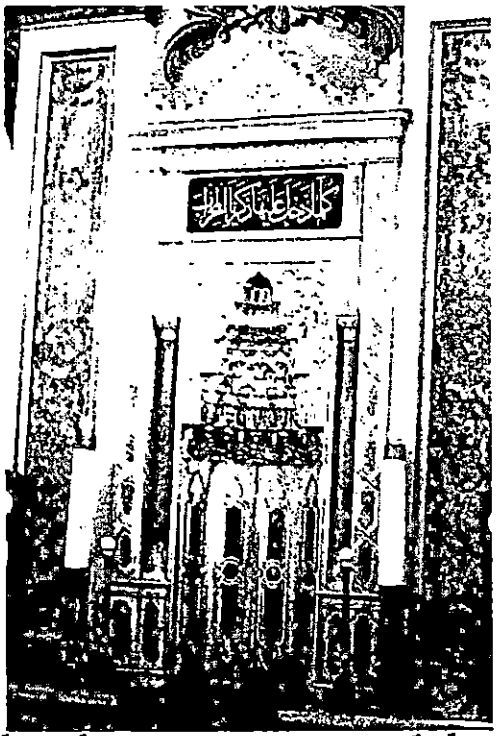

لوحة رقم (٧٤) : محراب جامع طولمة باغجة

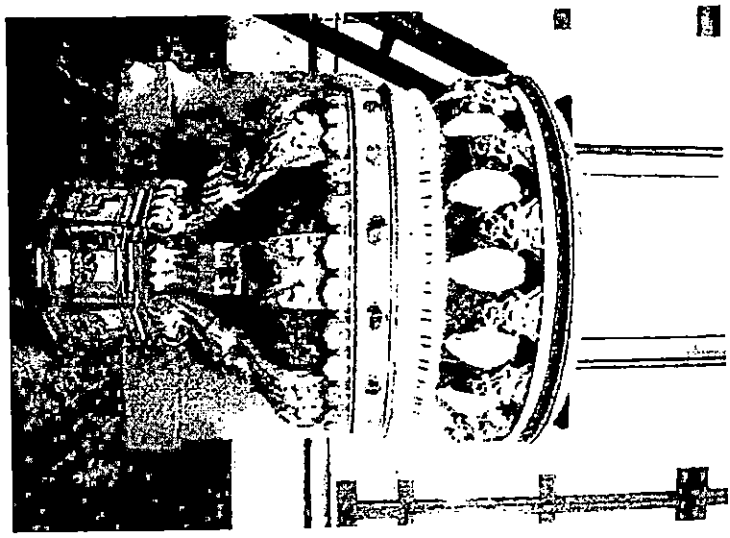

لوحة رقم (٧٦) : كرسي الوعظ أو المقرئ بالجامع

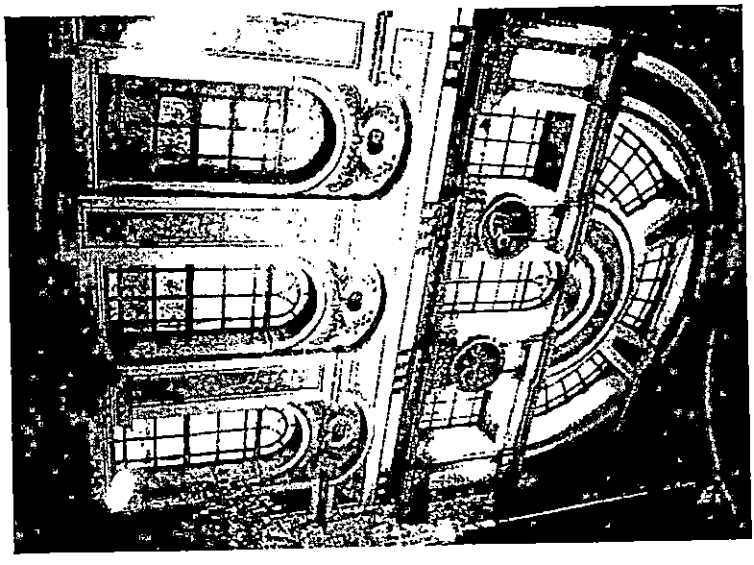

لوحة رقم (٧٥) : الجدار الغربي بجامع طولمة باغجة

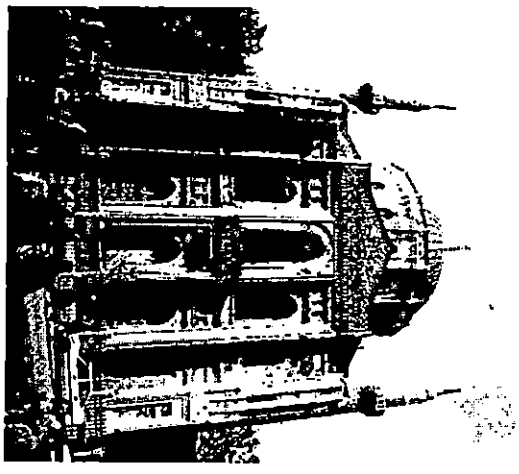

لوحة رقم (٧٨) : الواجهة الجنوبية بجامع الوالدة في أقسراي

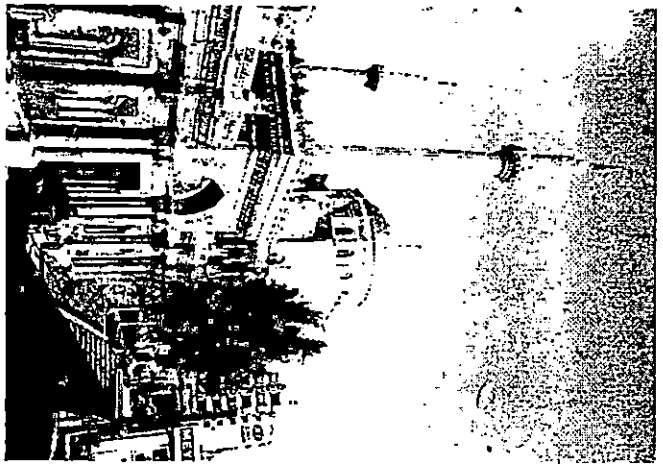

لوحة رقم (٧٧) : جامع برتونيال والدة سلطان (جامع الوالدة سلطان) في أقسراي- منظر عام

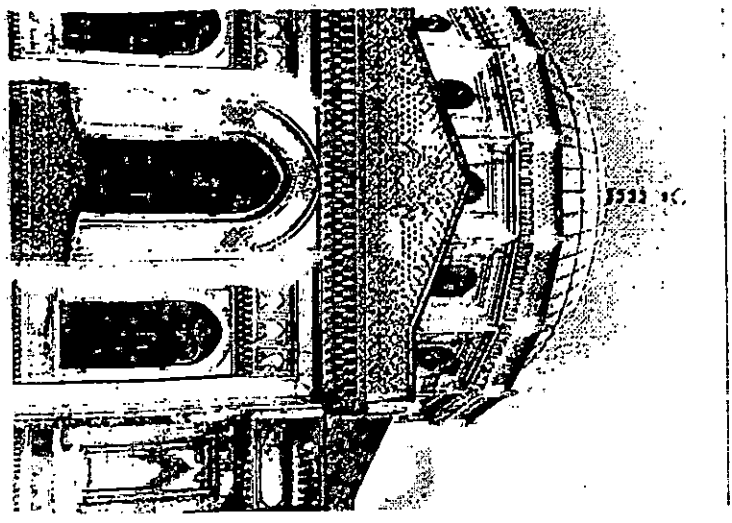

لوحة رقم (٨٠) : القسم العلوي من الجامع والقبة التي تغطيه

لوحة رقم (٧٩) : الواجهة الشمالية لجامع الوالدة في السراي

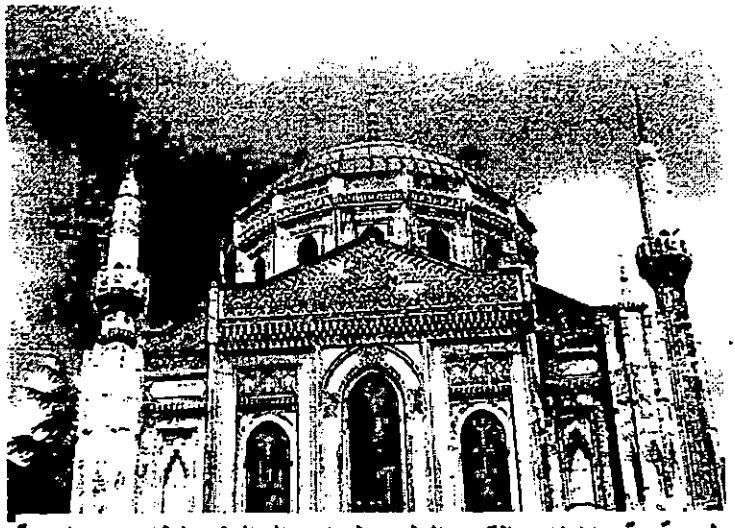

لوحة رقم (٨١) : القسم العلوي لجامع الوالدة سلطان من الجهة الجنوبية

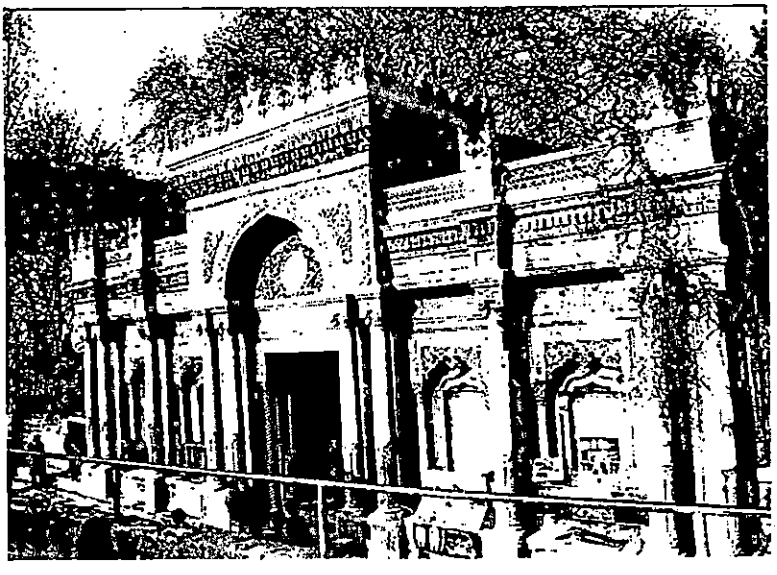

لوحة رقم (٨٢) : واجهة المدخل الرئيسي الخارجي للجامع

لوحة رقم (٨٣) : جامع الوالدة بآقسراي منظر عام

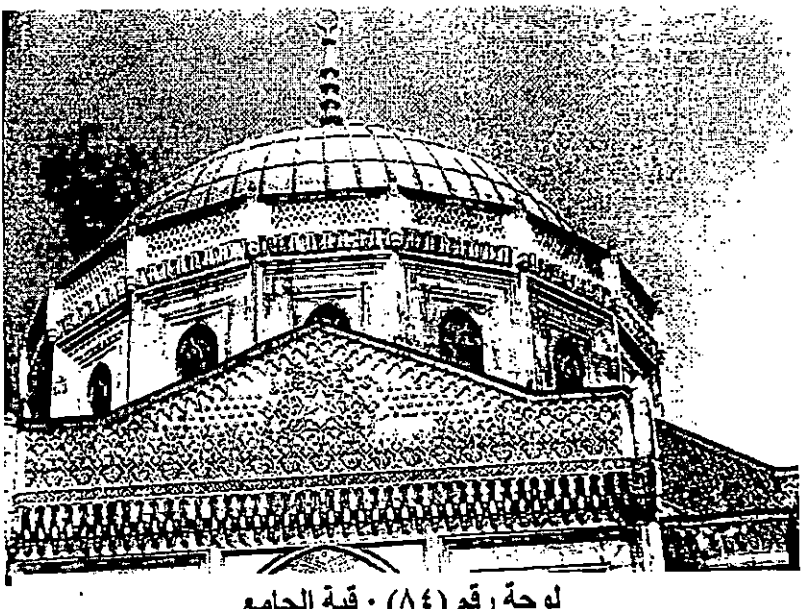

لوحة رقم (٨٤) : قبة الجامع

لوحة رقم (٨٥) : منظر داخلي بجامع الوالدة بآقسراي

لوحة رقم (٨٦) : الجدار الغربي داخل الجامع

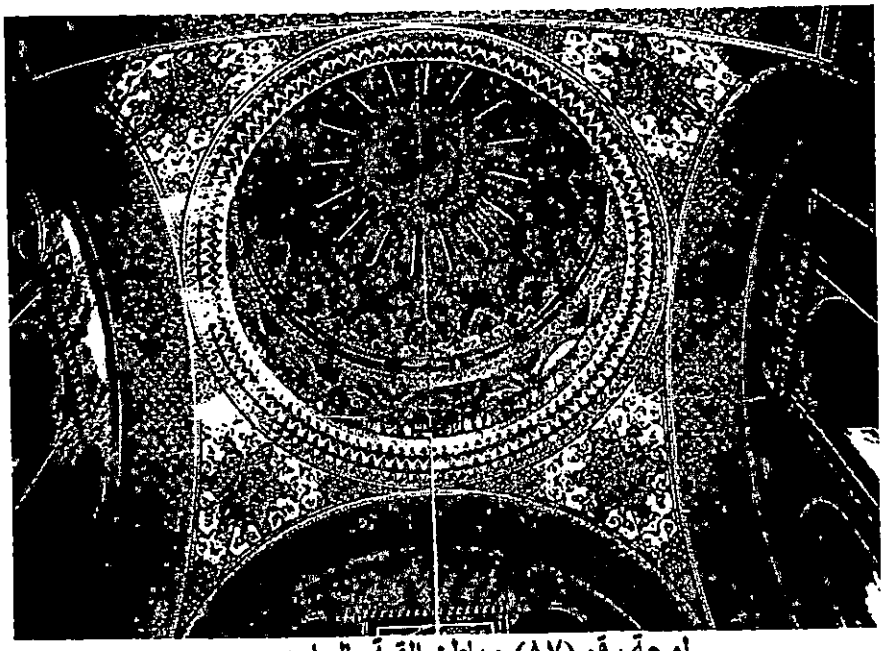

لوحة رقم (٨٧) : باطن القبة بالجامع

لوحة رقم (٨٨) : جدار القبلة بالجامع ويظهر المحراب بوسطه والمنبر على يمينه

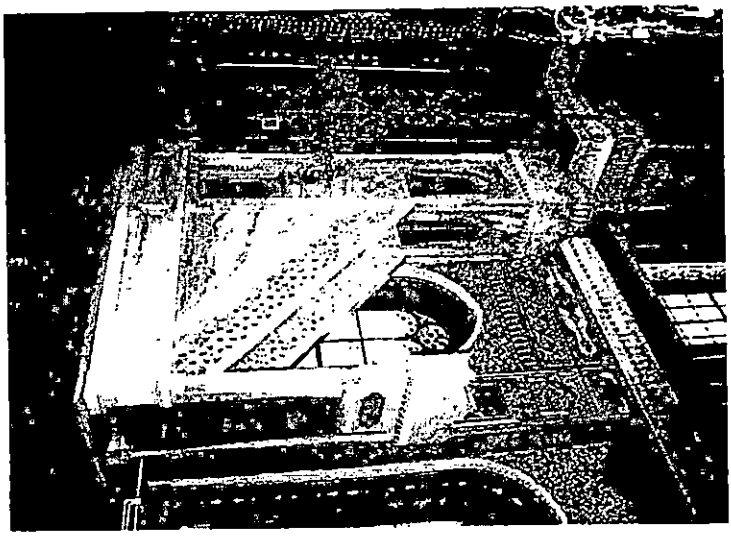

لوحة رقم (٩٠) : منبر الجامع الرخامي

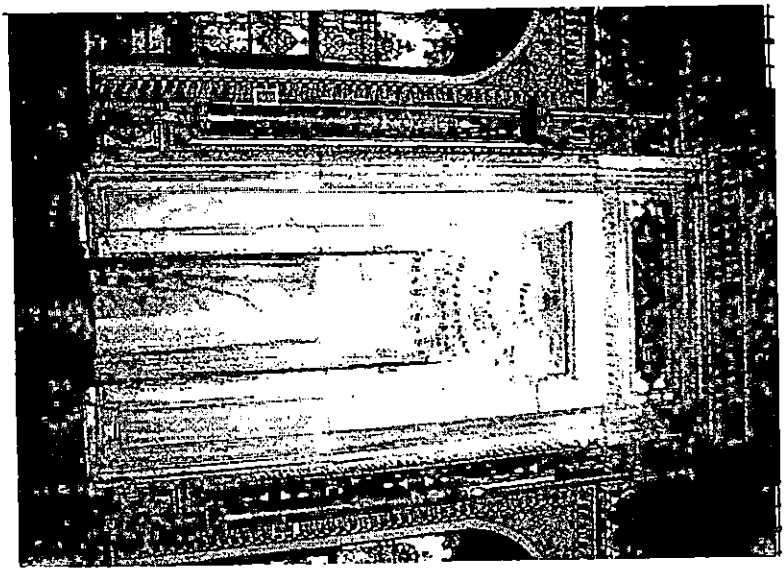

لوحة رقم (٨٩) : محراب جامع الوالدة سلطان الرخامي

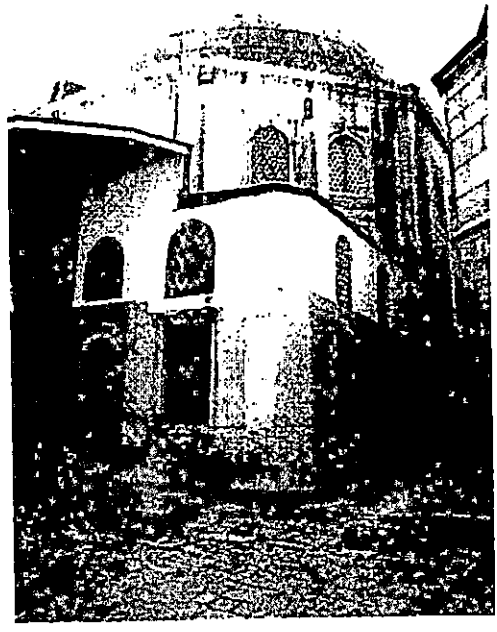

لوحة رقم (٩١) : ضريح السلطان سليم الثاني

لوحة رقم (٩٢) : ضريح السلطان أحمد الأول

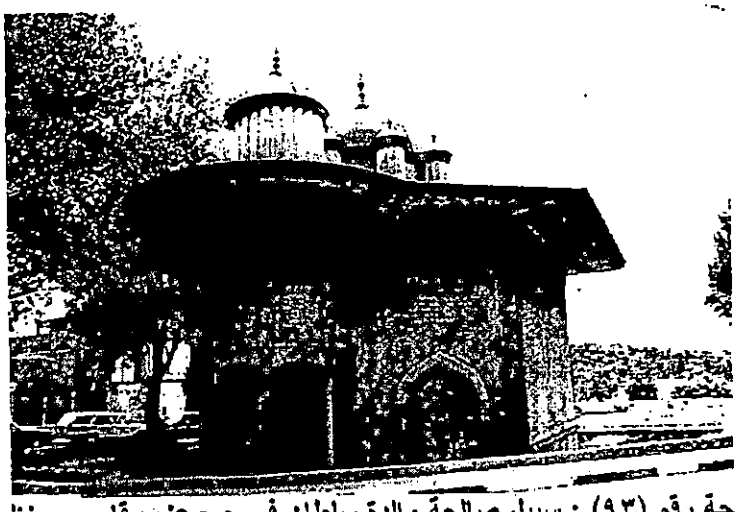

لوحة رقم (٩٣) : سبيل صالحة والدة سلطان في حي عزب قابي – منظر عام

لوحة رقم (٩٤) : سبيل صالحة والدة سلطان – منظر جانبي

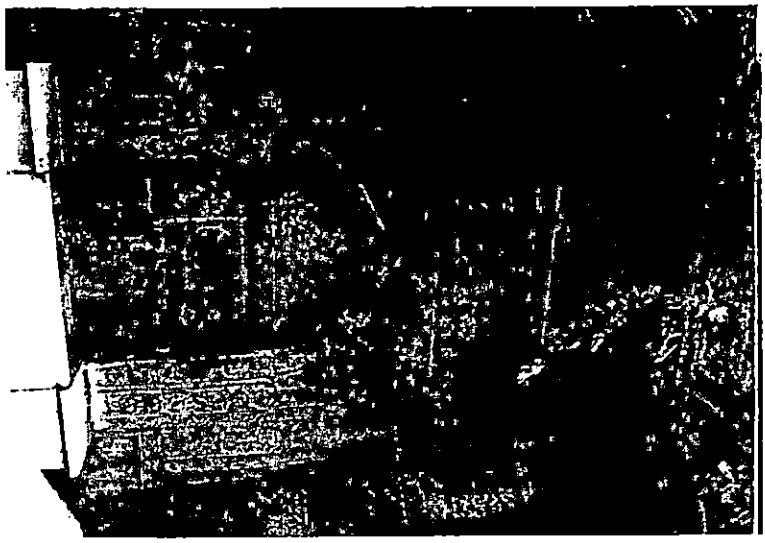

لوحة رقم (٩٦) : أحد التشمسات بسبيل صالحة والدة سلطان

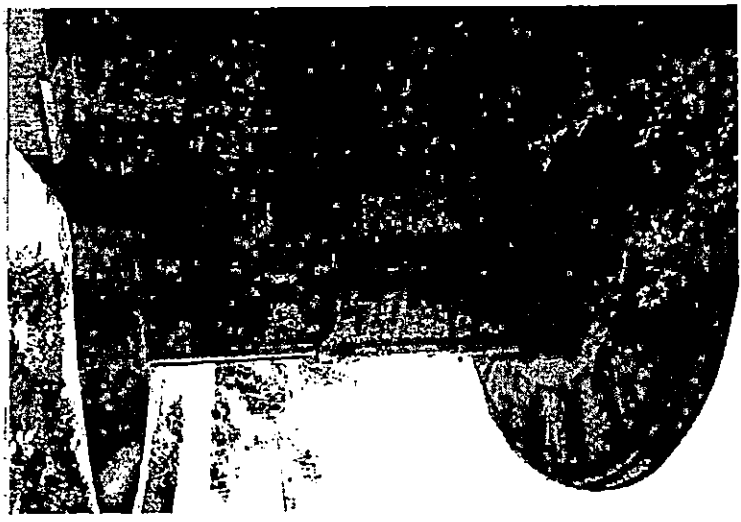

لوحة رقم (٩٥) : سبيل صالحة والدة سلطان – جزء من الواجهة يظهر بها أحد شبابيك السبيل

لوحة رقم (٩٧) : أحد الشبابيك بسبيل صالحة والدة سلطان

لوحة رقم (٩٨) : تفصيل من الكتابات والزخارف الرخامية أعلى الشباك الأوسط بالسبيل

لوحة رقم (٩٩) : سبيل السلطان أحمد الثالث أمام قصر طوب قابي سراي في استانبول

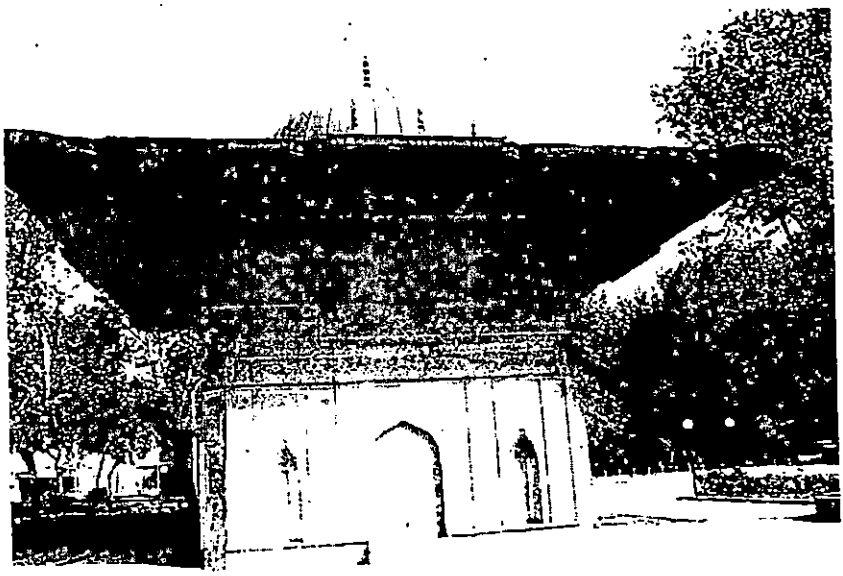

لوحة رقم (١٠٠) تششمه السلطان محمود الأول في حي طوب خانه بإستانبول